سحر البلاغة و سر البراعة

تأليف

أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري
المتوفى ٤٢٩ هجرية

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

سحر البلاغة
وَ
سِرّ البراعة

تأليف

ابي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري
المتوفى ٤٢٩ هجرية

صححه وضبطه

الأستاذ عبد السلام الحوفي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان
هاتف : ٨٠١٣٣٢ ـ ٨٠٥٦٠٤ ـ ٨٠٠٨٤٢
ص.ب ٩٤٢٤-١١ ـ تلكس : NASHER 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

رب سهل ويسر

الحمد لله ربّ العالمين، وٱلصلاة عَلَى النبيِّ محمدٍ وآله أجمعين[1].

أما بعد فإن هذا ٱلكتاب أخرجتُ بعضه من غُرَر نجوم ٱلأرض، ونُكت أَعيان ٱلفضل من بُلغآء ٱلعصر في ٱلنثر، وحللتُ بعضه من نَظْم أمرآء ٱلشِّعر، الذين أوردتُ مُلَح أشعارهم في كتابي ٱلمترجم بيتيمة ٱلدَّهر، فلفقتُ جميع ذلك ونسَّقتهُ، وسردتُه وسقتُهُ وأنفقت عليه جميع ما رُزِقته، وعمِلتُه بجهد ٱلخاطر، وكَدّ ٱلنَّاظر، وعَرَق الجبين، وتَعَب اليمين، وبوّبتُه ورتَّبتُه وتعمَّدْت فيه لذَّة ٱلجِدَّة، ورَوْنق ٱلحداثة، ومَلاحة ٱلطَّراوة، ولم أَشُبْه بشيءٍ سوى كلام أهل ٱلعَصر، اللَّهم إلَّا قلائدَ قلائل من ألفاظ الجاحظ وابن المُعْتَزّ، تخللتْ أثنآءَه وتوسَّطتْ تضاعيفه. ولم أُخْلِ كلمةً من كلماته ٱلتي هي وسائط الآداب، وصياقل ٱلألباب، وما تشتهي أنفس الأُدبآء وتَلَذُّ أعين ٱلكُتَّاب، من لفظٍ فصيح، أو معنى بديع، أو تجنيس، أنيس، أو تشبيه، بلا شبيه، أو تمثيل، بلا مثيل أو عديل، أو آستعارة، من ٱلحُسن مُستعارة، أو طِباق، ذي رَوْنقٍ باق. فمِن مَرافق هذا ٱلكتاب، قُرْبُ مُتناوَله عَلَى بلغآء الكتَّاب، إذا طرّزوا ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من نوره، وسماحةُ قِياده لأفراد ٱلشّعرآء إذا رصَّعوا عُقود نظامهم بما يلتقطونه من شُذُوره. فأما ٱلمخاطبات وٱلمحاورات فإنها

---

(١) قال في الهامش: وفي نسخة: أما بعد حمد ٱلله أولى من حمد، وٱلصلاة عَلَى محمد أفضل من وُلد، (وهو ما ذكر في كشف الظنون).

تتبرَّج بغُرّةٍ من غُرره، وتُتَوَّج بدرةٍ من دُرره، وقد كنتُ أخرجته في نسختين مُتقارِبتي آلكيفية وآلكميَّة، متشاكلتي آلصنَّعة وآلصِّيغة، أهديت إحداهما إلى الشيخ آلرَّئيس أَبي سهل أحمد بن الحسن الحمدوني، والأُخرى إلى صاحب الجيش أَبي عمران موسى بن هارون آلكردي، وهذه آلنسخة آلثالثة تجمع بينهما وتأْخذ بأطرافهما وأَوساطهما، وتزيدُ بأَبكارٍ طرائف وبواكيرَ لطآئف عليهما، وتستفيدُ فضل تنقيحٍ وتهذيبٍ وتثذيب. ولتشرُّفها بخزانة الأَمير الأوحد أبي آلفضل عبيدالله بن أحمد الميكالي، عمرها الله بطول عمره، وتَحليها باسمه، ثّبتها الله بدوام ذكره، وتشتمل عَلَى أَربعة عشر كتاباً، يتضمن كلُّ كتاب منها أَبواباً، [وهذا ثبتُ آلكتب]:

كتابُ ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ وكتابه.
كتابُ الأَزمنة والأمكنة وما يتصل بها ويشاكلها.
كتابُ أحوال آلإنسان من لدُن صِغَره ونمائه، إلى كِبَره وآنتهائه.
كتاب الطَّعام وآلشَّراب وما ينضاف إليهما ويقترن بهما.
كتاب النَّظم وآلنَّثر وأصحابهما وآلاتهما وأدواتهما.
كتابُ المَمَادح وآلأَثْنِيَة وما يجري مجراها.
كتابُ المساويء والمقابح وما يدانيها.
كتابُ العيادة وما يُجانسها.
كتاب التهاني وآلتهادي وما ينخرط في سلكها.
كتاب التَّعازي وما يليق بها.
كتاب الإخوانيات وما يأْخذ مأْخذها.
كتابُ السلطانيات وما يقع في أبوابها.
كتابُ الشوارد وآلفوارد وما يشبهها.
كتابُ الأَمثال وآلحِكَم والمواعظ وما يحذو حذْوها.

وهذا ثبت أسمآء بلغآء العصر

الذين أخرجت معظم آلكتاب من غُرَر نثرهم

فمن أهل الشام: أبو آلفرج آلبَبَّغآء، وأبو محمد آلفياض، ومن أهل آلعراق أبو محمد المهلَّبي آلوزير، وأبو إسحاق آلصابي وآبن عمّه أبو الخطاب، وأبو آلحسن آلموسوي آلنَّقيب. ومن أهل آلجبل وفارس وجُرْجان أبو آلفضل بن آلعميد وآبنه أبو آلفتح، وآلصاحب أبو آلقاسم إسماعيل بن عَبَّاد، وآلأمير شمس المعالي [قابوس، وأبو آلقاسم عبد آلعزيز بن يوسف، وأبو آلحسن] علي بن آلقاسم آلقاساني، وأبو آلعبَّاس أحمد بن إبراهيم آلضبي، وأبو منصور[1] بن المَرْزُبان آلشيرازي، وأبو آلحسن علي بن عبد آلعزيز آلقاضي الجرجاني، ومن أهل خراسان وآلطارئين عليها أبو آلقاسم آلإسكافي وأبويحي آلحمادي، وأبوعلي الدَّامغاني، وأبوأحمد محمد بن آليَسع، وآلأمير أبو آلفضل الميكالي، [وأبو بكر الخُوارِزْمي، وأبو الفتح علي بن محمد البُسْتي]، وبديع الزَّمان أبو الفضل الهَمذاني، وأبو محمد آلحسن بن محمد آلبَرُوجِرْدي، وأبو نصر محمد بن عبد الجبار آلعُتْبيّ.

وهذا ثبت أسمآء شعراء العصر

الذين حللت بعض الكتاب من مُلَح نظمهم

أبو الطَّيّب المتنبي، وأبو فِراس الحَمْداني، وأبو العباس النامي، والسَّريّ الموصليّ، وآلخالديّان: أبو بكر، وأبو عثمان، وآبن سُكَّرة آلهاشميّ، وأبو طالب آلمأموني، والقاضي التَّنوخي، وأبو نصر بن نُباتة، وأبو القاسم

(١) كذا في النُّسختين وفي يتيمة الدَّهر: أبو نصر.

الزَّعفراني، وآبن لَنْكَك البصري، وأبو دُلف آلخزرجي، وأبو الحسن اللّحام، وأبو سعيد آلرُّستمي، وأبو محمد بن مطران الشاشي، وأبو آلحسن السَّلامي، وآبن أبي آلعلاء آلأصفهاني، وأبو محمد آلخازن، وعبد الصَّمد بن بَابَك، وإسماعيل الشاشي، وأبو آلحسن آلجوهري.

ثم إن هذا آلكتاب المشتمل عَلَى الكتب الأربعة عشر مترجم:

بسحر البلاغة وسر البراعة

وأرجو أن يكون آسماً يُوافق مُسمَّاه، ولفظاً يُطابق معناه، بإذن آلله ومشيئته.

بسم الله ٱلرحمٰن ٱلرحيم

كتاب

ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه

مقدمات

الحمد لله تبارك وتعالى، إنّ أَولى ما فغر به ٱلناطقُ فمه، وٱفتتح به كَلِمَه، حمدُ ٱلله، واجبٌ عَلَى كل ذي مقالةٍ أَن يبدأ بٱلحمد قبل ٱفتتاحها كما بُدِيء بٱلنّعمة قبل ٱستحقاقها. الحمد لله كما ٱفتتح كتابه الكريم، وفُرقانه ٱلعظيم. الحمد لله شعارُ أَهل ٱلجنة كما قال ٱلله تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾. حمدُ ٱلله خيرُ ما ٱفتُتِح به ٱلقولُ وٱخْتُتِم، وٱبتُدِيء به ٱلخطاب وتُمِّم. خير كلمات ٱلشكر ما ٱفْتُتِح به ٱلقرآن منِ الحمد لله ربّ ٱلعالمين.

غرر التحاميد

الحمد لله ٱلذي لم يُستفتح بأَفضلَ من ٱسمه كلام، ولم يستنجح بأحسنَ من صنعه مرام. الحمد لله ٱلذي جعل الحمدَ مُستحقَّ الحمد حتى لا ٱنقطاع، وموجِبَ ٱلشكر بأقصى ما يستطاع. الحمد لله مانحِ ٱلأَعلاق، وفاتح ٱلأَغلاق. الحمد لله إبدآء وإعادة. الحمد لله مُعِزِّ ٱلحقّ ومُدِيلِه، ومذلِّ ٱلباطل ومزيلِه. الحمد لله المبين أَيْدُه، المتين كيدُه. الحمد لله ذي ٱلحُجج ٱلبوالغ، وٱلنِّعَم ٱلسَّوابغ، والنَّقم ٱلدَّوامغ. الحمد لله معزِّ الحقّ وناصرِه،

ومذلّ آلباطل وقاصره. الحمدُ لله آلذي أَقلُّ نعمه يستغرقُ أكثر آلشكر. وآلحمد لله آلذي لا خير إلاَّ منه، ولا فضل إلاَّ من لدُنه.

وصف الحمد

حمد لا آنقطاعَ لراتبه، ولا إقلاعَ لسحائبه. حمداً يكون لإنعامه مجازيا، ولإحسانه مُوازيا، وإن كانت آلاؤه لا تجازي، ولا تُوازي، ولا تُباري، ولا تجاري. حمـداً يتردّد أنفاس آلصدور، ويتكرّر تكرّرَ لحظات آلعيون. حمداً يستنزل آلرّحمة، ويستكشف آلغُمَّة. حمداً يبلغ آلحقّ ويقتصيه، ويمتري آلمزيد ويقضيه. حمداً يؤْنس وحشيّ آلنّعم من آلزّوال، ويحرُسها من آلتغيُّر وآلانتقال.

عادة الله جل ذكره

عادة آلله لا تُطلب لها غايةٌ إلاَّ قصرت آلأَوهامُ عنها، ولا تنسخ فيها آيةٌ إلاَّ أتي بخيرٍ منها، لا يزال آلله يجرينا عَلَى أَحسن عادة، ويقسم لنا أَفضل سعـادة. عـادةٌ من آلله كـريمـة لا تَخَلَّف، وعِـدَةٌ من تفضله لا تخلف، عَلَى أحسن ما آعْتِيد، من إحسانه آلعَتِيد، عادةُ آلله جميلة تفوت آلشكر وتسبقه، وتستوعب الحمد وتستغرقه، عادات آلله قد فاتت مرام الهمَم، وشأت تواريخ آلأمم.

صنع الله ولطفه

للدّهر نوآئبٌ تتخرّم وتتطرّف، ثم إنّ غمراتها تتجلّى وتتكشّف، فلله تعالى في أَثنائها آلصنع آلجزيل وآلفرج آلقريب، سبحان من له في كلّ قضيةٍ أَلطافٌ نعرفها ونثبتُها في فضله ونعمته، أَو نجهلها فنـردُّها إلى عدله وحكمته. أحمدُ آلله آلذي لا يخلِي عبادَه من صُنعٍ لهم تنطوي عليه أثنآء

ٱلنكبات إذا طرقت، ولطفٍ بهم يُلين صعابَ ٱلخطوب إذا جَمَحَت. أَلطافُ ٱلله تسير إلى عبادِه في طُرقٍ خَفيَّة المذاهب، رقيقة ٱلجوانب. لله مع كلّ لمحةٍ صنعٌ حفيّ ولطفٌ خفيّ، لله ألطافٌ سيبلغ ٱلكتاب فيها أجلَه، ويعمل ٱلإقبال في إتمامها عمله. صنع ٱلله لطيف، وفضله بنا مطيف.

ذكر الله تعالى في أثنآء الكلام

علّام ٱلغيوب، ومَن بيده أَزِمّةُ القلوب، الخبير بما تُجِنُّ ٱلظمآئر، وتُكِنّ ٱلسرآئر، العالم بما تفضي إليه ٱلأُمور، وبخائنة ٱلأَعين وما تخفي ٱلصدّور، أكرمُ مسؤُول، وأَعظم مأْمول، سميعٌ لراجيه، قريبٌ ممن يناجيه، حكمه مَقبول، وأَمرُه مَفعول، ٱلله يَعلَمُ وهو أَعلمُ شَهيد، وأَقربُ للضمير من حبل الوريد، وكلُّ خير بيديه، وتتوجه ٱلرَّغباتُ إليه، الله ٱلحفيُّ بسآؤله، المشفّع لوسآئله، ٱلذي بيده مقاليدُ ٱلأُمور، ومفاتيح ٱلمقدور، الله منجز عِداتِه، وحافظ عاداته، هو ٱلنافذ أَمرُه، ٱلعزيز نصره، الجليُّ صنعه، الخفيُّ مكره، أَنَّ ٱلله يقضي ما يريد، وإن رَغِمَ أَنفُ ٱلشيطان ٱلمَريد. هو ٱلسميع ٱلبصير، ٱلعالم بما يُجِنُّ ٱلضمير، من له ٱلخلق وٱلأَمر، وسوآء عندهُ ٱلسرُّ وٱلجبر، مولى ٱلخلق، وباسط. ٱلرّزق قد أُحلتُه عَلَى مَلِيّ، وكتبتُ له إلى وفيّ، إنّ ٱلله منجزٌ وعده، ولا خُلف عنده، ٱلأمر له وٱلخَلْق بيديه، وٱلاستعانة به وٱلتَّفويض إليه.

ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم

سليلُ أَكرم نَبْعَة، وقريع أَشرف بُقْعة. جآء بأمته من ٱلظلمات إلى ٱلنور، وأَفآء عليهم ٱلظلّ بعد ٱلحَرُور. محمد نبيّ ٱلله وصفوتُه وخيـرته من بريته، مؤكدُ دَعوته بٱلتأييد. ومفردُ شريعته بٱلتأْبيد، خيرة ٱلله من خلقه. وحجته في أرضه، وٱلهادي إلى حقه. وٱلمُنَبّه عَلَى حُكمه، وٱلدّاعي إلى رشده. وٱلآخذ

بفرضه، مباركٌ مولده، سعيدٌ مورده، قاطعة حُجَجُه. سامية دَرَجُه، ساطعٌ صباحه. متوقّد مصباحه، مظفَّرةٌ حروبه. ميسرةٌ خطوبه، قد أُفرد بٱلزعامة وحده، وحتم بأن لا نبي بعده، نفصح بشعاره عَلَى ٱلمنابر. وبٱلصلاة عليه في ٱلمحاضر، ونعمر بذكره صدور ٱلمساجد، وتستوي في ٱلانقياد لأمره حالتا ٱلمقرّ وٱلجاحد، آخر ٱلإنبيآء في ٱلدُّنيا عصراً. وأوَّلهم يوم ٱلدّين ذكراً، وأرجحهم عند ٱلله ميزانا. وأوضحُهم حُجة وبرهانا، صدع بٱلرسالة، وبلغ في ٱلدّلالة. ونقل ٱلناس من طاعة الشيطان ٱلرّجيم، إلى طاعة ٱلرّحمن الرّحيم. أرسله ٱلله للإسلام قمراً منيراً، وقدراً عَلَى أهل ٱلضلال مُبيراً.

الصلاة عليه مع الافصاح

صلى ٱلله عَلَى محمد خيرِ من ٱفتُتِحَت بذكره ٱلدّعوات، وٱستُنْجِحت بٱلصلاة عليه ٱلطَّلِبات، صلى ٱلله عَلَى محمدٍ نبيٍّ مبعوث، وأفضل وارثٍ وموروث، صلى ٱلله عَلَى كاشف ٱلغُمَّة عن ٱلأُمّة، الناطق فيهم بٱلحكمة، الصادع بالحقّ، الدّاعي إلى ٱلصّدق، محمد رسوله ٱلذي ملكه هوادي الهدى، ودلّ به عَلَى ما هو خيرٌ وأبقى، صلى ٱلله عَلَى بشير ٱلرّحمة وٱلثّواب، ونذيرِ ٱلسطوة وٱلعقاب، محمد ٱلذي أدّى ٱلأمانة مخلصاً، وصدع بالرسالة مُبلغاً ملخّصاً، صلى ٱلله عَلَى أتم بريّته خيراً وفضلاً، وأطيبِهم فرعاً وأصلاً، وأكرمِهم عوداً ونجراً، وأعلاهم منصباً وفخراً.

ذكر الآل

وعَلَى آله ٱلذين عظّمهم توقيرا، وطهّرهم تطهيرا، وعَلَى آله مقاليد ٱلسَّعادة ومفاتيحها، ومَجَاديح ٱلبركة ومصابيحها، أعلام الإسلام، وأمان ٱلإيمان، الطيّبين الأخيار، وٱلطاهرين ٱلأبرار، ٱلذين أذهب عنهم الأرجاس، وطهّرهم من الأدناس، وجعل مودّتهم أجراً له عَلَى ٱلناس، وعَلَى آله ٱلذين هم حبل

الهدى، وشجرةَ آلتقوى، وسفينة آلنَّجاة آلعُظمى، وعروة آلدّين آلوُثقى. الذين هم زينَةُ الحياة، وسفينة آلنجاة، وشجر آلرّضوان، وعشيرة آلإيمان، وعَلَى آلشجرة آلتي أصلها نبوّة، وفرعها مُروّة، وأغصانها تنزيل، وورقها تأويل، وخدمُها جبريل وميكائيل.

ذكر القرآن

حبل آلله الممدود، وعهده المعهود، وظلّه العميم، وصراطه المستقيم، وحُجتُه آلكُبرى، ومَحَجَّتُه آلوُضْحى، هو آلواضح سبيله، الراشد دليله، آلذي مَن استضآء بمصابيحه أبصر ونجا، ومن أَعرض عنها زلّ وهوى، فضآئل آلقرآن، لا تستقصى في ألف قِرَان. حجة الله وعهده، ووعيده ووعده، به يعلم الله الجاهل، ويعمل آلعاقل. وينتبه آلساهي، ويتذكّرُ آللاّهي. بشير آلثُّواب، ونذير آلعقاب. وشفآء آلصدور، وجِلآء الأُمور. من فضآئله أَنه يقُرأ داثباً ويكتب، ويُمَلّ فلا يُملّ. ما أهونَ آلدُّنيا عَلَى مَن جعل آلقرآن إمامه، وتصوّر الموت أمامه. طوبى لمن جَعَل آلقرآنَ مصباح قلبه، ومفتاحَ لبهّ. من حقّ آلقرآن حفظُ ترتيبه، وحسن ترتيله.

آخر كتاب ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ وكتابه ولله الحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأزمنة والأمكنة
وما يتصل بها ويشاكلها

[في الربيع وإقباله]

قد أَقبل آلرّبيع بأسعد فاله، والحسنُ وآلطيبُ في إقباله. أقبل آلرّبيع يتبسّم، ويكادُ من الحسن يتكلّم. تنفَّس آلرَّبيع عن أنفاس الأَحباب، وأَعار الأَرض أثواب آلشباب. تنفّس فنفّس عن المكروب، وأَهدى آلرَّوح وآلرّاحة للقلوب. استخرج من زهر البساتين، ما دفنته يد آلكوانين. جآء يجُرّ أذيال آلعرائس، وينشر أَجنحة آلطواوس. تبلَّج عن وجهٍ بِهَج، وجوٍّ غَنِج، وروضٍ أَرِج، وطيرٍ مُزدوج. أَقبل برائحة الجِنان، وراحة آلجَنان، أَسفر عن ظلٍّ سَجْسَج، ومآء سَلسَل وروضٍ مدبَّج. جآء مُعيداً للأُنس آلعازب، ومُطلعاً للهو آلغارب. تبلَّج عن نُوره، وتفتَّح عن نَوره. لاحت مناهجه، وراقت مباهجه. مرحباً بالفصل، الجامع لأحكام آلفضِل، زائر من القلوب قريبٌ، وكله حُسنٌ وطيب. زائرٌ لباسه حرير، وأَنفاسه عَبِير. انكشَفتْ غُمَّة الشتآء آلكالح عن غرَّة آلرّبيع آلضاحك، أَذال آلرّبيع أَذيال الحرير، وعبّرت أَنفاسه عن آلعَبِير. تبدّل آلشباب من المشيب، وبرز في مِطْرِفه آلقَشِيب. عطّر السهول وآلوُعور، فعطّل المسك وآلكافور. الزمانُ معتدل، ووجهه طَلْق مقتبل. وسحابه ماطر، وترابه عاطر، كأَنّ الجنة قد نزلت إلى الأَرض في أَبهى حُلَلها وأَنفس حُلاِها، وما تشتهي آلأنفسُ وتَلَذُّ آلأَعين منها، قد تبرَّجت

ٱلأَرض للنّظّارة، وبرزت في مَعْرض ٱلحسن وٱلنَّضارة، لبِسَت ٱلأَرض قناعها ٱلأَخضر، ونضَت شِعارها ٱلأَغبر. حاك الرَّبيعُ حُلَل ٱلأَزهار، وصاغ حُلٰى ٱلأَنوار.

في النسيم ووصف أثره

زائرٌ وجهه وَسِيم، وفضله جسيم، وريحه نسيم، قد سفر ٱلرَّبيع عن خُلق ٱلكريم، ونَطَق بلسان ٱلنسيم. وأَفاض مآء ٱلنعيم، هبَّ ٱلنسيم من ٱلكرى، وهبَّ عَلَى ٱلورى، وعطّر ٱلثرى. جرَّ عَلَى ٱلأَرض أُزُرَه، وحلَّ عن جَيُب ٱلطّيب زِرَرَه. نسيم ٱلرّيح، نسيب الرُّوح، قد ركضت خيول ٱلنسيم في ميادين ٱلرّياض. يا لك من منظرٍ جِنانيّ، ومآءٍ فِضيّ، ونسيمٍ عطريّ، قد حلّت يدُ ٱلمطر أزرار ٱلأَنوار، وأذاع لسانُ ٱلنسيم أسرارَ ٱلأَزهار.

في وصف الرياض

روضةٌ رقَّت حواشيها، وتأَنَّق واشيها، روضة كٱلعقود المنظّمة، عَلَى ٱلبرود ٱلمنمنمة. روضة قد نشرت طرائف مطارفها، ولطآئفَ زخارفها، فطُوي لها ٱلدّيباج الخسُروانيّ، ونُفي معها ٱلوَشْي ٱلإسكندرانيّ. روضةٌ قد راضتها يدُ ٱلمَطر. روضة دبّجتها أَيدي ٱلنّدى. أَخرجَت ٱلأَرض أَسرَارها، وأَظهرت يد ٱلغيث آثارها، وأطلعت ٱلرّياض أزهارَها. الرياض كٱلعرائس في حُلَيّها وزخارفها، والقِيَانِ في وَشْيِها ومَطارفها، باسطة زَرابيَّها وأَنماطَها، ناشرة حِبَرَها ورِياطها، زاهية بحمرآئها وصَفْرآئها، تائهة بعَوَانها وعذرائها، كأَنما ٱحتفلت لوفد، أَو هي من حبيبٍ عَلَى وعد. روضة قد تضوّعت بٱلأَرَج ٱلطّيب أَرجآؤُها، وتبرّجَت في ظُلل ٱلغمام صحرآؤُها، وتفاوحت بنوافج ٱلمسك أنوارُها، وتعارضت بغرآئب ٱلنُّطق أطيارُها.

في وصف البساتين

بُستانٌ رَقَّ نَوْره آلنَّضيد، وراق ورقه آلنَّضير. بُستانٌ غُصنهُ خَضِر، ورَبْعُه خَصِب، ونَوْرُه نَضِر، ومآؤه خصر. بستانٌ كأنه أنموذَج آلجَنَّة. بستان لا يَحِلّ لأريب أن لا يحُلّ به. بستان أرضه للبقل وآلرَّيحان، وسمآؤه للنَّخل وآلرُّمان. بستانٌ أنهارُه مفروَزة بآلأزهار، وأشجاره مُوقَرة بالثّمار، أشجار كآلعذارى يُسرّحنَ آلضفَّآئر، ويَنْشُرن آلغدآئر. أشجارٌ كأنَّ آلحورَ أعارَتها قُدُودها، وكستها بُرُودَها، وحلَّتها عُقُودَها.

في ذكر النرجس والورد والشقائق

الرّبيعُ شبابُ آلزَّمان، ومقدّمة آلورد وآلرّيحان. زمن آلورد مَوْموق مَرْموق، وكأنه من آلجنة مسروق. قد ورد كتاب الورد، بإقباله إلى أهل آلوُدّ، إذا ورد آلوَرْد، صدر آلبرد، مرحباً بأشرف آلزَّهر، في أظرف آلدّهر، كأنَّ عين آلنَّرجس عين، ووَرَقَه وَرِق، آلنرجس نزهة آلطرف، وظَرف آلظَّرف، وغذآء آلرُّوح، ومادّة آلرَّوح، شقائق كتيجان آلعقيق عَلَى آلزُّنوج، كأنها أصداغُ آلمسك عَلَى الوجَنَات الموّردة. شقائق كآلزُنوج تجارجت فسالت دِماؤُها، وضَعُفت فبقي ذَماؤُها.

في غناء الأطيار

الأرض زُمرّدة وآلأشجار وَشْي، وآلمآء سيوفٌ وآلطيور قِيَان. قد غرّدت خُطبآء آلأطيار، عَلَى منآبر آلأنوار وآلأزهار، إذا صدَح آلحمام، صدع قلب المستهام، أنظر إلى طرَب آلأشجار، لغنآء آلأطيار. ليس للبلابل، كخَمر بابل، عَلَى غنآء آلبلابل.

في وصف أيام الربيع

يوم سماؤُه فاختيّه، وأَرضه طاوُسيّة. يومٌ جلابيب غيومه صِفَاقٌ، وأَرْدِيَة نسيمه رِقَاق، يومٌ مُعَصفْر السمآء، ممسَّك الهوآء، معنبر الرياض مصندل آلمآء. يوم سمآؤه كآلخز آلأدكن، وأَرضُه كآلديباج آلأَخضر. يومٌ تبسّم عنه آلرَّبيع، وتبرّج فيه آلرّوض آلمَرِيع. كأَن سمآءه مأتم، وأَرضه عرس.

مقدمة المطر

لبست آلسمآءُ جِلْبابها. سَحَبَ آلسحاب أذياله. احتجبت آلشمس في سُرَادق الغيم، ولبس الجو مِطْرَفه الأدكن. باحت آلرّيح بأسرار آلندى. ضربت خيمة الغمام، وقام خطيب آلرّعد، ونبض عرق آلبرق، سحابة رعدُها يُصِمّ آلأُذُن، وبرقها يَخْطَف آلعين. سحابةٌ آرتجزت رواعدُها، وأَذهبت برُوقها مطاردها. نطق لسانُ آلرَّعد، وخفق قلب البرق. الرّعد ذو صَخب، والبـرق ذولَهَب. ابتسم البـرق عن قهقهـة الـرّعـد. زَأَرت أُسـدُ الـرَّعـد، ولمعت سيوف البرق. رعدت الغمائم وبرقت، وآنحلّت عَزَالىٰ السمآء فطبقت. سحابةٌ هدرت رواعدها، وقربت أَباعدها، وصدقت مواعدُها. كأَنَّ البرق قلب مشوق، بين التهاب وخفوق.

في السحاب والمطر

انحلّ عَقْد السمآء، وهي عِقْد الأَنوآء. انحل سِلْكُ القَطر، عن دُرّ البحر. أرخت السمآء عَزَاليها، وأغرقت الأَرض وسحّت نواحيها. هطلت بمثل أَفواه القِرَب، انتثرت كآنتثار العقود. استعار السحاب جُفون العشاق، وأَكُفَّ الأَجواد. انحل خيط السمآء، انقطع شِرْيان الغمام. سحابةٌ تنخل علينا مآء آلبحر، وتفضّ لنا عقود آلدّر. سحابٌ حكى آلمحبّ في آنسكاب دموعه،

وآلتهاب آلنار بين ضلوعه، سحابةٌ تحدو من آلغيوم جبالا، وتمُدُّ من آلأَمطار جبالا. سحابة ترسل آلأَمطار أمواجا، وآلأَمواجَ أفواجا. تحلّلت عُقدُ آلسمآء بآلدِّيمَة الهَطْلا. غيثٌ أجشُّ يُروي آلهِضَاب وآلآكام، ويحيي آلنبات وآلسَّوَام. غيثٌ كغزارة فضلك، وسلاسة طبعك، وصفآء وُدّك. وَبْلٌ كآلنبل. سحابةٌ يضحك من بكائها آلرَّوض، وتخضرّ من سوادها آلأرض. سحابة لا تجفُّ جفونها، ولا يخفّ أنينها، دِيَمةٌ روّت أَديم آلثرى، ونبَّهت عيونَ النَّوْر من آلكرى. سحابة ركبت أعناق آلرّياح. مطرٌ كأفواه آلقِرَب، ووحل إلى آلرُّكب. أَنْدِيَةٌ قد منَّ آلله معها عَلَى آلبيوت، بآلثبوت، وعَلَى آلسقوف، بآلـوقوف.

في وصف الماء وما يتصل به

مآءٌ كآلزُّجاج آلأَزرق، غديرٌ كعين آلشَّمس، موارد كآلمَبَارد. مآء كلسان آلشمعة، أَصفى من آلدّمعة، يسيح في آلرَّضراض، سَيْح آلنَّضْناض. مآء إذا مسَّته يدُ آلنسيم حكى سلاسل الفضة. مآء إذا صافحته راحة الرِّيح، لبس الدّرع كآلمسيح. مآء يتصندل ويتسلسل. كأنَّ الغدير بنبات المآء مصندل مُطَيّر، بِرْكَةٌ كأَنها مرآة السمآء، بِرْكَةٌ مفروزة بآلخضرة ردآء، كأَنها مرآة مَجْلُوَّة عَلَى ديباجة خضرآء، غديرٌ ترقرقت فيه دموع السحآئب، وتواترت عليه أَنفاس الرّياح الجنآئب. غديرٌ ساكنٌ إلاّ من نسيم الصبًا يحرّكه بأنفاسه، وينقش وجهه بأَرواحه. مآءٌ يبوح بأسراره وصفاؤُه، ويلوح في قراره حصباؤُه، مآء كأنما يفقده من يشهدهُ. مآءٌ أرقّ من دُموعي فيك وأعذب من أَخلاقك، وأبرد من فعل الزّمان حين رماني بفراقك. نهرٌ يتسلسل كالزّرافين، ويرضع أولاد الرّياحين.

في ذكر الصيف ووصف الحر

قوي سلطان آلحرّ. فُرِش بساط آلجمر. أَقبلت أوائل آلحرِّ، وغيّر الهوآء

طبعه، وبدّل مزاجه. حرّ ٱلصيف، كحد السيف. أوقدت ٱلشمس نارها، وأذكت أُوَارها. حرٌّ يَلْفَح حُرّ ٱلوجه. حرٌّ يشبه قلب ٱلصبّ. ويذيب دماغ ٱلضبّ. هاجرةٌ كأنها من قلوب ٱلعُشْاق، إذا ٱشتعلت فيها نارُ ٱلفراق. هاجرة تَحكي نار ٱلهجر، وتذيب قلب ٱلصخر. كأَنّ ٱلبسيطة من وَقدة ٱلحرّ، بساطُ من ٱلجمر. حرّ يَهْرُب له ٱلحِرْ بآء من ٱلشمس. قد صَهَرَت الهاجرةُ من ٱلأبدان، وركبت ٱلجَنَادِب ٱلعيدان. حرٌّ يُنْضِج ٱلجلود، ويذيب ٱلصيْخود. أيامٌ كأيام ٱلفرقة ٱمتداد، وحرٌّ كحرّ ٱلوجد ٱشتداداً حرٌّ لا يطيب معه عيش، ولا ينفع ثلجٌ ولا خَيْش. حَمارّة ٱلقَيْظ، تغلي بصدر ٱلغيظ، آبَ آبُ يَجِيش مِرْجَله، ويثورُ قَسْطَله. هاجرةٌ كقلب ٱلمهجور، وٱلتنُّورِ المَسْجُور. هاجرة كٱلسَّعير ٱلجاحم، تجرّ أَذيال ٱلسمآئم، ظلها يَحْمُوم، وماؤُها محموم.

ذكر الخريف

انحسر قناع ٱلصيف. خفّ سلطان ٱلحرّ. خَبَتْ جمرة ٱلهواجر. جاشت جيوش ٱلخريف. فرّرت رايات المَصِيف، قد أَخذ ٱلبرد يجمشنا بلواحظه، ويقرصنا بأَنامله. أخذت عواصفه تَهُبّ، وأقبلت عقاربه تَدِبّ. قد حلّت ٱلشمس ٱلميزان، وعدَّل ٱلزّمان ٱلميزان، لَفْح ٱلمصيف قد كفّ، ووقع ٱلشمس قد خفّ، خفّت الرّياح، وجفّت ٱلأعواد.

في الشتاء ووصف البرد والثلج والجمر

ألقى ٱلشتآء كَلْكَلَه، وأحلّ بنا أَثقاله. مدّ ٱلشتآءَ رِواقه، وأَلقى أرواقه، وحلّ نِطاقه. ضرب ٱلشتآء بجرانه، وٱستقلّ بأَركانه، أَناخ بنوازله، وأرسى بكلاكله، وكلح بوجهه، وكشَر عن أَنيابه. في ٱلشتآء كلَب، وفي ٱلهوآء غِلَظ، قد عادت هامات ٱلجبال شِيبا، ولبست من ٱلثلج مُلآء قَشِيبا. شابت مفارق ٱلبروج، لتراكم الثلوج. ألمّ المشيب بهامات بيّضت لِمَمُها، قد صار

آلبرد حجابا، وآلثلج حِجازا، بَرْدٌ يعبس له آلوجه آلطَّلْق. بردٌ يَزوي آلوجوه، ويعمش آلعيون، ويسيل آلأنوف. بَرْدٌ يُغيّر آلألوان، ويُقشّف آلأبدان. بردٌ يُقضقضُ آلأعضاء، وينفض آلأحشاء. بردُ أجمدَ آلرّيق في آلأشداق، وآلدّمع في آلآماق. حال بين آلكلب وهَريره، وآلأسدِ وزئيره، وآلطّير وصَفِيره، وآلماء وخَرِيره، نحن بين لَثَقٍ ودَمَقٍ وزَلَق.

في الاستظهار على البرد

ليس للبَرد كآلبُرْد والجمر، إذا كلب آلشتا، فدِرْيَاق سمومه آلصِّلا.

في نعت الأيام الشتوية

يومٌ كأنّ آلأرض شابت لهوله. يومٌ فضيّ آلجِلْباب، مِسكيّ آلنِّقاب. يوم عبوسٌ قَمْطَرِير، كشر عن ناب آلزّمهرير، وفرش آلأرض بآلقوارير. يومٌ أخذت آلشَّمال زمامه، وكساه آلصِّرّ ثيابه. يومٌ كأنَّ آلدُّنيا فيه كافورة. وآلأرضَ قارورة، وآلسماءَ بلّورة. يومٌ أرضه كآلقوارير آللّامعة، وهوآؤه كآلزنّابير آللّاسعة. يومٌ أرضه كآلزُّجاج، وأعالي آلزِّجاج. يوم يثقُل فيه آلخفيف إذا هجم، ويخفُّ آلثقيل إذا هجر.

أبواب ذكر الليل والنهار

ووصف أوقاتهما، واختلاف أحوالهما، وما يتصل بهما

في ذكر اقبال الليل وانتشار الظلمة وطلوع الكواكب

أقبلت عساكر آلليل، خفقت رايات آلظلام، خلع آلليل علينا فَرْوتَه، وألبسنا آلظلام بُرْدَته. تفقّد آلشَّفَق، في ثوب آلغَسَق، قيّد آلظلام آلحاظ آلعيون. وستره آلظلام بذيله. أقبلت وفود آلنجوم. جآءت مواكب آلكواكب.

تفتحت أزاهير آلنجوم. نوّرت حدائق آلجوّ. أذكى آلفَلَكُ مصابيحه، طفت آلنُّجوم في بحر آلدُّجى.

ذكر الليالي المظلمة

لبس الليل جِلْباباً من آلقار، ليلةٌ كجناح الغراب، وشعر آلشباب، وحدَق آلحسان، وذوآئب آلعذارى. ليلةٌ كأَنها في لباس بني آلعباس، كأنها في لباس آلثكالى، كأنها من آلغَبش، موكب آلحبَش. ليلةٌ يضلّ بها الغَطَاط، ولا يُبصر فيها الوطواط. ليلةٌ قد حلك إهابُها، وكأَن الفجر يهابها. ليلة آستعارت لون آلخيل الدُّهْم، كأنَّ آلأَرض مصبوغة فيها بآلمَدِاد.

في ذكر الليالي الطلقة الطيبة المشكورة

ليلةٌ سَحَرٌ كلُّها. ليلةٌ كأَنها نهار. ليلةٌ من حسناتِ الدَّهر. ليلة هوآؤُها صحيح ونسيمها عليل. ليلةٌ كبُرد الشباب. ليلةٌ فِضّية الأديم، مِسْكيِّة النّسيم. ليلةٌ هي لمعة العمر، وغرَّة الدَّهر. ليلةٌ مسكيّة الأديم، كافوريّة النجوم. ليلةٌ رقد الدَّهر عنها، وطلعت سعودها، وغاب عذالها. ليلة كآلمسك منظرُها ومخبرُها. ليلةٌ هي باكورة العمر، وبِكْرُ الدَّهر. ليلةٌ يلتقي طَرَفاها. ليلة ظلماتها أنوار، وطِوال أُوقاتها قِصار. ليلةٌ كما شآء آلمحب. ليلةٌ مسروقةٌ من الدَّهر، ليلةٌ مريضة النسيم، صحيحة آلهوآء، مَوْشيِّة بالنجوم، مطرّزة بالقمر.

في ضد ذلك وذكر طول الليل

ليلةٌ من غُصَص الصـدر، ونِقَم الدَّهـر. ليلةٌ كلها غيـوم وغمـوم. ليلةٌ كمـا شـآء الحسود، وسآء آلوَدود. ليلة كأن أول يوم آلحشر آخرُها. ليلةٌ قُصّ جناحُها، وضل صباحُها. ليلة كليل آلأعمى. ليلٌ ثابت آلأطناب طامي آلغَوارب، طامحُ آلأمواج وافي الذَّوائب. ليلٌ كأن نجومه نجوم الشيب. ليلٌ كأن نجومه عُقلت

فلا تسير، ولا تدور ولا تغور. ليالٍ ليست لها أَسحار، وظلماتٌ لا تتخللها أنوار.

فيما يذكر من السهر لاعتراض الهموم والفكر

بات فلان بليلة نابغيّة، بات بليل آلسقيم، بات بليل آلسليم، بات في آلصيف بليلة شتوية، سامرته آلهموم، وعانقته آلغموم، قد توسّد ذراع آلهمّ، وافترش مِهاد آلغمّ، قد آكتحل آلسهاد، وآفترش آلقَتاد، اكتحل بمَراوِدِ الأَرَق، وتقلّب عَلَى مراقد آلقلَق، جفا أَجفانه آلكرى، كأَنما خلقت عيناه للسهر، النجوم شهود سهاده، كأَن آلنوم قد غضبَ عَلَى مآقيه، اكتحل بمُلْمُول آلسهر، وتململ عَلَى فراش آلفكر، أَقضّ مِهادُه، وقلِق وسادُه، همومٌ تفرّق بين الجنب والمِهاد، وتجمع بين آلعين وآلسُّهاد، سهرٌ يفتق الجفن، ويقذي آلعين، ويؤذي آلقلب، ويوحش آلنفس. طرفٌ برعي آلنجوم مطروف، وفراشٌ بشعار الهمّ محفوف، كأَنه عَلَى آلنجوم ريب، وللظلام نقيب.

ذكر النعاس والنوم

شرب كأس آلنعاس، آنتشى من خمر آلكرى، خاط آلنعاس جفونه، أخذ آلكرى يجمشه، بل ثقل رأس، وتقاضي نعاس، عسكر النعاس بطرفه، وخيّم بين عينيه وجَفنه. خاض ضَحْضاحَ آلكرى، ملأ آلنعاس جفنه، وشغل عينه. مال مع آلنعاس. مس آلنوم مقلته. غلبته عيناه. كأن آلنعاس يطالبه بدَين. غَشِيَه نعاسُ آلوَحدة، ضرب عَلَى أُذنه وقد ملأ عينه، غرق في لُجَّة آلكرى. تمايل من سكرة آلنوم. غفوة كحَسْوة آلطآئر، نومه كلا ولا قلة، وكتصفيقة آلطآئر خفّة، كَحَلَ الليل آلورى بآلرُّقاد، وشامت الأجفان أعينَها في الأغماد، عَبَث آلكرى بهم، وأرخى مفاصلهم، وأمال أعناقهم.

انتصـاف الليل

قد تنصفنـا عمرَ آلليل، وآستغرقنا شبابه. مضى من آلليل صدره، وآنقضى شطره. اكتهل آلظلام. شاب رأس آلليل. كاد يَنِم آلنسيمّ بالسَّحَـر، آلصبح حَمْلٌ بين أحشآء آلدّجى.

تناهي الليل وتصرمه

انكشف غطآء آلليل. انهتك ستر آلدُّجى. رُفع سِجَفْ آلظَّلام، رق ثوب آلدُّجى، نعى آلدّيك آلظلام، هَرِم اللَّيل، وشَمِطت ذوائبه، وتقوَّس ظهره، وتصرَّم عمره، قُوِّضت خيام آلظلام، خلع الأُفق ثوب آلدُّجى، استردّ الليل خِلْعته، انتقب الليل بالصبح، أعرض آلظلام وتولى، وتدلىَّ عنقود آلثرَيا، طرّز الصبح قميص الليل، باح آلصباح بسرّه، خلع الليل ثيابه، وحدَر آلصبحُ نقابه.

إقبال الصبح وانتشار النور

لاحت تباشير آلصبح، افترَّ آلفجر عن نواجذه. ضرب آلصبح في آلدُّجى بعموده. تبسّم عن نوره. فتك آلصبح بالليل، بشّر آلدّيك الصبح، سلّ سيف آلصبح في قفا آلظلام. بثّ آلصبح طلائعه. نشر ثياب آلنور. تبرقع وجه الليلُ بغرّة آلصبح أطار بازي آلنهار غراب الليل. عزلت نوافج المسك بشَمّامات آلكافور، وانهزم جند الظلام من عسكر النور. خلعنا خِلْعة آلظلام ولبسنا ردآءَ آلصبح، ملأ الأُذان الآذان، بَرَق آلصباح، وسطع آلضوء، وطلع آلنور، وأشرقت الدُّنيا، وأضآءت الآفاق.

افول النجوم

مالت الجوزآء للغروب، ولّت مواكب آلكواكب، تناثرت عقود آلنجوم

تعطّل الأُفق من حُلّي آلكواكب، تفرّقت أسراب آلنجوم، فرّت من حدق الأنام، وَهي نِطاق الجوزآء، وآنـطفـأت قناديل آلثّريا.

طلوع الشمس وانبساط الضوء

بدا حاجبُ آلشمس. ذَرّ قَرن الشمس. ارتفع الحجاب عن حاجبها. لمعت الشمس في أجنحة آلطير. كشفت قناعها، ونشرت شعاعها. ارتفع سُرادقها، وأضآءت مشارقها. انتشر جناح آلضو، في أُفق الجوّ. طنّب شعاع آلشمس في الآفاق، وذهّب أطرافَ الجدران. افتضضنا عُذْرة آلصباح.

منوع النهار

أيفعَ آلنهار وارتفع. ترجّلت آلشمس. استوى شباب النهار. علا رَوْق آلضحى.

انتصاف النهار

بلغت آلشمس كبد آلسمآء، انتعل كلّ شيء ظله، قام قائم الهاجرة، رمت الشمس بجَمَرات الهَجِير.

اصفرار الشمس وغروبها

اصفرّت غِلالة الشمس، صارت كأنها الدّينار، يلمع في قرار المآء، نفضت تِبْراً عَلَى الأصيل، وشدّت رَحلها للرّحيل، بقل وجه النهار، وطرّ شاربه، تصوّبت الشمس للمغيب، وتضيّفت للغروب، وآذن جنبُها بالوُجوب، شاب النهار، وأقبل شباب الليل. وقعت الشمس للغيار، وشافَه الليل لسان آلنهار. شَرِقت الشمس بروحها، جنحت للغروب، وشارفت درح الوجوب، الغزالة مصوّبة للغروب، مؤذنة بآلمغيب. والجوّ في أطمارٍ مبهجة من أصائله،

وشفوفٍ مورَّسة من غلائله. استتر وجه الشمس بالنقاب، وتوارت بالحجاب.

ذكر ابتداء الليل إلى انتهائه

كان ذلك من مُفْتَتَح النهار إلى مُخْتَتَمه، ومن قَرْنه إلى قدمه، من مطلع الفَلق، إلى مجمع الغَسَق، فلان يركب في مقدّمة الصبح، ويرجع في ساقة الشّمس، من حين تفتح الشّمس جَفْنها إلى أن تغضّ طرفها. من حين تسكُن الطّير في أوكارها، إلى أن تنزل السُّراة من أكوارها.

أبواب الأمكنة والأبنية

في وصف البلاد

بلدةٌ كأنها صورة جنة الخُلد، منقوشة في عُرْض الأرض. بلدةٌ كأن محاسن الدُّنيا مجموعة فيها، ومحصورة في نواحيها، بلدة ترابُها عَبِير وحصباؤُها عقيق، وهوآؤُها نسيم ومآؤُها رحيق. بلدة معشوقة السُّكْنى، رحيبة المثوى. كوكبها يقظان، وجوُّها عُرْيان، وحَصاها جوهر، ونَسيمُها مُعَطَّر، وتُرابها مِسْكٌ أذْفر، ويومُها غَداةٌ وليلُها سَحَر، فطعامها هنيٌّ، وشرابُها مريّ. بلدةٌ واسعةُ آلرّقعة، طيّبةُ آلبُقعة. كأَنَّ محاسنَ آلدُّنيا فيها مفروشة، وصورة آلجنَّة بها منقُوشة، واسطة آلبلادِ وسُرّتُها، ووجهها وغُرّتها.

في ضد ذلك

بلدٌ مُتضايقُ آلحدود وآلأَفْنِيَة، مُتراكبُ آلمنازل وآلأَبنية. بلدةٌ حرُّها مُوذي، ومآؤُها موبي. بلدةٌ وسخةُ آلسمآء، وَمِدَة آلهوآء. جوُّها غبار، وأَرضُها خَبَار، ومآؤُها طينٌ، وترابُها سِرْجين، وحيطانُها نزُوز، وتشرينُها تموز، فكم في شمسها من محترق، وفي ظلّها من غَرِق. بلدةٌ ضيّقة آلدّيار، سيئة آلجوار،

حيطانُها أخصاص، وبيوتُها أقفاص، وحشُوشُها مَسابل، وطرُقُها مزابل.

في ذكر الوطن

بلدةٌ هي عُشه، وبها منزله وعيشه. بلدٌ لا يُؤْثر عليه بلداً، ولا يصبر عنه أبداً، عُشّه ٱلذي فيه دَرَج، ومنه خرج. مقطع سُرّته، ومجمعُ أُسرته. بلدٌ أنشأته تربته، وغذاه هوآؤه، وربّاه نسيمهُ، وحُلَّت عنه ٱلتمائم فيه.

في الحصون والقلاع

حصنٌ كأَنه عَلَى مَرقب ٱلنجم، ومجيرٌ من ٱلقَدَر ٱلحَتْم. حصنٌ يحسر دُونه ٱلناظر، ويقصر عنه ٱلعقابُ ٱلكاسر. يكاد من عُلاه يغرف من حوض ٱلغمام، كأنه فوق ٱلسّحاب سحاب. حصنٌ ٱنتطق بٱلجوزآء، وناجت بروجه أبراجَ ٱلسمآء. قلعةٌ قد حلَّقت في ٱلجوّ كأنها سحابة، كأَن الغمامة لها عِمامة، كأنها تُناجي ٱلسمآء بأسرارِها. قلعةٌ بَعُد في ٱلسمآء مرتقاها، حتى تساوى ثراها مع ثريّاها. قلعةٌ تتوشّح بٱلغُيوم، وتتحلّى بٱلنّجوم. أَصلُها في ٱلتُّخوم، وفرعُها في ٱلنّجوم. قد حلّق جناحُها إلى عَنان ٱلنّجم. شمّآء عن المرتقي، صمّآء عن ٱلرّاقي. قد جاوزت ٱلجوْزآء سَمْتاً، وعزلتِ ٱلسِّماك ٱلأعزل سمكا. هي في ٱلحصانة متناهية، وبٱلوثاقة موْصوفة، ممتنعةٌ عَلَى الطلب وٱلطالب. منصوبةٌ عَلَى أضيق ٱلمسالك وأوعر ٱلمناصب. لم تزدْها ٱلأيام إلاّ نُبُوّ أعطاف، وٱستصعاب جوانب وأطراف، قد ملّ ٱلوُلاةُ حِصارَها ففارقوها عن طِمَاحٍ منها وشِمَاس، وسئمت ٱلجيوش ظلها فغادرتها بعد قنوطٍ وياس، فهي حمىً لا يُراع، ومَعْقِلٌ لا يُستطاع. تعطِسُ بأَنفٍ شامخٍ من ٱلْمَنْعَة، وتنبو بعطِفٍ جامحٍ عَلَى ٱلخطبة، كأَن ٱلأيام صافحتها عَلَى ٱلإعفاء من ٱلحوادث، وٱلليالِيَ قد عاهدتها على ٱلتسَّليم من ٱلقوارع. قلعةٌ تحوي من ٱلرِّفعة قدراً لا تُستهان مواقعه، وتلوي في ٱلْمَنْعَة جيداً لا تُستَلانُ اخادعُه،

ليس للوهم قبل آلقدَم إليها مَسْرٰى، ولا للفكر قبل آلخَطْو نحوها مجرى.

في القصور

قصرٌ كأَنَّ شُرُفاته بين آلنَّسر وآلعَيّوق، كأنها تُسامي آلفَرْقد. قصرٌ يُرْتقى من سطحه إلى آلشِّعْريين. آكتست له آلشعرى آلعَبُور، ثوب آلغَيُور. قصرٌ طال مبناه، وطاب مغناه، كأنه في آلحصانة جبلٌ منيع، وفي آلحسن ربيعٌ مريع شُرُفاتٌ كآلعَذَارٰى شددن مناطقهنّ، وتوجّن بآلأكاليل مفارِقهن. قصرٌ أقرّت له آلقُصور بآلقُصور عنه، كأَنه سِحَاب، في نحر آلسحاب.

في الدور السرية

دارٌ قَوراَء تُوسع آلعين قُرّة، وآلنَّفس مسرّة، كأن بانيها آستسلف آلجنة فعجلت له، دارٌ تخجل منها الدُّور، وتتقاصر لها آلقصور، إن مات صاحبها مغفوراً له فقدِ آنتقل من جنةٍ إلى جنة. دارٌ قد آقترن آليُمن بيُمناها، وآليسرُ بيُسراها، الجسوم منها في حَضَر، وآلعيون منها عَلَى سَفَر. دارٌ هي دائرةُ آلمَيَامن، ودارةُ المحاسن، دارٌ دارَ بآلسعد نجمُها، وفاز بآلحسن سهمُها. دارٌ قد أخذت أَداة الجِنان، وضحكت عن آلعبقريّ آلحِسَان. دارٌ يخدمها آلدَّهر، ويأْويها آلبدر، ويكنُفُها آلنصر. دارٌ هي مَرتعُ آلنواظر، ومُتَنفَّس آلخواطر. دارٌ كأنها خان، يدخلها من وفى ومن خان. صحنٌ تسافر فيه آلعيونُ، بَهْوٌ بَهيّ، ورُواقٌ رآئق، بيتٌ فضيّ الحيطان، رُخامي الأَركان.

في الدور المتداعية الخالية

دارٌ لبِسَت آلبِلىٰ، وتعطّلت من آلحُلى، فحالها تصفُ للعيون آلشكوى، وتُشير إلى ذَمِّ آلدُّنيا. دارٌ قد صارت منهم خالية، بعد ما كانت بهم حالية.

دار قد أُنهض ٱلدّهرُ سُكّانها، وأقعد حيطانها، شاهدُ اليأْس منها ينطق، وحبل الرّجآء فيها يقصر، وكأَنّ عُمرانها يطوى، وخرابها يُنْشر، أَركانُها قيامٌ وقعود، وحيطانها رُكّعٌ وسجود، سقفها أرض، وأَرضها تلّ.

آخر كتاب الأَزمنة والأَمكنة ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب أحوال الإنسان

من لدُن صِغَره ونمآئه، إلى كِبَره وٱنتهآئه

في ذكر الصبية الصغار

صِبْيَةٌ كفراخ ٱلعشوش، وأولاد الخفافيش. صِبْيَةٌ يسعهم قَفِيز. أولاد جُلُّهم صِبْيان، أكابرهم أَصاغر، كأنهم أفرُخ زُغب. صِبْيانٌ كأنهم صِئبان، ووِلدانٌ كأنهم كيزان، قد أَرضعتْه بلِبَانها، وحملتْه عَلَى لَبَانها. طفلٌ قريبُ ٱلعهد، بٱلمهد.

في حسن مخايل المولود

شَهِدَتْ له ٱلفِراسةُ رضيعا، أَن لا يكون وَضيعا. وٱلمخايلُ فطيما، أَن يكون سَمْحاً كريما، وٱلشواهدُ صبيّا، أن ينزِلَ مكاناً عليّا. وٱلشمآئلُ غلاما أَن يكون قَرْماً هماما.

في ذكر الغلام الامرد ووصف محاسنه

زاد جماله، وأَقمرَ هلاله. تَرَقْرَق في وجهه مآءُ ٱلحسن. شادنٌ فاتِن، طَرْفه فاترٌ، ونظره ساحر. غُلامٌ تأْخذُه ٱلعَيْن، ويقبله ٱلقلب فترتاحُ له ٱلرُّوح. تكادُ ٱلعيونُ تأْكُلُه، وٱلقلوبُ تشربُه. جرى مآءُ ٱلشَباب في عوده فتمايَلَ كٱلغُصْن، وٱستوفى أقسام ٱلحسن. لبِس دِيباجةَ المَلاحة. كأنَّ البَدْرَ رُكِب عَلَى أَزْراره.

لا يَشبع منه آلناظر، ولا يَروى منه آلخاطر. كاد آلنّجمُ يَحكيه وآلشَّمسُ تُشبهه. صورةٌ تجْلو آلأبصار، وتُخجل آلأقمار. شادِنٌ مُنتقبٌ بآلبَدْر،مُكتحِلٌ بآلسحّر. ما هو إلَّا نُزْهةُ آلأَبْصار، وبِدْعةُ آلأَمْصار. غمزاتُ طَرْفه، تُخبر عن ظَرْفه، ومنطقته تنطقُ بوصفه. وجهه قيدُ آلأَبصار، وأَمَدُ آلأَفكار، ونهايةُ آلاعتبار. تخالُ آلشَّمسَ برقعت غُرّته، وآللَّيلَ ناسبَ أَصداغه وطُرّته. الحُسْنُ ما فوق أَزْراره، وآلطِّيبُ ما تحت إزاره، شادِنٌ يَضْحَك عن آلأُقْحُوان، ويتنفَّسُ عن آلرّيحْان، كأَنّ قَدّه سكرانُ من خمر طَرْفه، وبغدادَ مسروقةٌ من حُسنْه وظَرْفه، قد أَعجمت يَدُ آلجمال، نونَ صُدغه بخال. له عَيْنانِ حشوُ أَجفانهما آلسِّحر. كأنه أَعار آلظّبيَ جيدَه وآلغُصنَ قدَّه. وآلرَّاح ريحَه وآلوَرْدَ خـدَّه ، الشكل في حركاتِه، وجميعُ آلحسن بعضُ صفاتِه. قد مَلَك أزِمّةَ آلقلوب، *، كأنما وسَمَه آلجمالُ بنهايته، ولحظه آلفَلكُ بعنايته، فصاغَه من ليله ونهارِه، وحلاّهُ بنجُومه وأَقمارِه، ونَقَشَه ببدائع آثارِه، ورمَقَه بنواظر سُعُوده، وجعله بآلكمال أحد حُدُوده، قد صبَغ آلحيآء غَلالةَ وجْهِه، ونَثر لُؤلوءَ آلعرَق عَلَى وَرْد خَدّه، تكادُ آلالحاظُ تسفك عن خدّه دَمَ آلخجل. طرّةٌ كالغَسَق، عَلَى غرَّةٍ كآلفَلَق، جآءَنا في غِلالةٍ تَنِمُّ عَلَى ما تسترُه، وتجفُو مع رِقَّتها عما تظهرُه. وجهٌ بمآء آلحُسْن مَغْسول، وطرْفٌ بمِرْوَد آلسِّحر مكحول. ثَغْرٌ حُمِي حمايةَ الثُّغُور، وجُعِل ضَرَّةً لقلائد آلنُّحور. السِّحْرُ في آلحاظه، والشِّهْدُ من أَلفاظه. كأَنَّه خاصم آلوِلدان، ففارق آلجِنَان. وهرب من رِضوان. اختلس قامة آلغُصن، وتوشَّح بمطارِفِ الحُسْن، وحكى آلرَّوض غِبّ المُزْن، الأرْضُ مشرقةٌ بنُور وجهه، وليلُ ألسَّرار في عيال شَعره، وآلجنَّةُ مُجْتناةٌ من قُرْبه، ومآء الجمال يترَقْرَق في خدّه، ومحاسنُ آلرَّبيع بين سَحْره ونَحْره، وآلقمرُ فضلةٌ من حسنه، وآلشمسُ من حملة عرشه، ما هو إلَّا خالٌ في خدّ آلظَّرف، وطِرازٌ عَلَى الحسن، ووردةٌ في غصن آلدَّهر ونقشٌ عَلَى خاتم الملك، وشمسٌ في فلك اللُّطف.

في الصدغ والشارب والعذار

زرافينُ أَصداغه مَعَاليقُ ٱلقلوب، كأَنَّ صُدْغه قُرْطٌ من ٱلمِسْك عَلَى عارض ٱلبدر. وجهه عرُسٌ وصُدغه مأْتم، ووصله جنّةٌ وهجرُه جهنم. أصداغه قد أخذت شكل ٱلعقارب، وظلمت ظلم ٱلأَقارب. إِن كانت عقربُ صدغه تلسع، فترْيَاقُ ريقه ينفع، كأَنَّ شاربه زئبرُ ٱلخزّ ٱلأَخضر، وعِذارَه طرازُ ٱلمِسْك ٱلأَذْفر، عَلَى ٱلوَرْد الأَحمر، إِذا تكلَّم تكشف حجاب ٱلزُّمرُّد والعقيق، عن سِمْط ٱلدُّرّ ٱلأنيق، قد همّ أَرقم ٱلشَّعر عَلَى شاربه، قد كادت يَدُ ٱلحُسْن تغلفه، كاد ٱلعذار ينقش فَصّ وجهه، ويُحرق فضة خدّه. طرّز ٱلجمالُ ديباجةَ وجهه، وأَبان عذارُه ٱلعُذرَ في حُبّه. لعب ٱلرّبيع بخدّه، وأنبتَ ٱلبَنفْسَج في ورده. لما أُحرقت بٱلشَّعر فضَّة خدّه، احترق سواد ٱلقلوب من حبّه، كيف لا يخضرّ عارضه ومياه ٱلحسن تسقيه.

وصف خروج اللحية وذمها

نسخ ٱلشَّعرُ آية حُسْنه، ومحا محاسنَ وجهه. كسف ٱلشَّعرُ هلاله، وأكسف باله، وأحال خياله، ومسح جماله، وانتقب بٱلدَّيجور، بعد ٱلنور. دولةُ حُسْنه أَعرَضت، وأيامه قد انقضت، استحال نُورُ خدّه دُجى، وزُمرُّدُ خطه سَبَجا. أُخمدَت نارُ حُسْنه بعد ٱلاتّقاد. ولبِس عارضاهُ ثوب ٱلحِداد. قد ذَبُل وَرْدُ خدّه، وتشوَّك زعفرانُ خطّه. فارَقنا خِشْفا، ووافانا جِلْفا، فارَقنا هلالاً وغزالا، وعاوَدَنا نكالاً ووبالا.

نعت محاسن الجواري

هي رَوْضةُ ٱلحسن، وضَرّةُ ٱلشمس، وبدْرُ الأَرض. هي من معاريض ٱلفتن، وحبآئل ٱلشيطان. هي من وجهها في صباحٍ شامس، ومن شَعرها في

مسآء دامس، كأنها فلقةُ قمر، عَلَى بُرج فضة. كأَنما لبست قشور آلدُّرّ بَدْر آلتِّمّ، شمس آلضحى تضيء تحت نقابها، وغصنُ آلبان يهتزُّ تحت ثيابها، ثغرُها يجمع آلضَّريب وآلضِّرَب. قد أنبت صدرها ثمر (كذا) قد أثمر خدُّها آلتفاح، وصدُرها آلرُّمان، خرطت لها يدُ آلشَّباب حُقّين من عاج، كأنها آلبدْرُ قد قُرّط بآلثّريا ونيطَ بها عِقدٌ من آلجوزآء، أَعلاها كآلغصن ميّال، وأَسفلها كآلدِّعص مُنْهال. لها عنقٌ كإبريق آللُّجَين، وسُرَّةٌ كمُدْهُن آلعاج، نطاقُها مُجدب، وإزارُها مخصب. مطلع آلشَّمس من وجهها، ومَنْبِتُ آلدُّرّ في فمها، ومَلْقَطُ آلوَرْد من خدّها، ومنبعُ آلسّحر من طرفها، ومبادي آلليل في شَعرها، ومَغْرس آلغُصن من قدّها، ومَهِيل آلرّمل في رِدفها، سُرِّيَّةٌ سَرِيّة، قَيْنَةٌ كتصحيفها. الحُسْنُ في خِلْقها، وآلطّيبُ في خُلْقها.

ذكر الشاب الغض الشباب

هو في آقتبال شبابه، وحداثة أترابه، ورَيعان عمره، وعُنفُوان أمره. هو في رَيّان شبابه وآعتداله، ورَيعان إقباله وآقتباله، شبابه طريّ، وذكآؤه قويّ. غصنٌ شبابه رطيب، وبُرْدُ حداثته قَشِيب، بعثه عَلَى ذلك أَشَرُ آلصِّبى، ومَرَحُ آلشّبيبة، وسكر آلحداثة. هو بعذرة آلشباب، وفراغ آلبال، حَدَثُ بِكْرُ آلآمال، بضّ الجمال، حسنُ آلاقتبال، فتيّ آلسنّ، رطيبُ آلغُصن. عمره في إقباله، ونشاطُه في آستقباله، وشبابُه في آقتباله، ومآؤه بحاله. فلانٌ في حكم آلأطفال، آلذين لم يَعَضُّوا عَلَى نواجذ آلرّجال.

خلاعة الشاب وتصابيه

أطاع الشباب وغرّته، وأجاب الصِّبى وشِرّته. هو في عُنْفُوان شَبيبةٍ تخُافُ سقطاتها وهَفَواتها، ولا تؤمنُ جَمَحاتها ونَزَواتها، جرّ أُزُر آلصِّبى، وأذالَ ذُيولَ آلهوى. هو في سُكري الشبَّاب وآلشراب. هو بين نزقات آلشبان، ونزَغات

آلشَّيطان. شبابه أعمى عن آلرَّشد، أصمُّ عن آلعذل، قد لبَّى داعيَ هواه، وآنغمس في لُجَّة صِباه. قد هجم بسكر آلحداثة عَلَى سكرات آلحوادث، جرى إلى آلصِّبى، جَرْيَ آلصَّبا. ركض في ميدان آلتَّصابي، وجنى ثَمرات آلملاهي. أنفق صِباه عَلَى آلفحشآء، وشبابه عَلَى آلأحشآء، وأصبح بين آلزِّقِّ وآلعود، وأمسى بين مُوجبات آلحدود. فلانٌ غُفْلٌ من سِمَة آلتَّجرِبة، صَعْبُ آلرَّأس عَلَى لجام آلعظة، جامحٌ في عِذار آلغفلة. هو في سلطان آلصِّبى، وفي نوبة الأُولى، قد خلع عِذارَه ومِقْوَده، وأَلقى إلى آلبِطالة باعه ويَده. هو بين خُمار آلغَداة وسُكر آلعشيّ. فلانٌ لا يَعْرفُ آلصَّحو، ولا يُفارِق اللَّهو. هو بين غَرَر آلشَّباب، وغُرَر آلأحباب. فلانٌ لا يُفيق، ولا يُدركه آلتَّوفيق.

في ذكر الشاب الرشيد وترشحه للمعالي

جمع نضارة آلشُّبان إلى أبَّهة آلشِّيب. هو عَلَى حدوث ميلاده، وقُرب إسناده، شيخُ قدْرٍ وهيبة، وإن لم يكن شيخَ سنٍّ وشَيبه. هو بين شبابٍ مُقْتبِل، وعَقْلٍ مكتهل. قد لبِس بُرْد شبَابه عَلَى عقل كَهْلٍ، ورأيٍ جَزْل، ومَنْطقٍ فصل. للدَّهر فيه مقاصد، وللأَيَّام فيه مواعد. أرى له في ضمان آلأيام، وودائع الحظوظ وآلأقسام، تباشيرَ نُجح، ومخايل نصرٍ وفتح، قد آستكمل قوَّةَ آلفضل، ولم يتكامل له سنُّ آلكَهْل. ما زالت مخايله وليداً وناشئاً، وشمائلُه صغيراً ويافعا. نواطقَ بآلحسنى عنه، وضوامنَ للنُّجح فيه. قد سما إلى مراتِب أعيان آلرِّجال، آلتي لا تُدْرك إلا مع آلكمال وآلاكتهال، حُمِدت عزائِمُه، قبل أن حُلّت تمائمه. وشُهدت مَكرُماتُه، قبل أن دَرج لِدَاتُه.

وخط الشيب وانتشاره

شَعر آلشيبُ بشعره. عرَض البياضُ بعارضه. نوّر غصنُ شبابه. ضَحِك

آلمشيبُ برأسه. لاحت حِلْيَة آلشيب في عِذاره. لمعت نجومُ آلشَّيْب في ليل شبابه. لاحت آلشعَراتُ آلبيض، وجعلت تُفَرّج وتَبِيض. بَدَتْ في رأسه طلآئعُ آلمشيب وطوالع آلقَتِير. أخَذَ آلشيبُ بِعنان شبابه. ذَرَّتْ يَدُ الزّمان كافوراً عَلَى مِسْكِه. مَدّ آلمَشِيبُ طِرازاً عَلَى وجهه، وكتب أسطُراً في عارِضه. طرّز آلشيْب بُرْدَ شبابه. حطّ آلمشيبُ بربعه، وخطّ آلقَتِيرُ عَلَى فَوْده. لاح أقْحُوانُ آلشَّيْب في بَنَفْسَج شبابه، ألَمَّ وَفْدُ آلشَّيب بفَوْده. غزاه آلشَّيب بجيوشه، كتبت يدُ آلشيب في فَوْديه، مواعظَ يقرأها آلأنام عليه، أقمر ليلُ شبابه. صاح آلنَّهار بجانب ليله. افترّ له آلشَّيْبُ عن ناب آلأسود، وأشار إليه بِمخْلَب آلأسد. قد فضّض آلزَّمانُ آبنوسه. اشتمل آلشَّيْب عَلَى عارضه، ألجمه آلشَّيب بلجامه، وقاده بزمامه. سال وادي آلشيب في مَفْرِقه. اعتمّ بآلمشيب وتلثّم به. لاح نَوْرُ آلهموم في عارضيه. قنّعه آلشيبُ خِمارَه، وأحلّ به أثقاله. علاه غُبارُ وقآئع آلدّهر وحكايات آلزَّمن. أخذَت آلأيام من شبابه. بينما هو راقدٌ في ليل شبابه إذْ أيقظه صبح آلمشيب.

في الاكتهال والاحتناك والارعوآء عن مجاهل الشباب

قضى باكورة آلشباب، وأنفق نضارة آلزَّمان. طوى مراحل آلشباب، وأنفق من عمره بغير حساب. أخلق بُرْدَة آلصِّبي، ونهتَهْ آلنُّهى عن آلهوى. جاوز الشباب مراحل، وورد من آلمشيب مناهل. التفت إلى آلأربعين، وشارف طلاع آلخمسين. طار غُراب شبابه. انتهى شبابه، وشاب أترابه. استبدل بالأدْهم آلأبلَق، وبالغُداف آلعَقْعَق. فلّ آلدَّهرُ شَبَا شبابه، ومحا محاسنَ رُوائه. انتهى إلى أشُدّ آلكهل، وآستعـاض من حَلَك آلغُراب قادمةَ آلنَّسر، افترّ عن ناب آلقارح، وارتفع عن مقال آلقادح. قَرع ناجذ آلحلم، وآرتاض بلجام آلدَّهر، أدْرك عَصرَ آلحُنكة، وأوان آلمُسكة. جمع قوَّة آلشباب، إلى وَقار آلشيِّب. أسفر له صبح آلمشيب، وعلته أُبَّهة آلكبير. خرج عن حد

آلحَداثة، وارتفع عن عُذْر آلغَرارة. نفض غَبَرة آلصِّبى، ولبَّى داهية آلحِجَى. عصى شياطين آلشباب، وأطاع ملائكة آلشيب. سرى في طريق آلرُّشد بمصباح آلشيب. لَمَّا قام آلشّيب له مقامَ آلنَّصيح، عدَل عن علائق آلحَداثة بتوبةٍ نصوح.

استحكام الشيب وبلوغ الشيخوخة

آلشيب زُبدَةٌ مخضتها آلأَيام، وفضةٌ سبكتها آلتجارِب. في آلشيب آستحكام آلوقَار، وتناهي آلجلال، وميسم آلتَّجْرِبة، وشاهدُ آلحُنكة. الشيبُ مُقدّمة آلهَرَم، وآلمُؤْذن بآلخَرَف، وآلقائدُ إلى آلموت. الشيبُ رسولُ آلمَنْية. الشيبُ عُنوان آلفساد. الشيبُ ساحلُ آلحياة. الشيبُ سفينةٌ تقرّبُ من آلساحل. صفا فلانٌ عَلَى طول آلعُمر. صفآ آلتِبْرُ عَلَى مَثقْب الجمرْ. من عرف آلستين أنكر نفسه. فلانٌ قد تناهت به آلأيام تحليماً وتهذيباً، وتناهت به السنّ تحكيماً وتجريبا. قد وعظه المشيب بوَخْطه وخبطه، وآلِسّنُّ بآبنه وسبْطه، قد تضاعفت وُفودُ عمره، وأخذتِ آلأيام من جسمه. وَجَدَ مسَّ آلكِبَر، ولحقه ضعف الشيخوخة، سآء عليه أثر عُلوّ السِنّ، واعتراض الوَهن. فلانٌ من ذَوي الأسنان آلعالية، والصحبة للأَيام آلخالية.

في الهرم ومشارفة الفناء

هِمٌّ هرِمٌ قد أخذ آلزمّان من عقله، كما أخذ من عمره. ثَلَمَه آلدّهرُ ثَلْم آلإِنآء، تركه كذي آلغارب آلمنكوب. حنا قوسه آلكِبَر، هُريق مآء شبابه، استشنّ أديمُه، كسر الزّمان جنَاحه. نقض الدَّهر مِرته. طوي ما نشر منه، قيده الكِبَر، رسف رسفان آلمقّيد، مجتثُّ الجُثَّة، كأَنه عُثَّة، ثَقُلت عليه آلحركة، وآختلَفت إليه رُسُل آلمَنيَّة. ما هو إلا شمس آلعَصْر، عَلَى آلقَصر. أَركانه قد وهَت، ومدّته قد تناهَت. هل بعد آلغاية منزلة؟ أم بعدِ آلشيب سوى آلموت

مَرْحلة، ما ٱلذي يُرَجّى ممن كان مثله في تقاصُر ٱلخُطى، وتخاذل ٱلقُوى، وتداني ٱلمَدى، والتوجه إلى ٱلدّار ٱلأُخرى؟ أَبَعْد دقَّة ٱلعظم، ورِقة ٱلجِلْد وضعف الجسم، وتخاذُل ٱلأَعضآء، وتفاوت ٱلاعتدال، وٱلقُرب من ٱلزّوال؟ إن ٱلذي بقي منه ذَماءٌ ترقُبه ٱلمنون بمرصد، وشُلشةٌ هي هامة ٱليوم أَو غد. قد خَلِق عمره، وٱنطوى عيشه، وبلغ ساحل ٱلحياة، ووقف عَلَى ثَنِيَّة ٱلوَداع، وأَشرف عَلَى دارالمقام.

آخر كتاب أَحوال الأنسان من لدُن صِغره إلى كَبَره ولله الحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الطعام والشراب
وما ينضاف إليهما، ويقترن بهما

في الفواكه والثمار

كَرْمٌ نُسلفه ٱلمآء ٱلقَراح، ويقضينا أُمهات ٱلرّاح. عنقودٌ كالثريّا. عنبٌ كأنه مخازن ٱلبَلّور، وظَرْف ٱلنُور، وأوعية ٱلسرور، وأُمهات ٱلرَّحيق، في مخازن ٱلعقيق. نخلٌ نُسلفه ٱلمآء، ويقضينا ٱلعسل. رطبٌ كأنه شهدة بٱلعقيق مقنعة، وبٱلعِقْيان مقمّعة. رُمانٌ كأنه صُرَرُ ٱلياقوت ٱلأحمر. سَفَرْجَلٌ يجمع طيباً ومنظراً حسناً، كأنه زِئبرُ ٱلخزّ ٱلأغبر، عَلَى ٱلدّيباج ٱلأصفر. تُفّاح نَفّاح، يجمع وصف ٱلعاشق ٱلوَجِل، وٱلمعشوق ٱلخَجِل، له نسيمُ ٱلعَنْبَر، وطعمُ ٱلسُّكَّر. ورسولُ ٱلمحبّ، وشبيه ٱلحبيب. تِين كأنه سفر مضمومةٌ عَلَى ٱلعسل. مشمشٌ كأنه ٱلشهدُ في بنادق ٱلذَّهب.

ذكر الجوع

لاهُجوع، مع الجوع، سلطانُ ٱلجوع يُسيءُ ٱلملَكَة، هو أجوع من ذئبٍ مُعَشش بين أعاريب، قد أثر ٱلجوع في الأخلاط. العيون قد ٱنقلبت، وٱلأكبادُ قد ٱلتهبت. تحلّبت ٱلأفواه، توقّدت الأكباد. امتدّت إلى الخِوَان الأعناق، وأُحدت نحوه الأحداق، وتحلّبت له الأشداق.

وصف القدور

قد قامت خطباء القدور. فاحت آلقدور بأطيب من آلمِسْكِ الأصهب، بآلعَنْبَر الاشهب، قدورٌ أبكار، بخواتيم آلنَّار. قِدْرٌ طار عَرفها، وطابَ غَرفُها، دهمآء تهدر كالفَنِيق، وتفوح بالمسك آلفتيق.

مقدمة الطعام

أفرش طعامك اسمَ الله، وألحفه حمد الله. كُلْ من آلطعام ما حدَث. لا يطيب حضورُ الخِوُان، إلا مع الإخوان. الأكلُ منّا للحاجة، ومنك للمُساعدة. البخلُ بالطَّعام، من أخلاق آلطَّغَام، الكريم لا يحظُر تقديم ما يحضُر.

وصف الموائد

مائدةٌ كدارة آلبدر. مائدةٌ تُباعد بين أنفاس آلجُلّاس، مآئدةٌ مثل عَرُوس. مآئدةٌ نظيفة، محفوفةٌ بكلّ طَريفة. مائدةٌ تشتمل عَلَى بدآئع المأكولات، وغرائب آلطيبات. مآئدةٌ كالعروس مَجْلُوّة، من آلطيبات مملوءة. مآئدةٌ قد زُخرفت رياضها، ومُلِئت حياضُها، فمن قانىء بإزائه فاقع، ومن حالك في تِلقائه ناصع. مآئدةٌ كأنما عملها صُنَّاع صَنعآء. مآئدةٌ تجمع بين أنوار آلربيع، وأثمار الخريف.

وصف الالوان من الاطعمة

رُغفانٌ كالبُدور المنطَّقة بالنجوم. أحسن ما يكون وجه الخِوُان، إذا اخضرت شواربُ آلرُّغفان. ترى آلبقل عَلَى وجه الخوان، كما بَقَلت أوجُهُ آلغلمان الحسان. جَدْيٌ كأنما نُدِف عَلَى جنبه آلقَزّ. حَمَلٌ ذهبي آلدِثار، فضي الشِعار. أطيبُ ما يكون الحَمَل، إذا حلّت آلشمس الحَمَل، حَمَلٌ خُلّف شهرين، عَلَى الخِلْفَين، ثم رعى شهرين، فهو شبران في شبرين، زيرَ

باجة، هي للمآئدة ديباجه، تشفي آلسقام، ولونُها لونُ آلسَّقيم. سِكْباجة تفيق الشهوة، وأسفيذ باجة تُغذّي، وطَبَاهِجة يُتَفَكَّه بها، وخَبِيص يختم بخير. مَضِيرة تثني عَلَى آلحضارة، وتترجرج في آلغضارة، وتؤذن بآلسلامة، وتشهد لمعاوية بالإمامة. في قصعة يزل عنها آلطَّرف، ويموج فيها آلظَّرف. طَباهِجَة من شرط آلملوك، كأعراف آلدُّيوك. قَلِيَّةٌ كآلعود المطرّى، مغمومةٌ تفرّج غمّ الجائع. هَريسةٌ نفيسة، كأنها خيوط خَزّ مشتبكة. كأنها قمرٌ بآلشمس ملتحف. كأن الُمّري عليها عُصارة آلمسك، عَلَى سبيكة آلفضة. شِوآء يتقطر عَرَقا، ويتسايل جِرْدابه مرقا. أُرُزّةٌ ملبونة، في آلسكر مدفونه. دَجاجةٌ مشويةٌ لها من آلفضة جسِم، ومن آلذهب قشر. دَجاجة دِيناريَّة، ثمناً ولوناً. شواء وشَراس وفالوذج رجراج. طباهجة تغذّي، وفالوذجة تغذي. أسفيذباجة تصفح قفا الجوع.

في وصف ألوان من الحلوآء

فالوذجٌ بلُباب آلبُرّ، ولُعاب آلنحل. كأن آللوز فيه كواكب في سمآء عقيق. قطائف، فيها لطائف. عَصِيدة تجمع بين جنى آلنحل والنَّحل. ما الخَبيص إلا نعمة مجموعة، ولذّة معجونة. تؤدي طعم آلعافية، وتختم بحسن آلعاقبة. لوزينجٌ ليلي آلعمر، يومي آلنَّشر، رقيق آلقشر، كثيف الحشو. لولبي آلدهن، كوكبي آللون.

ذكر النهم الاكول

شيطانٌ مَعِدته رجيم، وسلطانه ظلوم، هو آكل من آلنار، وأشرب من الرّمل. كأن في أمعائه معاوية، يأْكل أكل آلحوت الملتقم، وآلثعبان الملتهم، وآلليث آلهاصر، وآلعُقاب آلكاسر. لو أُكل آلفيل لما كَفَاه، ولو شرب آلنيل لما أرواه. يجوب جوبَ آلبلاد، حتى يقع عَلَى جَفْنة جواد. يقول بآلقِصاع، لا آلمِصاع، يرى رُكوب آلبريد، في حضور آلثريد. أصابعه أَلزم للشوآء من

سفُود. أنامله كآلشبكة، في صيد السمكة. يستكثر من الجوارِشات المنقدة للسُّدد، المقويّة للمِعَد، المشهية للطعام، المسهلة لسبُل آلانهضام. إذ هو في تناوُلها كآلكاتب آلذي يَقُط أقلامه، وآلجندي آلذي يَصْقُل حُسامه. تسافرُ يدهُ عَلَى آلخوان، وتَسْفُرِ بين آلألوان، وتأْخذ وجوه الرغُفان، وترعى أرض الجيران. لما عكفنا عَلَى الخوان، أسرع في آلرَّغفان، وكرع في الجِفان، وفقأ أعين الألوان.

في وصف مجالس الانس وآلات اللهو

مجلسٌ* نَوْرُه دُرّ، ونارنْجُه ذهبٌ، ونرجسه دينارٌ ودرهم، ويحملها زبَرْجَد. عندنا أتْرُجّ كأنه من خُلقك خُلِق، ومن شمائلك سُرِق. ونارنج ككرات من سَفَنٍ ذُهبت، أو ثُدي أبكارٍ خلقت. مجلسٌ أخذت فيه الأوتار تتجاوب، والأقداح تتناوب. أعلامُ الأنس خافقة، وألسن الملاهي ناطقة. مجلسٌ قد فُرش بساطه وبُسط أنماطه، ومُدّ سِماطُه، بين آسٍ مخضود، وورد منضود*، وناي وعود. نحن بين بدُور، وكاسات تدور*، قد نشأت غمامة آلنَّدّ، عَلَى بساط الورد. مجلسٌ قد تفتحت فيه عيون آلنرجس، وفاحت مجامر الأترج، وفُتقت فارات النارنج، ونطقت ألسنُ آلعيدان، وقامت خطبآء الأوتار، وهبّت رياح آلأقداح، وطلعت كواكب آلندمان، وآمتدت سمآء آلنَّدّ. مجلسٌ من رآه حسب آلجنان قد آصطفيت عيونها فجُمعت في قدر من آلأرض، وتُخُيِّرت فصوصُها فنُقلت إلى مطلع الأنس وآللهو. قد فضّ آللهو ختامه، ونشر آلأنس أعلامه. قد هبّت للأنس ريح* سحابها آلاقداح، ورعودُها آلأوتار، ورياضها آلاقمار. قد فرغنا للَّهو وآلدَّهر عنا في شغل. قد آقتعدنا غارب الأنس، وجرينا في ميدان اللهو. عَمَدنا لقداح اللَّهو فأَجَلناها، ولمراكب آلسرور فآمتطيناها. قد آمتطينا غوارب الأفراح، وقَدَحْنا نار السرور بالأقداح.

فيما يتصل به من الألفاظ

في الاستزارة

نحن في مجلس قد أبت راحتُه أن تصفو إلا أن تصافحها يُمناك، وأقسم غناؤه لا طاب أو تَعِيَه أُذُناك، فأما خدود نارَنْجه فقد آحمرت خجلاً لإبطائك وعيون نرجسه فقد حدقت تأميلاً للقائك، فبحياتي عليك إلا تعجّلت، وما تمهلت. نحن بغيبتك كعِقدٍ قد غيبت واسطته، وشبابٍ قد أُخذت جدِته. إذا غابت شمس آلسمآء عنا، فلا بد من أن تدنو شمس آلارض منا. أنت من يُنظم به شمل آلطرب، وبلقياه يُبلغ إلى كلّ أرب. طِر إلينا طيران آلسهم، واطلع علينا طلوع آلنجم. ثِب إلينا وثبة الغزال، واطلع علينا طلوع الهلال، في غُرة شوّال. كن إلينا من آلسَّهم إلى ممره، والمآء إلى مَقَره. جشم الينا قدمك، وآخلع علينا كرمك. إن رأيت أن تحضرنا لتتصل الواسطة بآلعقد، ونحصُل بقربك في جنة آلخلد. إن رأيت أن تسهم لنا في قُربك آلذي هو قوت ألنفس، ومادّة آلأُنس.

في الكناية عن الشراب

قد نشط لتناوُل ما يستمد آلبِشر، ويشرح آلصدر. قد آستمطر سحاب آلأُنس، وآستدر حَلوبة آلسرور، وقدح زَنَد اللهو.*

وصف الشراب

* شرابٌ أصفى من مودتي لك، وأحسن من نعمة آلله فيك، وأطيبُ من إسعاف آلزمان بلقائك. أصفى من آلبلُّور، ودمع المهجور. أصفى من مآء السمآء، وَدَمع آلعاشقة آلْمَرْ هآء. أحسنُ من آلدُّنيا آلمقبلة، وآلنِعم آلمكَملة. أحسنُ من آلعافية في آلبَدَنِ، وأطيب من آلحياة في آلسُّرُور. أرَقُّ

من نسيم ٱلصَّبا، وعَهْدِ ٱلصِبى. أرقُّ من دمع مُحِبّ، وشكوى صبّ. أرَقُّ من دُموع ٱلعُشّاق، مرتها لوعةُ ٱلفِراق. *

في تأثيره في القوم

دَبَّت ٱلكأس فيهم دبيب ٱلنار في ٱلفَحم، وٱلبُرْء في ٱلسَّقَم. سارتْ فيهم سَورة ٱلكؤوس، ونالت منهم نَشْوَة ٱلخندريس. شربتِ ٱلرَّاحُ عُقُولهم، ومَلَكت قلوبهم. تمشَّت الصَّهبآء في عظامهم، وترقّتْ إلى هامهم، وماستْ في أعطافهم، ومالتْ بأطرافهم. بلغ حدّاً، يوجب ٱلحد.

فقر وغرر تليق بهذا الباب

* الصاحي بين ٱلسَّكْرى، كٱلحيّ بين ٱلمَوتى، يَضْحَك من عِقلهم، ويأكلُ من نَقْلهم.

ذكر الغنآء والمغني

غِناَؤه كٱلغِنى بعد ٱلفَقْر* . غناءٌ يَبْسُط أَسِرَّة ٱلوجه، ويرفَعَ حجابَ ٱلأُذن، ويأخذ بمجامع ٱلقلب، ويمتزج بأجزآء ٱلنَّفس. غنآءٌ يُحرك ٱلنفوس، ويُرقص ٱلرؤوس*. قد سمعنا غِنآء، يعيد ٱلأموات أحياء، إذا غنى ودت أعضآء ٱلسامعين أن تكون آذانا. فلان طبيب ٱلقلوب والأسماع، مُحيي مَواتَ الخواطر وٱلطباع. يُطعم ٱلآذان سُرورا، ويقدح في القلوب نُورا. ٱلقلوبُ من غنآئه عَلَى خطر، فكيف ٱلجيوب. كأنه خُلق من كل نفس فهو يُغنّي كلاً بما يشتهيه*. كلُّ ما يُغنيه مفتوح. لِغنائه في ٱلقلب، موقع ٱلقطْر في ٱلجَدْب. نعمه نغمته تطرب، وضروب ضربه لا تضطرب.

في ذم المغني

يترنّم فيتعب ولا يطرب، وليتنا وجدنا ٱلكَفاف ولكن يُكرب. فلانٌ إذا غنّى عنّي، وإذا أدّى آذى، يُميت ٱلطرب، ويُحيي ٱلكُرَب. ضربة يوجب ضربه، وسَماعه يوجب ٱلاسماع به. من عجآئب غِنآئه أنه يورِد ٱلشتآء في الصيف. بيتُ وسى (كذا) باردُ ٱلنغمة مختلُّ ٱليدين. ما رآه أحدٌ في دار قومٍ مرَّتين.

في استهدآء الشراب

قد تألف لي شملُ إخوان كاد أن يفترق لعوز ٱلمشروب، فٱعتمدنا فضلك المعهود، ووردنا بحرك ٱلمورود. أنا ومن سامحني ٱلدهر بزيارته من إخواني وأوليائك وقوفٌ بحيثُ يقف بنا ٱختيارك من ٱلنشاط أو ٱلفتور، ويرتضيه لنا إيثارك من ٱلهم أوٱلسُّرور، لأنَّ ٱلأمرَ في ذلك إليك، وٱلاعتماد في جمع شمل ٱلمسرَّة عليك، فإن رأيت أن تَكِلني إلى أُولى ٱلظنين بك فعلت. ألطف المنن موقعا، وأجلها في ٱلنفوس موضعا. ما عمر أوطان المسرَّة، وطرد عوارض ٱلهمّ وٱلفكرة، وجمع شمل ٱلمودة وٱلأُلْفَة. قد ٱنتظمتُ مع رُفقة لي في سمط ٱلثريّا، فإن لم يحفظ علينا ٱلنظام، بإهدآء ٱلمرام، عُدْنا كبنات نعشٍ وٱلسلام. فرأيك في إروآء غُلَّتنا بما ينقعها، وٱلتطوُّل عَلَى جماعتنا بما يجمعها.

آخر كتاب ٱلطَّعام وٱلشَّراب ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب وصف النظم والنثر
وأصحابهما وآلاتهما وأدواتهما

وصف حسن الخط

خَطٌّ يَجْري مَجرى ٱلسحر، ويرتفع حُسْنُه عن ٱلنَّعْت. رأيت من خَطّه يَواقيتَ في نظام، وصَفَحات نورٍ عليها سطورٌ ظلام. خطٌّ أحسن من عطفة ٱلأصداغ، وبلاغةٌ كٱلأمل آذنَ بٱلبلاغ. خطٌّ كأنه صبحٌ منقشٌ بظلام، كأنه ليلٌ عَلَى صفحات نور، كأنه حديقةُ ٱلأحداق. خطٌّ كٱلروض ٱلممطور، وٱلوشي ٱلمنشور، وٱلدُّر ٱلمنثور. خطٌّ كما يُفتح ٱلزَّهر غِبَّ ٱلمطر، كأنه خطوط ٱلغوالي، في خدود ٱلغواني. خطٌّ أملحُ من بَنفْسج ٱلخط، وأحسن من ٱلدُّر في ٱلسُّمط. خطٌّ أخذ من ٱلطَّواويس ظهورها، ومن ٱلبزاة صدورها. خطٌّ كٱلتبر المسبوك، وٱلوَشي ٱلمحُوك. خطٌّ أملح من صولجان ٱلمسك، في ميدان ٱلوَرد، أحسن من بُدُور ٱلغُرر، في ليالي ٱلطُّرَر. فلانٌ يُغْرِس ٱلدُّرَّ في أرض ٱلقراطيس، ويَنْشُر عليها أجنحة ٱلطواويس. كأنَّ يدَه تنشر وشْيا، أو تَنظم دُرا. كأنه مطرزٌ بٱلظلام رِدآءَ ٱلصباح. خطٌّ كأَنَّ ٱلقلب يشعر منه نورا، وٱلعين تجني نورا. خطٌّ يبهر ٱلطَّرف، ويفوت ٱلوصف. خطٌّ كٱلرياض، وٱلمُقَلِ ٱلمراض، وٱلإقبال بعد ٱلإعراض. أمتعتُ طرفي ما شئتُ بمحاسن خَطِّهِ ولَفظِه، وأخذتُ منهما بأوفر قِسط ٱلمستفيد وحظّه. تحيرتُ بين ظلامٍ وصباح، وعقد ووشاح. خَطُّهُ خُطَّةُ ٱلحُسن.

في سرعة الكتابة

يَدُهُ ضَرّة آلبَرْق، وقلمه فلكيُّ آلجَري. يَدُهُ ظئرُ البلاغة، وأُمُّ آلكتابة، وضَرّة آلريح، ويَنْبُوع الفضل. كأن يدَه عَلَى القِرطاس جناحُ طائر في سرابٍ مائر. فلانٌ أنامله الرّياح، وخواطره البحار. فلانٌ سريعُ البَنان، بد يعُ آلبيان. لا يحبسُ عنان قلمه، أو ينثر الدُّرَّ في كَلِمه. قلمه يهيم عَلَى وجهه، غادراً رأسه في درجه. أخف من حسوة طائر، ولمعة بارِق، وخَلْسَة سارِق.

وصف النثر بما يشتمل عليه من الالفاظ والمعاني

ألفاظٌ كغمزات الأَلحاظ، ومعانٍ كأَنها فك عان. أَلفاظٌ كما نوّرت الأَشجار، ومعانٍ كما تنفَّست آلأسحار. ألفاظٌ قد آستعارَت حلاوة العتاب، بين الأَحباب، وآسترَقَت تشاكي العُشّاق، يوم الفراق. حسبتُ ألفاظه دَرّ السحاب، أو أصفى قطراً وديمة، ومعانَيه دُرّ السِخاب، بل أَوفى قدراً وقيمة. كلامٌ قريبٌ شاسع، ومُطمعٌ مانع. كآلشمس تقرَب ضياَء، وتَبْعُد عَلآء، وكآلمآء يَرْخُصُ موجودا، ويغلو مفقُودا . كلامٌ يَصْعُبُ عَلَى التعاطي ، ويَسْهُلُ عَلَى الفِطنة. كلامٌ لا تَمُجُه آلآذان، ولا يُبليه الزَّمان. ألفاظٌ كآلبُشْرى مسموعة، وأزاهير الرّياض مجموعة، ومعانٍ كأَنفاس الرّياح، تعبَقُ بالرَّيحان والرّاح. كلامٌ مُستهلٌ متسلسلٌ كآلمدام بمآء الغمام، يقْرب إذنه عَلَى الأفهام. مُلَحٌ كنوافذ السِحْر، وفِقر كالغنى بعد الفقر. كلامٌ كبَرْد الشرراب، عَلَى أَكباد الحِرَار، وبُرْد الشبَّاب، في خلع العذار. كلامٌ كثير العُيُون، سلسُ المتون رقيقُ الحواشي، سَلِسُ النواحي. كلامٌ هو السحر آلحلال، والمآء الزُّلال، والبُرود والحِبر، والأَمثال والعِبر، والنعيمُ الحاضر، والشبَّاب الناضر. نظرْتُ منه إلى صورة الظَّرف بحْتا، وسورة البلاغة سبكاًونحتا. أَلفاظٌ هي خُدع آلدهر، وعُقَد آلسحر. أَلفاظٌ تَسُرّ المحزُون، وتسهّل آلحُزُون، وتعطّل آلدُّر

آلمخزون. كلامٌ بعيدٌ من آلكُلَف، نقيٌّ من آلكَلَف. كلامٌ كما تنفسّ آلسَّحَر عن نَسيمه، وتبسم آلدُّرّ عن نظيمه. أَلفاظٌ تأنق آلخاطرُ في تذْهيبها، ومعانٍ عُنِيَ آلطَّبع بتهذيبها. ألفاظٌ حسبتها في رِقَّتها منسوخة من صحيفة آلصبى، وظننتها لسلامتها مكتوبةً عن إملآء الهوى. كلامٌ كآلبُشرى بآلولد آلكريم، قُرِع بها سمع آلشيخ العقيم. كلامٌ قَرُبَ حتى أَطمع، وبعُد حتى امتنع، ود نا حتى صار قاب قوسين أو أدنى، ثمَّ سما حتى صار بآلمنظر آلأَعلى. كلامٌ حَسَنُ آلديباجة، صافي آلزُّجاجة، رقيق آلمزاج، حُلْوُ آلمَسَاغ، نقيُّ آلسمك، مقْبُول آللفظ، قرأت جَليا، حوى معنى خفيّا، وكلاماً قريباً، رمى غرضاً بعيداً. لو أَنَّ كلاماً أُذيب به صَخْر، أو أُطفىء به جمْر، أو عُوفي به مريض، أو جُبِر به مهِيض، لكان هذا. كلامه يقود سامعيه إلى آلسجود، ويجري في آلقلوب كجري آلمآء في آلعود. فلانٌ ألفاظه أَنوار، ومعانيه ثمار. كلامُه أُنس آلمُقيم آلحاضر، وزاد آلرَّاحل آلمسافر. كلامٌ تسعى إليه آلفُور، ويَنتفِض إليه آلعُصفور. كلامٌ يقضي حق آلبيان، ويملك رقَّ آلحُسن وآلإحسان. كلام منه يُجْتنى آلدُّ رّ، وبه يُعْقَدُ آلسِحر، وعنده يُعتب آلدَّهر، وله يُشرح آلصدر. كلامٌ يَقرُب جناه، ويبعُد مدَاه، ويؤْنس مَسْمَعه، ويُؤْيِس مصْنَعه.

ذكر البلاغة والبلغآء

ليست آلبلاغة أَن يطال عنان آلقلم أو سِنانه، ويُبْسَطَ رهانُ آلقول أو ميدانه، بل هو أن يبلغ أَمد آلمراد، بألفاظ أعيان ومعانٍ أفراد، من حيث لا مزيد على الحاجة، ولا إخلال يفضي إلى آلفاقة. آلبلاغة ميدانٌ لا يُقطع إلَّا بسوابق الأَذهان، ولا يُسْلَك إلا ببصآئر آلبيان. فلانٌ يعبث بالكلام، ويقوده بأَلين زمام، حتى كأَنَّ آلالفاظ تتحاسد في آلتسابق إلى خواطره، وآلمعاني تتغاير في آلانثيال عَلَى أنامله. فلانٌ مشرفي آلمشرق، وصيرفي آلمنطق، البيانُ أصغر صفاته، وآلبلاغة عفو خطراته. كأنه أُوحي بآلتوفيق إلى صدره،

وحُبس ٱلصواب بين طبعه وفكره. فلانٌ يَحُزُّ مفاصل ٱلكلام، ويسبق فيها إلى دركِ ٱلمرام، كأنما جمع ٱلكلام حوله حتى انتقى منه وٱنتخب، وتناول منه ماطَلَب، وترك بعد ذلك أذناباً لا رؤُوساً، وأجساداً لا نفوساً. فلانٌ لا يبلغ المعنى ويرضى بعفْو الطبع، ويقنع بما يَخِفُّ عَلَى السمع. يُوجز فلا يُخلُّ، وُيطنبُ فلا يُملُّ. لله فلان أخـذ بأزمـة ٱلقول يقـودها كيف أراد ويجـذبها أنى شـآء، فلا يَعصيه بين ٱلصَّعب والذَّلول، ولا يسلمه عند ٱلحُزون وٱلسهول. كلامٌ يشتد مرة حتى تقول ٱلصخر ٱلاملس، ويلين تارةً حتى تقول ٱلمآء أو أسلس. يقول، فيصول، ويجيب، فيصيب، ويكتب فيطبق المَفْصِل؛ وينسق ٱلدُّرّ ٱلمُفَصل. يَرِدُ مشارع الكلام وهي صافيةٌ لم تُطْرَق، وجامَّة لم ترنق.

في سرعة الخاطر ونفاذ الطبع

خاطرُه ٱلبرْقُ أو أسرع لمعا، وٱلسيفُ أو أحدُّ قطعا، والمآء أو أسلسُ جَريا، والفلك أو اقوم هديا. هو من يسهل ٱلكلام عَلَى لفظه، وتتزاحم ٱلمعاني عَلَى طبعه، فيتناول ٱلمرمى ٱلبعيد بقريب سعي، ويستنبط ٱلْمَشْروعَ ٱلعميق بيسير جري. كلامه عفوُ اللسان، وفيض ٱليد، ومساوقة ٱلقلم، ومسابقة ٱليد للفم، وجَمَراتُ الحِدة، وثمراتُ ٱلمُدَّة، ومجاراة الخاطر للناظر، ومُباراة ٱلطَّبع للسمع.

زلاقة اللسان والفصاحة

لسانُه يُغِيضُ ٱلبحور. ويَفْلِقُ ٱلصخور. ويُسِمع ٱلصُّمّ، ويستنزل ٱلعُصم. خَطيبٌ لا تناله حُبسة، ولا ترتهنه لُكنة، ولا تتمشى في خطابه رُتة، ولاتتسلَّطُ عَلَى جِواره فترة، ولا يتحيف بيانه عُجْمة، ولا تعترض لِسانه عُقدة. فلانٌ رقيق ٱلأسلة، عذبُ العَذَبة. لو وُضع لسانه عَلَى ٱلشعر حَلَقه، أو عَلَى الصخر فلقه، أو عَلَى ٱلجمر أحرقه، أو عَلَى ٱلصفا خرقه. أما ترى فلاناً

ولَسَنَه؟ وكيف يجرّ في الفصاحة رسنه. كأَن لسانه ثعبان ينساب بين رمال، أو مآء يتغلغل بين جبال. كأنَّ لسانه مِخْراق لاعب، أَو غِرارُ سيْفٍ قاضب. قد أَحسن آلسِفارَة، وآستوفى آلعبارَة، وأدى آلالفاظ وآستغرق آلاغراض، وأصاب شواكل آلمراد، وطبق مفاصل آلسَّداد. لسانه كلسان آبن آلحمرة، أو سِنان عنترة.

ذكر الاطناب

بسَطَ عِنان آلخطاب، ومَدَّ أَطْنابَ آلإِطناب، وطلب آلأَمَدَ في الإِسهاب. قال حتى قال آلكلام لو أَعفيت، وكتب حتى قالت آلاقلامُ قد أَحْفَيْت. قد آتَّسع به مَشْرَع آلإِطناب، وآنْفرج مَسلك آلإِسهاب، أرسل لسانه في ميدانه، وأَرخى من عنانه. نفض ما في راسه، وفرغ جُعْبَة وَسْواسِه. تصرّفت في كذا فأَطلت وأَطبت، وقلت فأَطنبت. قال فأطال، وجال في بَسط آلمقال كل مَجال. إذا آستَنْفَرَ في الكلام طفح آذيه، وسال أتِيُّه، انثال عليه الكلام، آنثيال الغمام ، وآستجاب له الخطاب، ولا صوب الرَّباب.

وصف النثر والنظم معاً

نثرٌ كنثر آلورْد، ونظمٌ كنظم العِقد. نثرٌ كآلسِحر أَو أدق، ونظمٌ كآلمآء أَو أرَقّ. رسالةٌ كآلروضة آلأنيقة، وقصيدةٌ كآلمخدرة الرَّشيقة. رِسالةٌ تقطرُ ظَرفاً، وقصيدةٌ تمزج بها الرّاح لطفاً. نثرُه سِحْرُ البيان، ونظمه قِطَعُ الجِنان. نثرٌ كما تفتح الزَّهر، ونظمٌ كما تنفّس السّحَر. نَثْرٌ ترق نواحيه وحواشيه، ونظْمٌ تَسْحَر ألفاظه ومعانيه. نثرٌ كآلحديقة تفتحت أَحداقُ وَردِها، ونظمٌ كآلخريدة توردت أُشجار نهدها. رسالةٌ تضحك عن زهر وغُرر، وقصيدةٌ تنطوي عَلَى حِبرٍ ودُرر، لم ترض في برك بأخوات النَّثرة من نثرك، حتى وصلتها ببنات الشّعْرى من

شعرك . كلامٌ كما هب نسيمُ السّحَر عَلَى صَفَحات الزَّهَر، ولذّ طعم الكرى بعد برح السَّهر، وشعرٌ في نفسه شاعر، تُوسَم به المواسم والمشاعر. كلامٌ أنسى حلاوة ٱلأولاد بحلاوته، وطلاوة الرَّبيع بطلاوته، شعرٌ من حُلَّة الشباب مسروق، ومن طينة الوِصال مخلوق.

وصف الشعر

قصيدةٌ في فنّها فريدة. قصيدةٌ أُخلصت عَلَى قصد، وفريدةٌ أتت من فَرْد. هي صَوْب العقول، تغبّر في نواصي الفحول. عروسٌ كَسَتْها القوافي، وحَلَّتْها المعاني. شعرٌ يَتَرَقْرَقُ فيه مآء الطبع، ويرتفع له حجابُ القلب والسَّمع. شعرٌ ملكني العُجْبُ به، وبهرني التعجّبُ منه. شعرٌ لا مِزية الإِيجاز أخطأته، ولا فضيلة الإِعجاز تخطَّتْه. شِعرٌ رَوَيته، لَمَّا رأيته، وحفظتُه، لمَّا لحظتُه. أبياتٌ لو جُعِلت خِلْعةً عَلَى الزَّمان لتحلى بها مُكاثراً، أو تجلى فيها مفاخراً. راقني الشِعر حتى شاقني، فإنه مع قُرْب لفظه بعيد المرام، مستمرُّ النّظام. قويُّ الأَسر، صافي النحر. قد أُلبس من البداوة فصاحتها، وغُشي من ٱلحضارة سجاحتَها، فإن شئت قلت عَبيدٌ ولَبيد، وإن شئت قلت حبيبٌ ووليد. شعرٌ يختلط بأجزآء النَّفْس لنفاسته، ويكاد يعين كانبه من سلاسته. قصيدتُه تُجْتَنى بالأفكار، ونَقْلُ يُتناول بالأسماع وٱلأبصار، ونقلُ العلم والأدب، ألذُّ من نَقْل المأكل وٱلمشرَب. وفاكهة الكلام، أطيبُ من فاكهة الطعام. نظمٌ كنظم الجُمان، وروض الجِنان، وأمن الفؤآد، وطيب الرُّقاد. لم أر غيرها بكراً ٱستوفت أقسام الحُنكة، وٱستكملَتْ أحكام الدُّرْبَةِ، فعليها رَونق الشباب، ولها قوَّةُ المُذكيات الصِلاب. رُوحُ الشِعر، وتاجُ الدّهر. مقدّمة عساكر السّحر. كلّ بيت شِعر، خيرٌ من بيت تِبْر. شِعرٌ يُحكم له بالإِعجاز والتبريز، ويُشَبَّه في صفآء سبكه بٱلذهب ٱلإبريز. شعرٌ تأْتلف ٱلقلوب عَلَى دُرَره ٱئتلافا، وتصير ٱلآذان لها أصدافا.

وصف الشعرآء

لله دَرُّه ما أَحلى شِعْرَه، وأنقى دُرَّه، وأَصفى قَطْرُه، وأَعجب أَمره. قد أخذ برقاب آلقوافي، وملك رِقّ آلمعاني. فضله برهانُ حقّ، وشعره لسانُ صِدْق. أجمع أَهلُ جِلدته، عَلَى أَنه معجز بلدته. فلانٌ يغـرب، بما يجلب، ويُدع بما يُبضع. حَسَنُ آلسبك، محكم آلرَّصف، بديع آلوَصف. مَرغوبٌ في شعره، متنافَسٌ في سِحره. فلانٌ ضارِبٌ في قول آلشعر بأعلى آلسهام، آخذٌ من عيون آلفضل بأوفى آلاقسام. مآء آشْعار وطيتّها، وكنز آلقوافي ومدينتها. شِعارُه، أشعارُه، ودابُه، آدابه. فلانٌ ممن يَبْتَدِه فيبتدع. فلانٌ يجمع بين آلإسراع، والإبداع. طبعه يُمل عليه، ما لا يُمَلّ آلاستماع إليه. قريحةٌ غير قـريحة، وطبعٌ غير طَبع، وخيمٌ غير وخيم. لَبيدٌ عنده بليد، وعَبِيدٌ وأقرانه له عبيد. آلفَرزدق عنده أقلُّ من فَرزدقة خمير، وجرير، يقادُ إليه بجرير. قد نسج حُلَلاً لا يلي جدّتَها آلجديدان، ولا تزداد حُسناً إلا عَلَى مرُور الزّمان.

في نعت الشعر السائر

نظمه قد نَظَم حاشيتي آلبَرّ وآلبَحر، وناحيتي آلشرق وآلغرب. أشعارُه قد وردت آلمياه، وركبت الأفواه، وسارت في آلبلاد، ولم تَسِرْ بزاد، وطارت في آلآفاق، ولم تمش عَلَى ساق. شعرُه أَسيرُ من آلأَمثال، وأسرى من آلخيال. سارمسير آلرّياح، وطار بغير جَناح. أشعارٌ سارت مسيرَ آلشمس وهبَّت هبوب آلرّيح، فطبقت تخوم آلأرض، وانتظمت آلشَّرقَ إلى الغرب. قد كادت آلأَيام تُنْشِدُها، وآلليالي تحفظها وآلجن تدرسها، وآلطير تتغنى بها.

في ذكر شعر الاكابر والملوك

قرأت آلابيات آلتي أسفر عنها طبعُ آلمجد فعلمتُ كيف يتكسّر آلزَّهر عَلَى صفحات الحدائق، وكيف يغرس آلدُّرُّ في رياض آلمهارق. شعرٌ قد آحتبس

جريه عَلَى فكره، ووقف كيف شآء عند أمره. شعرٌ يُعلَّق في كعبة المجد، ويُتوَّجُ به مَفْرِق آلدهر. جـاءت آلقصيدة ومعها غُرة آلمُلك، وعليها رُواء آلصِدق، وفيها سيما العلم، وعندها لسان المجد، ولها صيال آلحقّ، لا غَرْوَ إذا فاض بحرُ آلعلم عَلَى لسان آلشعر أن ينتج ما لا عينٌ وقعت عَلَى مثله، ولا أُذُنٌ سَمِعت بشبهـه. شعرٌ يكتب في غرّة آلدّهر، ويُشدَخ في جبهتي آلشمس وآلبدر.

وصف الكتب البليغة الغزيرة وحسن موقعها

كتابٌ كتب لي أَماناً من آلدَّهر، وهنّاني أيام العمر. كتابٌ أوجب من آلاعتداد، أوفر آلأَعداد، وأَودع بياض الوِداد، سوادَ آلفؤاد. كتابٌ آلظَّفرُ به نعيم، وآلنظَّرُ فيه فتحٌ عظيم. كتابٌ آرتحتُ لعيانه، وآهتززْتُ لِعنوانـه. كتابٌ هـو من كُتب آلميامين، آلتي تـأتي من قِبَل آليمين. كتـابٌ عدَدْتـهُ من حُجول العمـر وغُرَره، وآعتددته من فرص آلعيش وغرره. كتابٌ آنس مَسْموعاً ومَلْحوظاً، وكاد مُودَعهُ يكون مدروساً ومَحْفوظاً. كتابٌ هو أَنفس طالع، وأكرم مُتطلع، وأَحسـن واقـع. كتـابٌ لو قُـرئ عَـلَى آلـحجـارة لانـفـجـرت، أو عَـلَى آلكواكب لانتثرت،. كتابٌ كدتُ أُبليه طياً ونشرا، وقبَّلتُه أَلفاً ويد حامله عَشْرا. كتابٌ نسيتُ لحسنه الرّوض والزَّهر، وغفرتُ للزمان ما تقدم من ذَنبه وما تأخر. كتابٌ قد أملته مزية المجد عَلَى بنانك، ونطق به لسان آلفضل عَلَى لسانك، أمـا النقط عَلَى كل حرفٍ نذيرة أناملك بحقه، وآخذ من كل سطرٍ تتجشم تخطيطه نزهة. (كذا) إذا قرأت من خطك حرفا، وجدت عَلَى قلبي خفّا، وإذا تأملت من كلامك لفظا، ازْدَدْتُ من أُنسي حظّا.

تشبيهات هذه الكتب

كتابٌ كَتَب لي أَماناً من آلزَّمان، وتوقيعٌ وَقع عندي موقع المآء من آلعطشان.

كتابٌ هو تَعلَة آلمسافر، وأُنسة آلمستوحش، وزبدة الوِصال، وعُقْلة المستوفِز. كتابٌ هو رُقية آلقلب آلسليم، وغُرّة العَيش آلبهيم. كتابٌ هو سَمَرٌ بلا سَهَر، وصَفْوٌ بلا كدَر. كتابٌ تمتّعْتُ منه بآلنعيم آلأبيض، وآلعيش آلأخضر، وآستلمته آستلام آلحجر آلأَسود، وكلت طرفي من سُطوره بوَشيٍ مهلل، وتاجٍ مكلَّل، وأودعتُ سمعي من بدائعه ما أنساني سماع آلأغاني، من مطربات الغواني. نشأت سحابةٌ من روضك غيمُها نعمةٌ سابغة، وغيثُها حكمةٌ بالغة. سَقَتْ رَوضةَ آلقلب، وقد جهدتها يدُ آلجذْب، فآهتزَّت ورَبَت، وآكتست مما آكتسبت. كتابٌ حسبتُه ساقطاً إليَّ من السمآء آهتزازاً لمطلعه، وآبتهاجاً بحسن موقعه. تناولته كما يُتناول آلكتابُ آلمرقوم، وفضضته كما يُفض آلرَّحيق آلمختوم. كتابٌ كآلمشرق شرق به آلمسير وقميصِ يوسف جآء به البشير. هو في آلحسن رَوضةُ حزنْ، بل جنةُ عَدْن، وفي شرح آلنفس، وبَسط آلأُنس، بردُ آلأكباد والقلوب، وقميصُ يوسف في أَجفان يعقوب. قد أَهديْتَ إليّ محاسن آلدنيا مجموعة في وَرَقه، ومباهج آلحُلَل وآلحُلي محصورةً في طبقه. كتابٌ ألصقته بآلقلب وآلكبد، وشممته شمَّ آلولد. ورَدَ منه المِسك ذَكياً، وآلزهر جنيا، وآلمآء مريا، وآلعيشَ هَنيا، وآلسِحر بابليا. كتابٌ مطلعه مطلع أَهلة الأَعياد، ومَوقعُهُ موقِع نَيْل آلمُراد.

وصف قصر الكتب

كتابٌ وَجدته قصير آلعمر، كليالي آلوصل بعد الهجر. لم أبدأ به حتى استكمل، وقارب الآخر الأَوّل. كتابٌ منتقَصُ الأَطراف، مقتطع الأكناف، أَبْتَرُ آلجوارح، مُضْطَرِبُ الجوانح. كأَنه تعريض متحرزّ، أو توقيع مُبرز. كتابٌ يلتقي طَرَفاه، ويَتقارب مُفْتَتَحُه ومُنْتهاه. كتابٌ آتفق طَرَفاه صِغَرا، واجتمعت حاشيتاه قِصَرا، ما أَظُنني ابتدأْتُه، حتى ختمتُه، ولا افتتحته حتى استتممتُه، ولا لمحتُه، حتى استوفيتُه، ولا نَشَرتُه، حتى طوَيتُه، وأَحسبني لو لم اجود

ضبطه ولم ألزم يدي حفْظه لطار حتى يختلط بالجو فلا أرى منه إلا هبآءً مَنثورا، وهوآءً مَنْشورا. كتابٌ حسبتُه يطيرُ من يدي لخفتّه، ويلطف عن حسي لقِلّته. عجبتُ كيف لم تحتمله آلرياح قبل وصوله إليَّ، وكيف لم يختلط بالهوآء عند حصوله لدَي. كتابٌ قصّ آلاقتصار أجنحته فلم يدع قوادمَ ولا خوافي، وأخذ الاختصارُ جِدتّه فلم يُبق ألفاظاً ولا معاني، كتابك كإيمآءٍ بطرفٍ، أو وَحيٍ بكفّ، لم أفتتحه حتى استوفيته ولا نشرته حتى طَوَيته.

في ذم الخط والقلم

خطه مُضطرب الحروف، متضاعفُ آلضَّعْف والتَّحريف. خطٌّ مُمجْمج، ولفظ مُلجْلَج. خطٌّ سقيم، وخاطرٌ عَقيم. خطٌّ مجنون، لا يُدرى ألف أم نون، وسطور، فيها شطور. خطٌّ يُقذي العين، ويشجي آلصدر. خطٌّ مُنحطٌّ، كأرجل البطّ، على الشَّط، وأنامل السرطان، على الحيطان، قلمه لا يستجيب بريه، وآلمدادُ لا يُساعد جريه. قلم كآلولد العاقّ والأخ المشاق إذا أدرته آستطال، وإذا قومته مال، وإذا بعثته وقَف، وإذا وقفته انحرف. قلمٌ أحدل آلشِقّ، مُضطرب آلشّق. متفاوِت آلبري، معدومُ آلجري. مُحَرَّفُ آلقطّ، مشبج الخطّ. قلمٌ لم يُقلم ظُفرهُ فهو يَخدِش آلقرطاس، ويَنْفُشُ الأنفاس، ويأخذ بآلأنفاس. فلمٌ لا ينبعث إذا بعثْته، ولا يَقِف إن وقفته. قد وقف اضْطراب بَريه، دُون استمرارِ جَريهْ، واقتطع تفاوُت قطّه، عن تجويد خطّه.

في ذم الكلام

كلامٌ تنبو عن قَبوله آلطباع، وتتجافى عن استماعه الأَسماع. ألفاظٌ تنبو عنها الآذان فتَمُجُّها، وتنكرها آلطباع فتزجّها. كلامٌ لا يرفع السَّمع له حجاباً، ولا يفتح آلقلب لوفده باباً. كلامٌ يُصدي آلرَّيّان، ويُصدىء آلأذهان. كلامٌ قد تعملَ فيه حتى تبدل، وتكلّف، حتى تعسّف. طبعٌ جاسي، ولفظٌ قاسي. لا

مَساغَ له في سمع، ولا وُصول له مع خُلُو ذَرْع. كلامٌ لا آلرويةُ فيه ضربت بسهم، ولا آلفكرَةُ أجالت فيه بقدح، كلامٌ تتعثر الأسماعُ من حُزُونته، وتتحيَّرُ الأفهامُ في وُعورَته. كلماتٌ ضعيفة آلاتفّاق، قليلةُ آلأعيان، مُضمحلةٌ عَلَى آلامتحان. ألفاظ تُستعار من آلرباجي، ومعانٍ تقد من آلأثافي. كلامٌ كأنه ثمرٌ قُطِف قبل أوانه، وشرابٌ نزل دَنُّه قبل إبانه. كلامٌ بمثله يتسلى آلأخرس عن بَكَمه، ويفرح آلأصمُّ بصممه. بمثل ذلك الكلام رُزق آلصَّمتُ آلمحبة، وأُعطي آلإنصات آلفضيلة. كلامٌ أملس آلمتون، قليل آلعيون. أثقل من آلجندل، وأمرُّ من آلحَنْظل. لفظُ أخلاط، فلا يُدركه استنباط، ولا يُفسره بُقراط. لفظه هَذَيان آلمحموم، وسَوداء آلمهموم. كلامٌ رَثّ، ومعنىً غَثّ. لا طآئل فيهما، ولا حلاوةَ عليهما.

في ذم الكاتب

الخَرَسُ أَحسن من كلامه، وآلعِي أبلغُ من بيانه. خاطرُه ينبو، وقلمُه يَكبو، يَسهُو ويَغلط، ويُخطي ويسقط. هو في آلادب، دَعيّ آلنَّسب، ضيّقُ المضطرب، سيءُ آلمُنقلب. قصيرُ باعِ الكتابة، قاصِر سعْي آلبلاغة. كتبه مُضْطربة آلالفاظ، مُتفاوتة الأبعاض، مُنتشرة الأوضاع، مُتباينة آلاغراض. الجَلَم، أولى بكفّه من آلقلم، وآلطّاس، أليقُ بها من القرطاسُ.

في الشاعر والشعر

أَبيات ليست من مُحكم آلشعر وحِكَمِه، ولا من أَحرار آلكلام وغُرَرِه. شِعرٌ لا حَلاوة فيه ولا طَلاوة. شِعرٌ ضَعيف آلصَّنعه، رديء آلصّيغة، بَغيضُ آلصبغة. قد جمع بين إقوآءٍ وإيطآء، وإخطآء وإبطآء. ما قطع شعرة، ولا سقى قطرة. لو شَعَر بآلنقيض ما شَعَر. فلانٌ لا يُميز بين خبيث آلقول وطيبه، ولا يُفرق بين بكره وثّيبه. فلانٌ مُنقادٌ لساذج آلكلام يستعمله، نَفُورٌ من بديعه

يُهمله. شاعر بارِد آلعبارة، ثقيل الاستعارة، بغيض الإشارة. هو من بين آلشُّعرآء، مَنبوذٌ بالعَرآء. لم يَلبس شِعره حُلَّة آلحلاوة. شِعْرٌ لا يطيبُ دَرسه، ولا يخفُ سرده.

أوصاف أدوات الكتاب وآلات الكتاب

الدَّواةُ من أَنفع آلأَدوات. هي للكتابةِ عتاد، وللخاطر زِناد. غديرٌ لا يَرِدُه غيرُ الأَفهام، ولا يمتح بغير أرشية آلأقلام. أَنيقةُ آلصّبغةُ، رَشيقَة آلصيغة. مِسكية آلجلدة، كافورية الحِلية. غديرٌ تفيض ينابيع آلحِكمة من أقطاره، وتنشأُ سُحُب آلبلاغة من قراره. دَوَاةٌ تُداوي مرض عُفاتك، وتُدوي قلوب عداتك، عَلَى مرفعٍ يُؤْذن بدوامِ رِفعتك، وآرتفاعِ آلنوائب عن ساحتك.

في نعت المداد

مِدادٌ كسواد آلعَين، وسُويدآء آلقلب. مِدادٌ كَجناح الغداف ولُعاب اللَّيل، وأَلوان دُهم آلخيْل. مِدادٌ ناسِب خافية آلغُراب، واستعار لونُه شَعْرَ الشباب. مِدادٌ هو أبهى لدَيَّ من أَلف فَرَسٍ بهيم، وأشهى إلى من مُلْكِ الأَقاليم.

في نعت القلم

أقلامٌ جَمَّةُ المحاسن، بعيدةٌ عن المطاعن. تُعاصي آلكاسِرَ آلمُعاصر، فتُمانِعُ الغامز آلقاصر. صُلبَة المعاجم، لدْنَةُ آلمقاطع. أَنابيبُ ناسبت رِماح الخطّ في أَجناسها، وساكنتْ أُسُود آلغيل في أخْياسها، وشاكلَت آلذَّهَبَ في أَلوانِها، وضاهت الحرير في لمعانها، كأَنها الأَميال استوآءً، والآجال مَضاءً. بطيَّة الحفى، قَوية آلقِوى. لا يُشظيها آلقطّ، ولا يتشعت بها الخط. أَقلامٌ ثجرية مَوْشيّةُ الليط، رائقة التخطيط، كل مُعتدل آلكعُوب، قَوي الأنبوب. باسق آلفُروع، رَويَّ آليَنْبُوع. هو أولى باليد من آلبنان، وآنس بخفي آلسر من

آللسّان. هو للأنامل مطيَّة، وعَلَى الكتابة مَعُونةٌ مـرضية. نِعم آلنجدةُ آلقلم. يُقَلّم أظافير الدَّهر، فيملك آلأقاليم بـالنهي وآلأمر. إن أردت كان مسجونا لا يمل آلإسار، وإن شئت كان جواداً لا يعرفُ آلعثار. لا يَنْبُو إذا نبتَ الصِفاح، ولا يحجم إذا أحجمت آللقاح. آلقلم مطيّة تمشي براكبها رهوا، وتكسو آلأنامل زَهوا.

في نعت السكين

سِكّينٌ كأنَّ آلقَدَرَ سائقها، وآلأجل سابقها. مُـرْهَفَـةُ آلصدْر، مُخْطَفَةُ آلخصر. يجول عليها فِرند العِتق، ويَتَرَقْرَقُ فيها مآء آلجوْهر. كأن آلمنَية تبرُقُ من حدّها، وآلأَجلَ يَلْمَعُ في متنها. رُكبت عَلَى نِصاب آبنوس، كأنَّ آلحدق نفضت عليه صبغها، وحب آلقلوب كسته لباسها. أخذ لها حديدها آلناصع بحظ من آلروم، وضربَ لها نصابُها آلحالك بسهمٍ من آلزْنج. فكأَنها ليلٌ من تحت نهار، أو فحمٌ أبدى سنا نار، ذاتٌ غِرار ماض، وذُبابٍ قاض، ومِنسر بازي، وجوهرٍ هوآئي، ونصاب زنجي، إنِ أرضيت ولّت متناً كآلدِهان، وإن أسخطت اتقت بناب آلأُفعوان. سِكينٌ أَحسن من آلتلاق، وأَقطع من الفِراق. تفعل فعل آلأَعدآء، وتنفع نفعَ آلأَصدقآء. هي أمضى من آلقضآء آلمبرم، وأنفذُ من آلقَدَر آلمتاح، وأَقطَعُ من ظُبَة آلحسام، وأَلمعُ من آلبرق في آلغمام. جَمَعت حُسن آلمنظَرِ، وكرَم المخبْر، فتملكت عِنان آلقلب وآلبَصَر، ولم يحُوجها عِتق آلجَوهر، إلى إمهـاءِ آلحجر.

آخر كتاب آلنَّظم وآلنثر ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الممادح والأثنية
وما يجري مجراها، ويأْخذ مأخذها

المدح بشرف الاصل وكرم النسب

فلانٌ من سِرّ ٱلعُنْصُر الكريم، ومَعْدِن ٱلشرف ٱلصميم. أَصلٌ راسخ، وفَرعٌ شامخ، ومَجْدٌ باذِخ، وحسبٌ شادخ. طيّبُ ٱلعُنْصُر وٱلمركَب، كريمُ المنصب وٱلمُنتسب. فلانٌ كريمُ ٱلطَّرفين، شريف الجانبين. قد ركَّب الله دَوحته في قرارة ٱلمجد، وغرس نَبعْتَه في محلّ ٱلفضل. أَصلٌ شريف، وعِرقٌ كريم، ومغرِسٌ عظيم، ومغْرِز صميم. المجدُ لسانُ أَوصافه، وٱلشَّرفُ نسب أسلافه. نسبٌ فخم، وشرفٌ ضخم. يستوفي شرف الأُرومة، بكرم الأبـوَّة وٱلأُمومة. ما أَتته ٱلمحاسن عن كَلالَة، ولا ظفر بٱلهدى عن ضلالة، بل تناول المجد كابراً عن كابر، وأخذ الفخر بين أُسرةٍ ومنابر، وٱكتسب الشرف عَلَى ٱلأَصاغر وٱلأَكابر.

ما يختص من ذلك بأبنآء النبوة

استقى عِرقُه من مَنبَع ٱلنُبُوَّة، ورضِعَت شجرتُهُ من ثَدي ٱلرسالة، وتهدلت أغصانُه عن نَبعة ٱلإمامة، وتبحبحت أطرافُه في عرصة ٱلشَّرف وٱلسيادة، وتفقَّأَت بيضته عن سُلالة الطهارة. قد جذب ٱلقرآن بضَبعه، وشق ٱلوحي عن بصره وسمعه، مختارٌ من أَكرم ٱلمناسب. منتخبٌ من أشرف ٱلعناصر.

مرتضى من أعلى ٱلمحاتد. مؤثَرٌ من أعظم ٱلعشآئر. قد ورِث جامعاً عن جامع، وشهد له ندآء ٱلصوامع. هو من مُضر في سُويدآء قلبها، ومن هاشم في سواد طَرفها، ومن ٱلرسالة في مهبط وَحيها، ومن الإمامة في موقف عِزّها.

في المدح بجمع بين شرفي الأصل والنفس وفضلي الإنتساب والإكتساب

فلانٌ يَنزع إلى ٱلمحامد بنفس وعرق، ويحن إلى المكارم بوراثة وخلق، يتناسب أصله وفرعه، ويتناصف نَجره وطبعُه. هو ٱلطيب أصله وفرعه، الزكي بذره وزرعه، يجمع إلى عزّ النصاب، مزية الآداب. لا غَرو أن يجري ٱلجواد عَلَى عرقه، وتلوح مخايل ٱلليث في شبله، ويكون ٱلنحيب فرعاً مشيداً لأصله، له مع نباهة شرفه، نزاهة ظلفه، ومع كرَم أرومته وجِذمه، مزية أَدبه وعلمه. لن تخلف ثَمرة غرسٍ آرتيد له من المنابت أزكاها، ومن المغارس أطيبها وأغذاها، عُصبة خيرة فضلها زاهرٌ وشرفها عَلَى شرف ٱلنمآء. وشجرةٌ طيبةٌ أصلها ثابت وفرعها في السمآء. قد جمع شرف ٱلأَخلاق، إلى شرف الأعراق، وكرم ٱلآداب، إلى كرم الأنساب. له في المجد أَوّلٌ وآخر، وفي ٱلفضل قديمٌ وحديث، وفي ٱلكرم تليدٌ وطريف. ليس كلّ من شَرُف عِرقه، شرف خُلقه. ولا كلُّ عودٍ طاب منجمه، طاب معجمه. لا غرو أن يغمر فضله وهو نجل ٱلصيد ٱلأَكارم، أو يغزُر علمه وهو فيض البحور الخضارم. دوحةٌ ضرب عرقها وسمق فرعها، وطاب عودُها، وآعتدل عَمُودُها، وتفيأت ظلالها، وتهدلت ثمارُها، وتفرعتّ أَغصانُها، وبرد مقيلُها.

المجد والشرف والعلى

مجدٌ يلحظ ٱلجوزآء من عال، ويطولُ ٱلنجوم كلَّ مطالٍ. شرفٌ تضع له ٱلأَفلاكُ خدودها وجباهها، وتُلثم ٱلنُّجومُ أرضَه أفواهها وشفاهها. نسبُ ٱلمجدُ به عَريق، وروض ٱلشرف به أَنيق، ولسان ٱلثّنآء بفضله نطوق. مَجدٌ

يشير إليه ٱلنجم ٱلثاقب، وشرفُ تحفظ طرفيه المناقب. فلكُ ٱلمجد عليه يدُور، ويدُ ٱلعُلى إليه تشير، يأْنس ربَع المجد إذا ٱستوحش من ٱستيلاء ٱلنقص، ويسكن إليه جأْش الفضل. سما من المجد إلى رواسي ٱلأعلام، حين رضي بمواطىء الأقدام، محلّه سامِق، ومجدُه باسق، وشرفه نجمٌ طارِق.

الجود والكرم

فلانٌ رفيقُ الجود وخليله، وزَميل الكرم ونزيله، وغُرة ٱلدّهر وتحجيله، مواهبه ٱلأَنوآء، وصَدْرُه ٱلدهنآء. بحرٌ لا يظمأ وارِدهُ، ولا يُمنع بارِده. غوثُه موقوفٌ عَلَى اللهيف، وعونه مبذولٌ للضعيف. يطغى جودُه على وُجوده، وهمته على قدرته. يوجب ٱلصِلات، كوجوب الصَّلاة. بابه غيرُ مرتج، لكل مُرتج. ينابيع الجود تتفجر من أنامله، وربيع السماح يضحك عن فواضله. هو أَوحدٌ في ٱلكرم، وغُرَّةٌ في وجه العالم. هو ٱلكرم أُنشيءنفسا، وٱلفضل تمثل شخصا. لو أن ٱلبحر مدَدُه، وٱلسحاب يَدُه، والجبال ذهبه، لقصرت عما يهبهُ. إن طلبت كريماً في جوده، متُّ قبل وُجوده، أو ماجداً في أخلاقه. مُتّ ولم أُلاقه، صدره بحر ووعده نذر، قد حكم الآمال في أَمواله، واستعبد ٱلأحرار بفعاله. يهتزُّ عند المكارم كالغصن، ويثبت عند الشدائد كالرُّكن. يدُ حاتم كبنانه من شماله. لا يبلغ كعبُ فِي الجود كعبه. له فى كل مكرمة غُرة الأوضاح، وقادمة الجناح. كريمٌ ملُ لباسه، موفق مر أنفاسه. صدرُه تضيق عنه ٱلدهنآء، وتفزع إليه الدهمآء. لا مكارم إلا ما صَدّر عن خلائقه، ولا مناجح إلا ما شيم من بوارقه. غمائم كرمه تفيض، ومآثر جوده تستفيض. يرى تحمل ٱلمغارم، من أعظم المغانم. مخلوقٌ من طينةٍ كريمة، ومجبولٌ على أحسن شِيمة. خوار العنان في ميدان المكارم.

الجمال وحسن الصورة

قمري آلتصوير، شَمسيٌّ آلتأْثير. خلقة سوية صحيحة، وصورةٌ مقْبولةٌ صبيحة. منظرٌ يملأُ آلعيون، ويملك النفوس. منظرٌ ما أحوجه إلى عيب يصرفُ عين كماله، عن جماله. طَلْعةٌ يطلُعُ منها آلنيران؛ ويسجُد لها الثَّقلان. مُبَرقع آلغرة بآلجمال، مُسفر آلطلعة بتباشير آلإقبال. للعيون في محاسن وجهه مرتع، وللأَرواح بها مُستمتع. خَلْقٌ وَضي وخَلْقٌ رضي، وفضلٌ مضي.

البشر والبشاشة

طَلْعَةٌ عليها للبشاشة ديباجة خُسرُوانية، وفيها للطلاقة روضةٌ ربيعية. غُرةٌ يجول فيها مآء آلكرم، وتقرأُ منها صحيفة حسن الشِيم. وجهٌ كأَن بَشَرَته قِشر آلبشر، ومواجهته أَمان من الدهر. فلانٌ يصل ببشره، قبل أَن يَصِل ببره، ويحيي آلقلوب بلقائه، قبل أن يُميت آلفقر بعطائه. شمِتُ من وجهه بارِقة آلمجد، ورأيت في بشره تباشير النجح. قد لحظتُ من وجهه آلأنوار، ومن بنانه آلأنوآء. أنا من كرَم ِ عِشرته، وطلاقة أُسرته، في رَوضةٍ وغدير، بل في جنةٍ وحرير.

العلم والادب

هو بحرٌ من العلم ممدود بسبعة أَبحُر، ويومه في آلأدب كعُمُر سبعة أنسُر. العلمُ حَشْوُ ثيابه، وآلأدبِ ملء إهابه، هو شخص آلأدب ماثلا، ولسان آلعلم قائلاً. شجرةٌ فضل عودُها أدب، وأغصانِها علم، وثمرتها عقل، وعُروقها شرف. تسقيها سمآء آلحرية، وتُغذيها أرضُ المُرُوة. هم ملح آلأرض إذا فَسَدَت، وعِمارة الدنيا إذا خَربت، ومعرض آلأَنام إذا آحْتَشَدَت. هم جُمالُ آلأيام، وخواصُّ آلأنام، وفُرسان الكلام، وفلاسفة آلإسلام. فلانٌ

غُصن طبعه نضير، وليس له بحمد آلله نظير. قد جمع الحفظ آلغزير، وآلفهم آلصحيح، وآلأدب آلقوي آلقويم. ما يُؤْنسه عن الوحشة إلا آلدَّفاتر، ولا تصحبه في آلوحِدة إلا آلمحابر. همه مُهرة فكرةٍ يستفيدها، وشرودٌ من آلكلِم يصيدُها. فلانٌ يَحُلُّ دقائق الأشكال، ويزيل معترض الإشكال.

حسن الخلق

خُلُقٌ لو مزج به البحر لنفى مُلُوحته، وصفى كُدُورته. خُلُقٌ كنسيم الأسحار، عَلَى صفحات آلأنوار. خلقٌ كآلمآء صفآء، والمسك ذكآء. أخلاقٌ قد جمعت آلمروءة أطرافها، وحرست الحرية أَكنافها. أخلاقٌ تجمع الأهواء المتفرقة عَلَى محبته، وتؤلف ألآرآء المتشتتة في مودته. أخلاق أعذب من ماء الغمام، وأحلى من ريق النحل، وأطيب من زمن الورد. أخلاقٌ أحسنُ من آلدُّرّ وآلعِقيان في نحور آلحِسان، وأزكى من حركات الريح بين الورد وآلرّيحان.

الظرف واللباقة وحسن العشرة

فلانٌ يستحط آلعُصْم بظَرفه، ويستنزل آلنجم بلطفه. ما هو إلَّا غذآء الحَبْرة، ونسيمُ آلعيش، وقوتُ النفس، ومادَّةُ آلأُنس، وشَمامةُ آلظرفآء، وريحانةُ آلنُّدمآء. فلانٌ حلو آلمَذاق، عذب المساغ، أعلى الناس في جد وأحلاهم في هزْل. يتصرّف مع آلقلوب، كتصرُّف آلسَّحاب مع آلجنوب. ذو جِدٍ كعلو الَجدّ، وهزَلٍ كحديقة آلورْد. قد طابت عِشرته إذ عاشرته، ولانت قَشرته، وواصلتُه فأستحسنت وِصاله، وأحمدْتُ خصاله. له عشرةٌ مآؤُها يقطر، وصحوها من آلغضارة يمطر. هو رَيحانةٌ عَلَى آلقدح، وذريعةٌ إلى آلفرح. عِشرته ألطف من ريح نسيم آلشمال، عَلَى أَديم المآء آلزُّلال، وأَلصق بآلقلب، من علآئق الحبّ. إن أَردْت فهو سُبحة ناسك، أَو أحببت فهو تفاحةُ

فائك، أو اقترحت فهو مذْرَعةٌ راهب، أو آثرت فهو تحية شارب.

طيب الخبر

فلانٌ أخبارُه ذكية، وآثارُه زكية. أخبارُه تأْتينا كما وشت بآلمسك رياه، ونم عَلَى آلصّبح مُحياه. قد آنتشر من طيب أخباره ما زاد عَلَى آلمسك آلفَتيق، وأوفى عَلَى الزَّهر آلأَنيق. مناقبُ تشدخ في جبينها غُرّةُ آلصباح، ويتهادى أنباءها وُفودُ آلرّياح. فلانٌ أخباره آثارُه، وعينه فرارُه. قد حصل له من حميد آلذّكر، وجميل النَّشر، ما لا تزال الرّواة تدرُسه، وآلتواريخُ تحرسُه. سأَلت عن أَخباره فكأَني خرّجت آلمسك فَتِيقا، وصّبحت الروض أنيقا. أَحببته بالخبر، قبل آلأَثر، وبآلوصف، قبل آلكشف. أَخبارُه مُتضوعةٌ كتضوّع المسك آلأَذفر، ومُشرقة إشراق آلفجر آلأنور. أَخباره أَرِجة، وصفحاته بهِجة.

حسن العهد وكرم الود

هو من يثقل ميزان ودّه، ويُحصِف ميثاق عَهده. فلانٌ كريمُ آلعَهْد، صحيحُ آلعَقد. سليمُ آلصَّدر في آلودّ، حميدُ آلصَّدَر فيه وآلورْد. هو لإخوانه عُدّة يشدهم ويُقوّيهم، ونورٌ يسعى بين أيديهم. هو ثابت رُكن آلإخآء، صافي شرب آلوَفآء. حافظٌ على آلغيب ما يحفظه عَلَى آللقآء. هو من لا تدورُ آلمداهنة في عَرَصات قلبه، ولا تحوم آلمواربة عَلَى جنبات صدره. فلانٌ يسري إلى كرَم آلعهد، في ضيآءٍ من آلرُّشد. عهدُه نقشٌ عَلَى صخر، وودَّه نسبٌ ملآنٌ من فَخر. يقبلُ من إخوانـه آلعَفْو، كمـا يُوليهم من إحسـانه آلصَّفـو. في وده غنًى للطالب، وكفاية للرَّاغب، ومرادٌ للصَّحب، وزادٌ للرَّكب. هو في حبل الوَفآء حاطب، وعَلَى فرض آلإخاء مواظب.

اصابة الرأي

النجحُ مَعْقودٌ بنواصي آرائه، وآليُمن مُعتادٌ في مذَاهب أنحائه. له الرأْي آلثاقب آلذي تخفى مكائدُه، وتـظـهر عوائدُه، وآلتدبير آلنافذ آلذي تنجح

مباديه، وتبهج تواليه. رأيٌ كآلسَّهم أصاب غُـرة الهدف، ودَهآءٌ كآلبحر في بُعد آلغور وقرب المغترف. لا يضع رأيه إلا مواضع الإصابة، ولا يَصْرِف تدبيره إلَّا إلى مواقع آلسَّداد وآلأَصالة. له فكرٌ عميق، ورأْيٌ وثيق. يعرف من مبادىء آلأَفعال، خواتم آلأعمال، ومن صدور آلأُمور، أَعجاز ما في الصدور. روّيتُه رأْيُ طبيب، وبديهته قدرٌ مصيب. يسافر رأيه وهو دان لم ينزح، ويسير تدبيره وهو ثاوٍ لم يبرح. له رأْيٌ لا يخطيء شاكلة آلصواب، ولا يخشى عليه بادرة آلعِثار. فلانٌ يُخمر آلرأْي ويُجيله، ويُجيدُ الفكر ويطيله، حتى يحصل عَلَى لب الصواب ومحض الرّأْي. إذا أَذكى سراج آلفكر أَضاء الظلام. هو قطب آلصواب تدور به الأُمور، ومستنبط صلاح يردُّ إليه التدبير، يرى العواقب في مرآة عقله، وبصيرة ذكائه وفضله. رأْيٌ يرُد آلسيف مُثلّما، وآلرُّمح مُقَلّما. آراؤُه سكاكين في مفاصل آلخطوب. له رأْيٌ لا تغيب كواكبه. رأْيٌ طبيب دآء المملكة. رأْيٌ منير، وللأَعدآء مُبير. كأَنه ينظر إلى آلغَيب من ورآء سِتر رقيق، ويطالعه بعين آلإلهام والتوفيق. فلانٌ يرى بأَول رأْيه آخر آلأمر، وأصاب شاكلة آلصواب في رأْي محضه، وتدبيرٍ مَخَضَه. عجباً لرأْيه آلذي يستنبط دَفائنَ القلوب، ويستخرج ودَائع آلغيوب. قد سرينا من مشورته في ضيآءٍ ساطع، ومن رأْيه آلصواب في حكمٍ قاطع.

التجربة والحنكة

قد وضعت كثرةُ التجارب في يده مرآةَ آلعواقب. قد نجّدته مصارفُ آلدُّهور، وحنكَّته مصآئرُ آلأُمور. قد أَرضعته الحُنكة بابانها، وأدبته آلدُّربة في إِبانها. فلانٌ بازل، التجاربُ حّنكته، وآلأَيام عركته. لا تكادُ آلأَيامُ تريه من أَفعاله عجيبا، أو تسمعه من أحواله غريبا. فلانٌ عارِفٌ بتدبير الزَّمان، عالمٌ بتصاريف آلأيام. آخذ ببرهان آلتبريز، نافذٌ في مجال التحصيل والتمييز. قد صحب آلأيام، وتولىّ آلنقض وآلإبرام. هو آبن آلدَّهر حُنكةً وتجريبا، وعوداً

على ٱلغمز صليباً. قد أدبَّه ٱلليل والنهار ، ودارت على رأسه الادوار، وٱختلفت به ٱلأطوار. قد ٱرتضع أفاويق الزَّمان وحلب أخلاف الليالي وٱلأيام. قد ركب ظهري البَر وٱلبحر. ولقي وفْدَي الخير وٱلشر، وصافح صفحتي ٱلنفع وٱلضر، وبَلاَ طعمي ٱلحلو وٱلمُر، ورضع ضَرعي ٱلعُرف والنكر، وضرب إبطي العُسر وٱليُسر.

في الهمة العالية

له همَّةٌ عَلَى هامة النجم. فلانٌ رفيعُ مناط ٱلهمة. فسيحُ مجال ٱلفضل. له همةٌ تعزِل السِماكَ ٱلأعزل سُمُوا، وتجر ذيلها عَلَى المجرة علوا. هِمة حلقّ جَناحِها إلى عنان النجم، وٱمتد صباحُها من شرق إلى غرب. لا يتعاظمه ٱنتزاف ٱلبحر إذا أخطره بفكره، ولا ٱنتساف ٱلصخر إذا ألقاه في وهمه. همته أبعد من مناط الفرقد، وأعلى من مَنكب الجوزآء، وأوسع من الأرض، ذات العرض.

الشهامة والنفاذ والجد والجلادة

فلانٌ حيٌّ القلب، مُنشرحُ الصَّدر. ذكيُّ الذّهن، سَجاح الطبع. ليس بالنُّؤوم، ولا السَّؤوم. فذٌ فرد، وأسدٌ ورد. كأن له في كل جارحةٍ قلبا، كأن قلبه عين، وكأن حسه سمع. شهابٌ مقدّم، وقِدْحٌ مقوّم مشدُود النطاق، قائمٌ عَلَى ساق. لا يجِفُّ لِبده، ولا يستريح قلمه، ولا تسكنُ حركته. قد جدّ وٱجتهد، وحشر وحشد. شمر عن ساق الجد ما أطاق، وشد له النطاق. قد ركب ٱلصعب وٱلذّلول، وتجشّم الحُزون والسُّهول، وقطع البَرّ والبحر، وأعمل السيف وٱلرُّمح، وأسرج الدهم والشُّهبْ.

التقى والزهد

فلان عَذْبُ المشرب، عَفُّ ٱلمطلب. نقيُّ ٱلساحة من المآثم، بريءٱلذمة من الجرآئم. إذا رضي لم يَقُل غير ٱلصدق، وإن سَخِط لم يتجاوز جانب ٱلحق. يتبع أفضل ٱلطُّرُق، وأرشد ٱلخُلُق. يرجِع إلى نفس أمارة بالخير، بعيدةٍ من الشر، مدلولةٍ على سُبل البِر. أعرض عن زبِرِج ٱلدُنيا وخُدعها، وأقبل عَلَى ٱكتساب نعم ٱلأُخرى ومُتعها. كفَّ عن زخرف ٱلدُنيا ونَضرتها، وغَض طرفه عن متاعها وزَهْرتها، وأعرض عنها وقد عرضت له بزينتها، وصدّ عنها وقد تصدَّت له في حليتها. فلانٌ ليس ممن يقف في ظل الطّمع، فيُسف إلى حَضيض ٱلتضع. نقي جيبُه، وسَلِمَ غيبه، ولم يدنْس ذيله، وٱستوى في النزاهة نهارُه وليله. فلانٌ جَليُّ الصفحة، نقيُّ الصحيفة، عفّ ٱلإزار، طاهر من ٱلأوزار. قد عاد لإصلاح ٱلمعاد، بإعداد ٱلزّاد. اعتزل ٱلدُّنيا وأفرج عن كل ما زاد على الزَّاد المبلغ، والقوت المقنع.

الكمال والانفراد عن النظرآء

فلانٌ مَوْلودٌ في طالع ٱلكمال، وهو جُملة الجمال. قد أصبح عينَ الكمال، وصُبح ٱلمحافل، وزين المحاضر وٱلمجالس. فريد دَهره، وشمس عصره، وزينة مِصره. فلانٌ عَلمُ الفضل، وواسطةُ قِلادة ٱلدَّهر، ونادرة ٱلفلك، ونكتة الدُّنيا، وغُرّةُ العصر. قد بايعته يدُ المجد، ومالت فيه الشورى إلى النص. كيف يُذَمُّ زمانٌ هو عَينُه البصيرة، ولمعته الثاقبة المنيرة.

التفضيل والترجيح

فلانٌ يزيدُ عليهم زيادة ٱلشمس عَلَى البدر، وٱلبحر عَلَى ٱلقصر. هو رائشُ نَبْلهم، وبقية فضلهم. وجمة وردهم، وواسطة عِقْدِهم. هو صدْرهم وبدرهم، ومن عليه يدُورُ أمرهُم. يُنيفُ عليهم إنافة صفحة ٱلشمس عَلَى كُرَة

الأَرض، كأَنهم فلكٌ هو قطبه، وجسدٌ هو قلبه، ومملوكٌ هو رَبُه. هو مشهورٌ بسيادتهم، وواسطة قلادتهم. هو بيتُ القصيدة، وأولُ ٱلجريدة، وعينُ الكتيبة، وواسطةُ ٱلقِلادة، وإنسانُ ٱلحَدقة، ودُرَّةُ ٱلتَّاج، ونَقْش ٱلفَصّ. مَوضِعُه من أَهل الفصل، موضِعُ الواسطة من العِقْد، وليلِ ٱلتمّ من الشهر، كلاّ بل ليلة القدر إلى مطلع الفجر.

ما يليق ببعض هذه المدائح من حكاية أفعال المحسنين، وحُسن آثار المنعِمين وٱلألفاظ ٱلتي تقع في الشكر، ونشر ٱلبِرّ

ذكر الافضال والانعام والاحسان والاصطناع

أفضل وأنعم، وأسدى في ٱلإحسان وألحم، وأسرج في ٱلإكرام وألجم. قسم له من إحسانه ما يسع أُمما، ويلقي السعادة أُمما. أهدى إليه من كرائم البر ما لا يساق مهورُه إلا من كرائم النُّفوس ومخايل ٱلصدور. أعطاه عنان الاهتمام، حتى آستولى على قصب المرام. رَدَّ عنه الدَّهر أحصّ الجناح، وملّكه مقادة النجاح. أولاه من معهود البر ومألوفه، ما يُربى على مئيه وأُلوفه. أولاه إسعافاً سَمحاً، وعَطآءً سحّاً، ومنناً صفوا، وعَفواً عفوا. أفاض عليه شعاب ٱلبر ومساليه، وجمع له شُعُوب الجميل وقبائله. هطلت عليه سحآئب عنايته، ورَفْرَفَت حوله أجنحة رعايته، قد فكه بكرمه من قيد السؤال، ومعَرة الاختلال. راشه بعد ما حَصه الفَقْر، وأرضاه وقد أَسخطه الدّهر، وربما نمنا أملآء ٱلجفون، وسهر دوننا لتحقيق الظنون. قد شِمتُ من كرمه أصدق سَحَاب، وحصلت من إنعامه في أخصب جناب. قد سدّ ثُلمة حالي، وأدر حَلُوبة مالي.

حسن آثار المنعم

ما أخلو من طَلّ إحسانه ووابله، وعام إنعامه وقابله. قد آستمطرت بنوءٍ

غزير، وسريت منه في ضو قمر مُنير. لم يرض بأوَّل آلسُّقيا حتى أتى آلانسكاب بعد آلقطر، وطَلَعَت آلشمسُ في أعقاب الفجر. قد كرعتُ من بره في مشارِع تَغزر، ولا تَنزُر، ورَفلت من طوله في ملابس تطول ولا تقصر. أنا منه في ظلٍ ظليل، وفضلٍ جزيل، وريح بليل، ونسيمٍ عليل، ومآءٍ روي، ومهاد وطِيّ، وكنّ كنين، ومكان مكين. أنا آوي إلى ظلّه كما يأوي الصيدُ إلى الحرم، وأُواجه منه وجه المجد وصورة الكرم. انا من إنعامه بين خيرٍ مستفيض، وجاهٍ عريض، ونعمٍ بيض. قد آستظهرت عَلَى جور آلأيام بعدله، وآستترت من دهري بظله. جميعُ ما أُردد فيه طرفي وأُعدّدُه من خاص ملكي مُنتسِبُ إلى عطآئه، أو مكتسبٌ بجميل رأْيه. مسافةُ بصري تبعُد إن سافرتُ بها في مواهبه، وركائب فكري تطْلُحُ إن أنضيتها في آستقرآء صنائعه. جمالي مقرونٌ بجماله، وحالي قطعةٌ من حاله.

وصف النعم

نِعمةٌ عمّمتْ آلأُمم، وسبقت آلنِعم، وكشفت الهموم ورفعت آلهمم. نِعمةٌ قد سطع صباحُها مُستنيرا، وطنّب شُعاعها مُستطيرا. قد غرقتني نعمه حتى آستنفدت شكر لساني ويدي وأثقلت ظهري، وتملأت صدري. نعمةٌ عندي مُشرقةٌ آلجو، مُغدقة آلنَّوْ، نُيرة آلضوء. تتابعت نِعمه تتابع آلقَطْر، عَلَى البلد آلقفر، وترادفت مِننه ترادُف آلغنى إلى ذي الفقر. نِعمةٌ أشرقت لها أرضي، ومُطر بها روضي، ووري بها زندي، وعلا معها جدّي، وأتاني الزمان يعتذر من إسآءته بي، وجآءني الدهر ينتظر أمري. نعمةٌ أنعمت البال، وقوت النفس وآلحال. نِعمةٌ تَعُمُّ عموم المطر، وتزيد عليه بإفراد النفع والضّرر. نِعَمٌ تَضعُف الخواطر عن آلتماحها، وتَصغر القرائح عن آقتراحها.

وصف الأيادي والمنن

له مع كلّ صباحٍ يدٌ كالصبـاح أو اشد وُضوحاً، وكآلنهار أو أصدق ظهورا.

قد عمت آلآفاق، ووسَمت آلأعناق. أيادٍ قد حبست الشكر وآستعبدت لك آلحُر. مِنَنٌ توالت توالي القطر، وآتسعت سَعَة البحر، وأثقلت كاهل آلعبد والحرّ. عندي قلادةٌ منتظمةٌ قد جعلتها وقفاً على نحور آلأيام وجلوتها على أبصار آلأنام. أيادٍ يقصرُ عن عفوها جَهْدُ القول، وتزهر بينها سواطع الإنعام والطول. أياديه أطواقٌ في أجياد الأحرار، وأفلاكٌ تدور عَلَى ذوي آلأخطار. مننٌ تَضعفُ لحملها عواتق الاطواد، ويتضاعف حملها على السبع الشِدّاد. لو تَحمـلّ الثّقلان، ثقل هذا الامتنان، لأثقل كواهلهم وأضعف عواتقهم. أياد يُفرض الشكر لها ويُحَتّم، ويُفتح الذكر بها ويختم. أيادٍ تُثقل الكاهل، ومِننٌ تُتْعِبُ آلأنامل. مِننٌ تُضعف متن الشكر، وتُنْشَر معها قُوى النشر. مننٌ هي أحسن أثراً من الغيث في ازاهير الربيع، وأحلى موقعاً من آلأمن عند الخآئف المروع.

ذكر وفورها وكثرتها

مننٌ لا تُحصى، أو تحصى الحصى، إذا اطمعت نفسي في تعداد مننه وحصرها، فأطمعتها في إحصاء السحآئب وقطرها. أيادٍ لا تحصى حتى تحصى محاسن النجوم، ومننٌ لا تحصر أو تحصر قطارات الغيوم، وذلك مُعْوِز عمر النسور، باقٍ إلى يوم النُّشور. اياد كعدد الرّمل والنمل أعيت على العد، ولم تقف عَلَى حدّ. زادت آياديه حتى كادت تجهد الإعتداد. وتسبق الاعداد اياديه عندي أغزر من قطر المطر، وعوارفه أسرع من لمح البصر.

التشريف والتنويه

رفعه من قعر التراب، إلى سمك السحاب. استنبطه من حضيض الذّلة، وأنهضه من محط الدنآءة والضِعة. جذب بضبعه مـن أخس مطارح الأتباع، وأخفض منازل الرِّعاع، إلى أعلى المنازل، وأرفع المراتب. استنبطه مـن الحضيض الأوهد، إلى البنآء الأمجد. قد نبهه عن خمول، وأجرى المآء في عوده

بعد ذُبول. رقاه إلى ذروة من آلمجد تَزِل أقدام النجوم لو وطئتها، وتقصر همم الأفلاك إن طلبتها. ثبت قدمه في المحل المنيف ، ومكنه من جوامع التشريف. جذب بضبعه من المسقط المنحطّ، إلى المرفع المشتط. رفع خسيسته، وجبر نقيضته.

ذكر الشكر

الشكر ترجُمان النية، ولسان الطوية، وشاهد آلإخلاص، وعُنوان الاختصاص. الشكر نسيم النعم، وهو السبب إلى الزيادة، والطريق إلى السعادة. الشكر قيد النعمة، ومِفتاح المزيد، وثمن الجنة. من شكر قليلا استحقّ جزيلا. شُكر المولى، هو الأَولى. أُشكُر لمن أَنعم عليك، وأنعم على من شكرك. الشكرُ قيدُ النِعَمِ وشِكالها وعقالها، وهي مشبهة بالوحش التي لا تقيم مع آلإيحاش، ولا تريم مع آلإيناس. موقع الشكر من النعمة موقع القرى من الضيف، إن وجده لم يرم، وإن فقده لم يقم. الشكر غرسٌ اذا اودع سَمْعَ الكريم أثمر الزيادة، وحفظ العادة، الشاكر يعرض المزيد البالغ والنّعيم السابغ.

العجز عن الشكر لتكاثر الانعام والبر

عندي من يده ما ملك آلاعتدادُ أَزِمته، وقبض أُمرآء الكلام وأَئمتَّه. عندي له مَبَارٌ أَعجزني شكرُها، كما أعوزني حصرُها. شكره شأوٌ بعيدٌ لا تبلغه أشواطي، ولا أَتلافي آلتفريط في حقه بإفراطي. إحسانه يعيد العرَب عُجما، والفصحآء بُكما. إذا سلم المرء مُقراً بآلعجز فقد خرج عن تَبِعَة التقصير، وبرِيء من عُهدة المعاذير. قد زحمني من مكارمه ما يحصر آلمبين، ويصحبُه العجز وبئس القرين، عندي من إنعامه، وخاصّ بره وعامّه. ما يستغرق مُنَّة آلشكر، ويستنفد قُوة آلنشر. لو آستعرت آلدهر لسانا، وآتخذت الرّيح تَرْجُماناً، ليُشيعا شُكر إنعامه حقَّ آلإشاعة، لقصرت بها يدُ آلاستطاعة.

حسن الافصاح عن الشكر والثنآء

شكره شكرَ آلأَسير لمن أَطلقه، وآلمملوك لمن أَعتقه. شكره شكرَ آلبَلَد آلقَفْر، لأَلمامة القَطر. أُثني عليه ثنآء آلرَّوض آلمحل، عَلَى الغيث المسبل. أثني عليه ثنآء لسان آلزَّهَر، عَلَى راحة المطر. أثني عليه ثنآء آلعطشان الوارِد، عَلَى آلزُّلال البارِد. شكره شُكر آلرَّوض للدّيَم، وزهير لهرم. بسط لسان آلثنآء والدعآء، وبلغ عِنانُ الشكر عنان آلسمآء. شكراً ترتاح له آلمكارِم، وتهتزُّ له المواسم. لأَشكرنه شكراً تتسع أنواعه، وتنبسط أبواعه، ويلذُّ ذكرُه وسَماعه. شكرٌ مِلْءُ آلقلب وآللسان، وكشكر حَسّان لآل غَسَّان. أطال عِنان الشكر وفسح مجاله، ورفع أعمدته، ومَدَّ أروقته. شكرٌ كأَنفاس آلأحباب أو أَنفاس الأسحار، بل أنفاس الرياض غب الأَمطار. فلانٌ يتلو فضآئلك تلاوة القرآن، ويَسْرُدُ محامدك سرد الفُرقان.

دلالة الحال على ما ورآءها

لو سكت الشاكر، لنطقت المآثر، ولو صمت المخاطب، لأثنت الحقآئب. لقد شهدت شواهد حاله، عَلَى صدق مقاله. أما تفضله فقد نطقت به جوارحي، ولو سكتُّ لأَثنيت حقائبي، لئن جحدت ما أُولانيه، وكَنَدْتُ ما أعطانيه، نطقت آثاره أياديه عليّ، ولمعت أَعلام عوارفه لدي. جوارحي انطق بآلشكر من أَلسنة خطبآء إياد، وشعرآء مُراد.

أدعية تليق بهذه الاحوال بهذا الباب

أطال الله له البقآء، كطول يده بالعطآء، ومدَّ له في العمر، كآمتداد ظلّه عَلَى الحرّ. أدام الله له المواهب، كما أفاض به الرّغائب، وحرس لديه الفواضل، كما عوّذ به البر الشامل. تولى الله عني مكافاته، وأعان عَلَى الخير نياته، وأصحب بقآءه عزاً يبسط يديه لأَوليآئه، وعَلَى أعدآئه، وكَلأه تذُب عن ود ائع مِننه

عنده، وزاد في نِعمِه وإن عظمت، وبلّغه آماله وإن انفسحت. لا زال الفضل يأوي منه إلى رُكنٍ منيع، وجناب مريع. لا زالت ألألسُنُ عليه بالثنآء ناطقة، وآلقلوب على مودته متطابقة، والشهادات له بالفضل متناسقة. لا زال يعطف على الصادر والوارد، عطف العم والوالد. أبقاه الله للجميل يُعلي معالمه، ويُحيي مكارِمَهُ، ويعمر مدارجه، ويثمر نتائجه. أدام الله أيامه التي هي أيام الفضائل ومواقيتها، وأزمان المآثر وتواريخها. أدام الله له المواهب، سامية الذوآئب. مُوفيةً على مُنْيةِ الراجي وبُغية الطالب. أبقآه الله للعطاء يفضه بين خدمه، والجمال يفيضه عَلَى إنشآء نعمه. والله يتابعُ له أيام العَلآء والغِبطةُ، والنمآء والبسطة، لترتع انواع الخدم في رياض مواهبه، وتكرع أصناف الحشم في حياض فواضله، والله يبقيه طويل الذراع، مديد الباع، مَلياً بالإفضال وآلاصطناع. جزاه الله عن نعمةٍ هناها، بعد أن أسبغها، وعارفةٍ ملاها، بعد أن سوغها. أفضل ما جُزي به مبتدي إحسان، ومُحيي إنسان. لا زال مكانه معاناً للنعم لا تريمه المواهب، ولا ترومه النوائب. بسط الله بآلعُلآء يده، وقرن بالسعادة جده، وجعل خير يوميه غدَه ، ولا زالت الأيام والليالي مطاياهُ إلى أمانيه وآماله، وصرف الله صروف الغير عن إصابة إقباله وكماله.

آخر كتاب المدائح والاثْنِيَة، ولله الحمد والمنَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب المساوىء والمقابح
وما يدانيها

اللؤم والخسة

فلانٌ عُصارة لؤم، في قرارة خُبث. أَلأم مُهْجَة، في أسقط جُثة. حديثُ آلنعمة، خبيث آلطُّعمة. هو كآلكمأة لا أَصل ثابت، ولا فرعٌ نابت، فلانٌ خبيث آلمركب، لئيمُ المكتسب. يكاد من لؤمه يُعدي من جلس إلى جنبه، أو تَسمى بآسمه. فلانٌ قد أُرضع بلبان اللؤْم، ورُبي في حجر الشر وآلشؤم، وفُطم عن ثدي آلخير، ونشأ في عَرصة الخبث. قد طلّق آلكرم ثلاثاً ولم ينطق فيه آستثناء، واعتق آلمجد بتاتاً لم يستوجب عليه ولآء. فلانٌ أتى من آللؤم بنادر لم تهتد له فطنة مادر. فلانٌ قصير آلشّبر، صغيرُ آلقَدر، قاصر آلقدْر، ضيق الصدْر. لو قذف آلليل بلُومه، لطَمس أنوار نجومه رُدّ إلى قيمة مثله في خبث أُصله وفرط جهله. فلانٌ لا أمس ليومه، ولا قديم لقومه.

في البخل

سائله محروم، وماله مكتوم. لا يجيز إنفاقه، ولا يحلُّ خناقه. خُبزه كالأروى يُسمع بها ولا تُرى. خُبزه في حالق، وأُدمه في ساحق. غناه فقر، ومطبخه قفر. يملأ بطنه وآلجار جائع، ويحفظ ماله والعرض ضائع. قد أطاع سلطان البخل بجهده، وآنخرط كيف شآء في سِلكه. فلانٌ لا يبض حجره، ولا يُثمر شجره.

ما هو إلا حجرٌ لا يُروي، وزندٌ لا يوري. فلانٌ لا يحلب إلا من ضَرع بكي، ولا يسقى إلَّا من أَنضب رُكي. قد جعل ميزانه وكيله، وأسنانه أكيله، وكيسَه، أنيسه، ورغيفه، أليفه، ويمينه، أمينه، ودرهمه شقيقه، ومفتاحه رفيقه، وخاتمه، خادِمه، وصناديقه، صديقه.

القبح والدمامة والحقارة

وجهٌ كَهَوْل المُطَّلع، وزوال النعمة، وقضآء السُّوء، وموت الفَجأة، ما هو إلا قذى العين، وشجى الصدْر، وأَذى القلب، وحُمى ٱلروح. وجهٌ كأنه تبرقع بٱلخنادس، وٱكتسى قشور ٱلخنافس. كأَن النحس تطلّع من جبهته، وٱلخل يقطُر من وجنته. وجهٌ مسترق بٱلحسن، مُنتقبٌ بٱلقبح. وجهه طلعةُ ٱلهجر، ولفظه قطع الصَّخر. وجهه يشق على ٱلعين، وكلامه لا يسوغُ في ٱلأُذنين. وجهٌ كحضور الغريم وحصول الرَّقيب، وكتاب العَزْل وفراق الحبيب. خلقة ٱلشيطان، وعَقل ٱلصبيان، . قدٌ لا يزيد فيه القيام. بيدَق ٱلشّطْرنج في ٱلقيمة وٱلقامة. له من ٱلدينار قِصرُه، ومن الوَرد صُفرته، ومن السَّحاب ظلمته، ومن الأسد نكهته.

الثقل والبغض والبرد

فلانٌ ثقيلُ ٱلطَّلعة، بغيضُ ٱلتَّفصيل وٱلجملة. باردُ ٱلسكون والحركة، قد خرج عن حدّ الاعتدال، وذهب ذات ٱليمين وذات ٱلشِمّال، يحكي ثقل الحديث العُاد، ويمشي عَلَى ٱلعيون وٱلأكباد. لا أدري كيف لم تحمل ٱلأمانة أرضٌ حَمَلته، وكيف ٱجتاحت إلى ٱلجبال بعد ما أَقلته. كأَنَّ وجهه أَيام المصائب، وليالي ٱلنوائب، وكأنما قربه فقدُ الحبآئب، وسوء ٱلعواقب، وكأنما وصله عدم الحياة، وموت ٱلفَجْأة، وكأَنما هجره قوت المنة، وريح

الجنةَّ. يا عجبي من جسم كآلخَيَال، وروح كالجبال، كأنه ثِقَـل آلدَّين، عَلَى وجـع العين. ما الحِمام عَلَى آلإصرار، ومُواصلة آلصَّوم في آلأَسفار، وحلول آلـدَّين عَلَى الإقتار، بأثقل من لقآء فلان. هو ثقيلُ السكون بغيض الحركة، كثيرُ الشؤْم قليلُ البركة. هو بين آلجفن وآلعين قذاة، وبين آلنعل والأَخمص حَصاة. ما هو إلا غداةُ آلفراق، وكتاب الطَّلاق، وموت الحبيب، وطلوع آلرقيب. ما هو إلَّا الأَربعآء آلأَخير في آلصَّفر، وآلكابوس في وقت السَّحر. هو أَثقل من خَراجٍ بلا غَلَّة، ودوآءٍ بلا عِلَّة، وأَبغض من مَثَل غير سائر، وأبرد من خَشِيف عَلَى خيْشوم ميزاب، وأَجمع للعيوب من بغل أَبي دُلامة، وحمار طيَّاب، وطيلسان آبن حرب*.

البخر وترك التنظف

لا يُدرى أفَسَا أم تنفسَّ، وأحدث أَم حدّث. مَدخل أكله أخبث من مخرجُ ثُقْله. لا فرق بين مَجشاه، ومفساه، أنتنُ من هُدْهُدٍ ميتٍ مكفن، في جَورَب عَفِنْ. مالي أَرى الآباط حاشنة، والآناف مُعشبة، وآلعيون منورة، والأَزرار مَرْعى، وآلأظفار حِمِى، وآللحى لُبُودا، والأسنان خُضراً وسودا.

الجهل والخرق والسخف

جهلٌ كثيف، وعقلٌ سخيف، قَالبُ جَهْلٍ مَستورٍ بثوب. فلانٌ جاهلٌ لا يُميزُ، وأَهوجُ لا يتحرزّ، أَخرقُ متخلف، أَهوج مُتعجرف. لا يستتر من آلعقل بسِجفْ، ولا يشتمل إلا عَلَى سُخْف. يمدُّ يد المُجون فيعرك بها أُذن الحزم، ويفتح جِراب آلسُّخف فيصفع بها قَفَا آلعقل. لا تزال آلأخبار تورِد سَفَاتِج جَهله وخُرقه، وآلانبآء تنقل نتائج سُخفه وحُمقه، قد ظَلّ يتعثّر في فضول جهله، ويتساقط في ذُيول خُرْقه. قد أَتى ما دلّ عَلَى خُرقه، وركاكة خُلْقه.

الخسة مع الثروة والإقتصار من الانعام والافضال على التنعم والتجمل

وجمع المال وترك التطول

فلانٌ سمينُ آلمال، مَهزولُ آلنَّوال. عظيمُ آلرُّواق، صغير آلأَخلاق. يصونُ فِلسه، ويبذُلُ نفسه. الدَّهر يرفعه، ونفسُه تضعه. ثروة في الثريا، وهمَّةٌ في آلثري. لا يَكْدح إلا لتطييب آلطَّعم، وتنعيم الجسم، ثم يرى آلمكارم، من آلمحارم. قد وفّر همّه عَلَى مطعم يُجوده، وملبس يُجدده، ومَرْقَد يمهده، وبُنيان يُشّيده، ثم يُنجِده، فما يَشُد للمكارم رَحلاً، ولا يَحمل للفضل كَلاّ، هّمه أن يَتشبع ويتضلع، ويَكتسي ويتمشقع، ويَتجلّل ويَتَبَرْقَع، ويَتربْع ويَترفع، وقُصاراه أن يَنْصُب تخته، ويوطىء آسته دَسته، وحسبُه من آلشرف أن يُصهرج أَرضها، ويزبرج بعضها، ويكفيه من آلكرم أن تعدو الحاشية أمامه، وتحمل آلغاشية قُدامه، ويَجزيه من آلفضل ألفاظُ فُقاعية، وثيابُ مشقاعية. يَلبَسها مَلومًا، ويَحْشوها لُوماً. ما آتسعت دُورُهم، إلا ضاقت صدورُهم، ولا أُوقدت نارُهم، إلا انطفأ نورُهم، ولا همَلجت عِتاقُهم، إلا قطفت أَخلاقهم، ولا صلحت أحوالهم، إلا فَسَدَت أَفعالهم، ولا كثُر مالهم، إلا قَلَّ جمالهم.

القلة والذلة

ريحُ صَيْف، وطارِقُ طَيف. فَوتُه غِنيمة، وآلظَّفَرُ به هزيمة. هو آلعَودُ المركوب، والزند المضروب، يطأه آلخفُّ وآلحافرُ، ويستضيمه آلوارِدُ وآلصادِر. هو كالعُصْفُور إن تركته فات، وإن قبضت عليه مات. يغمُضُ عن آلذكر، ويَصْغُرُ عن الفكر. ذِلَّةٌ لا تُوسَمُ أغفالها، وضَعةٌ لا تَنْفرِجُ أقفالها. نُهزة الطالب، وفُرصَةُ آلمغالب، وعرضة القاذف وآلحاذف. أقل من تنبه، في

لبنة، ومن قُلامة، في قُمامة.

خبث الطوية ومخالفة الباطن للظاهر

قَلْبٌ نَغِل، وصدرٌ دَغِل. طويةٌ معلولة، وعقيدةٌ مدخولة. ظاهرٌ يسُرُّ آلنَّاظر، وباطنٌ يسو آلخابر. صديقُ آلعِيان، عدُوُّ المغيب. ما أكذبَ سَرابَ اخلاقه، وأكثر أسراب نفاقه. صَفوه رَنق، وبرُّه ملَق، ووِدُّه مذق. هو لابس من آلغِش ثوباً لا ينضوه، ولازم من آلفعل سَمتاً لا يعدوه، ينتهز آلفرصة كيف ينشر أجنحة آلاحتيال، وكيف يُعمل أسلحة آلاغتيال. يدب الخَمر، ويمشي آلضَّرَآء، ويُسرّ حَسواً في آرتغاء. قد ملىء قلبه رينا، وشُحن صدرُه مينا. خبيث النية، فاسدُ آلطوية، مقلب لسان الملق، ساترٌ بآلتخلق وجه الخُلُق. عند آلرّجآء موجود، عند آلبلآء مَفقود. يمشي آلضرَآء في آلغِيلة، ويتنفق بآلنفاق وآلحيلة. يبثُ حبائل آلزُّور، وينصب أشراك آلغرور، ويدعي ضُروب الباطل، ويتحلى بما هو منه عاطل. يدّعي آلفضل وهو فيه دَعي. يُبدي وجه المطابق آلموافق، ويخفي نظر آلمسارق المنافق. دأبه بثُّ الخدائع، وآلنَّفْثُ في عُقد المكاره والمكائد. ضميره خُبْث، ويمينه حِنْث وعهده نَكْث.

ما يختص من هذا الباب بالمرائين من الفقهاء والعدول والقضاة

بيّض لحيتَه ليُسوّد صحيفته، وأظهر وَرَعه، ليخفي طمعه، وقصّر سباله ليطيل يده، وتغشى مِحرابه، ليملأ جرابه. ما ظنك بذئابٍ طُلس، في ثياب ملس. قومٌ يحملون آلامانة على متونهم، ليأْكلوا آلنارَ في بطونهم، حتى تغلظ قَصَراتهم من مال آليتامى، وتسمنَ أكفالهم من غزل آلأَيامى. عَدْل يبرُز في ظاهر أَهل السمت، وباطنِ أَصحاب آلسَّبْت. فعله آلظلم البحت، وأكله الحرامُ آلسُّحْت، سوسٌ لا يقع إلاَّ في صوف آلأَيتام، وجرادٌ لا يسقط إلاَّ على آلزرْع آلحرام، وكُرديٌّ لا يغير إلا عَلَى آلضِعّاف، ولِصٌ لا ينَقِبُ إلا عَلَى

خزانة الأوقاف، وذئبٌ لا يفترس عبادَ آلله إلا بين آلرُّكوع وآلسجود، وحارب لا ينهب مال الله إلاّ بين العهود وآلشهود. قاضٍ لا شاهد عنده أعدل من آلسلة والجام، يُدلي بهما إلى الحكام، ولا مزّكي أصدق لديه من آلصُّفر، الذي يرقص عَلَى آلظُّفر، ولا وثيقة أحب إليه من غمزات الخصوم، على آلكيس المختوم، ولا كفيل أوقع بوفاقه من خُبْنَة آلذيل، وحمّال الليل، ولا خليل أعزُّ إليه من آلمنديل وآلطبق، في وقت آلعشآء وآلفَلَق، ولا حكومة أبغض إليه من حكومة المجلس، وخصومة المفلس، ثم آلوَيل للفقير إذا ظُلِم فما يُنجيه مجلس آلقضآء، إلا بالنار من الرّمضاء، وأقسم أن آليتيم إذا وقع إليه فقد وقع بين مخالب آلأسود، وأنياب الحيَّات آلسود.

الكذب والبهتان

فلانٌ مُنْغَمِسٌ في عيبه، يَكذب لذيله عَلَى جيبه. يقول بُهتاً، وزُوراً بحْتا. قد مُلئَ قلبه رَينا، وقوله مَيْنا، يدين بالكذِب مذهبا، ويستلين آلزُّور مركبا، الفاختة عنده أبو ذرّ. لا أصغي إلى ما يلفق ويُنمق، ويخْلُق ويُزوق. أقاويل يتمشى آلزّور في منْاكِبَها، ويتردد آلبُهتان في مَذاهبها. حسب آلكاذب بفعله شَتمْا، وبقلبه خَصما، أمَا يَخاف آلكذُوب، أن يَذوب؟

خبث اللسان والفعل

لسانه مِقراض، للأعراض. فلانٌ يأْكل خُبزَه بلحوم الناس. عرضٌ دنيّ، وفمٌ بَذيّ. لا يزال تخرج من فمه كلمةٌ يَقْطُرُ منها دمُه، ويتبرأُ منها لسانُه ويدهُ، وتطلقه نفسه. من أُغمد فيه سيف آلريبة، انسل منه لسانُ آلغيبة، ومن طُعِن عَجِانه، طَعَن لسانه، ومن وارى سَوْءَةَ أخيه صغيرا، تَنقل بأعراض آلكرام كبيرا. فلانٌ مقصورُ الهمة عَلَى ما يستهجن ذكره، فكيف آرتكابه وفعله. فلانٌ فيه بغيٌ مُشتق من آلبِغآء، وبه وجعٌ في آلوَجعآء. فلانٌ لسهام

آلغائبين مُستهدِف، ولِعصي آلفاسقين مُتلقف. فلانٌ يَخْبَأ آلعصا، في آلدهليز الأقصى. هو أبغى من إبر آلخياطين، ومَحابر الورّاقين.

الاستهداف لسهام الغائبين

فلانٌ غَرضٌ يُرْشَقُ بسهام آلرِيّبة، وعَلَمٌ يُقصد بالوقيعة. قد تناولته آلألسُنُ آلعاذلة، وتناقلت حديثه آلأندية الحافلة، قد لزمه عارٌ لا يُمحى رسْمُه، ولَزَبه شَنَارٌ لا يزول وَسمُه. قد قلَّد نفسه عاراً لا يرحضه آلاعتذار، ولا يُعْفيه آلليلُ وآلنهار. قد أَصبح نقل كلّ لسان، وضُحكة كلّ إنسان، وحملت أُمهاته سفاتج إلى آلبلدان. قد صار دُولَةَ آلألسن، ومُثلة آلأعين. قد عرّض عِرضه لسهام آلغائبين، وأَلسِنة آلقاذفين وآلحاذفين. قد قلّد نفسه عظيم آلعار والشّنار، وألبَسَها آلّلْبِسة آلخالدة عَلَى آللَّيل وآلنهار.

التيه والكبر

قد أَسكرته خمرةُ آلكِبْر، وآستهوته غُرّة التيه. كأَن كسرى حاملُ غاشيته، وقارون وكيل نَفقتِه، وبلقيس إحدى داياته، وكأَن يوسف لم ينظر إلاَّ بمقلته، ولقمان لم يَنطق إلاَّ بحكمته. كأنَّ آلشمس تطلعُ من جبهته، وآلغمامَ يندي من يمينه. كأَنه آمتطى آلسِمَاكين، وآنتعل آلفرقدين، وتناول آلنَّيِّرين بيدين، وملك الخافقين، وآستعبد آلثَّقَلَيْن. كأَن الخضرآء له عُرشت وآلغَبْرآء باسمه فُرشت.

الحسد

قد دَبّت عَقارب آلحَسدَة، وكَمَنَت أفاعيهم بكل مَرْصدة. فلانٌ مَعْجونٌ من طينة آلحَسد وآلمنافسة. مضروبٌ في قالب آلضيق وآلمناقَشَة. قد وَكل بي لحظاً ينتضل بأسهم الحسد. فلانٌ جسد، كله حسد، وعقلٌ كله حقد.

الحاسد يعمى عن محاسن آلصبح، بعينٍ تدرك فآئق آلفُتْح. الحسود، لا يسود. الحَسد، آفةُ الجسَد.

دنآءة النفس مع شرف الأبوة

فلانٌ من آلطاوُوس رِجله، ومن الوَرْدِ شَوكه، ومن المآء زَبَدُه، ومن آلنار دُخانُها، ومن الخمر خُمارُها، ومن الدار كنيفُها. يا عجباً أيلِدُ آلبهيم، وولد آزر إبراهيم.

النميمة

لعنَّ آلله من يُفسِدُ ذات البيْن، ويَسعى بآلنميمة بين آلمحبين. آلنَّمَّام يُحارِبُ بسيفٍ كليلٍ إلا أنه يقطع، ويَضْربُ بعضُدٍ واهنٍ إلا أنه يُوجع. فلانٌ لا يزال ينمنم حُلة آلنَّمائم، ويَنْفُث في عُقَد آلمكاره. قد هَبَّت سمائمُ نمائمه ودَبَّت عقارِب مكآئده. النَّميمةُ من سلاح آلنّسآء، وحصون الضُّعَفآء.

الجبن

ليست اليراعة آلجوْفآء إلا أَثبتَ منه قوَّة، وأَشد مُنَّة. فهو يَحسِب كل صَيْحةٍ عليه، وكلّ هيعةٍ عدُواً يقبض عَلَى يديه. فلانٌ تمثال آلجُبْن، وصورةُ آلخوف، ومَقَرُّ آلرُّعب، ومن لو سُميت له الشجاعة لخاف لفظها قبل معناها، وذكرها قبل فحواها، وآسمها قبل مُسمَّاها. هو من تُخوّفه أَضغاثُ آلأَحلام، فكيف مسموع آلكلام. إذا ذكرت السيوف لَمَس رأْسه هل ذهب، وإذا ذكرت آلرّماح مسّ جنبه هل ثُقِب. كانه أسلَم في كتاب آلجُبُنْ صبيّا ولُقِن كتاب الفشل أعجميا.

خلف الوعد وكثرة المطل

يا له من وعدٍ أَخذ من آلبرق آلخُلَّب خُلُقا، وتناول من آلعارض آلجهام

طبعا، وتركني أرعى رياض رَجآء لا تنبت، وأجني ثمرَ أملٍ لا يُورق. هو في ضمار الانتظار، وإسار عِدَّة ضِمار. جعل يلوذ بذّمة آلمطل، ويُرجي يومًا إلى غد. وعدُه بَرْقٌ خُلَّب، ورَوغان ثعلب. غيمُ وعده جَهَام، وسيف بذله كَهَام. وعدُه مُقَرْمط، ومطله مفرط. حصلتُ معه عَلَى مواعيدَ عُرقوبية، وأحزان يعقوبية. قد حَرَمه ثمرة آلوَعد، وجرّه على شوك المطل. أنبت بوعده روضَ آلآمال، ثم حَصَدَه بآلخلف وآلمطال. وعَدٌ كالوعيد، بمطل شديد، يُشيب آلوليد. ولاية فلانٌ وَعدٌ وصَرفه آعتذار. وعده ضِمَارٌ لا ينجز، وسحابه جَهَامٌ لا يسكب. لا وعدٌ نجيح، ويأْسٌ مُريح. سحآئبُ آلصيف أثبت من قوله، وآلخطّ في صفحة آلمآء أقوى من عهده، ومواعيدُ عُرقوب أقربُ إلى آلإنجاز من وعده. خُلْفُ الوعد، خُلُق الوَغد. فلانٌ يرسل برقه، ولا يسيل ودقْه، ويُقدم رَعده، ولا يمطر بعده. وعده الخطّ في بسط الهوآء، والرقم عَلَى بساط المآء.

صعوبة الجانب

صخرةٌ خَلْقآء لا تستجيبُ للمُرتقي، وحيَّةٌ صَمَّآء لا تسمع للراقي. كأني أستفزٌ منه بآلحُدآء عودا، وأهزُّ بآلدُّعاء طَودا. كأني أُنادي صخرةً وأرقي حيَّة. فلانٌ ثاني العِطف، نائي آلعطف. فلانٌ صعب آلمَعْطف، بعيدُ المرجع، زُحلي خطو آلعطف، جمادي حركة الصفح. لا تنحلُّ عُقْدَه، ولا تتجافى عن فريسة يدُه.

العجز

فلانٌ عاجز آلمُنَّة، قاصرُ القوة. يتعلق بأَذناب المعاذير، ويحيل عَلَى ذُنوب المقادير. ما قطع في ذلك شعرة، ولا سقى قطرة، ولا فاه فيه بفصيح ولا أعجم. هو كآلنَّعامة يكون جملاً إذا قيل طيري، وطائراً إذا قيل سيري. الطَّيرُ

تغدو خماصاً، وتروح بِطاناً، وهو عاجزٌ عما يقتاته، قاصرٌ عما تتماسك به حياته. يُقام له نُزْل، ولا يُفوض إليه شغل، ويُملأ له وَطْب، ولا يُرفع إليه خطب، وهذا وآلله عيشُ آلعجآئز، والزَّمن آلعاجز.

آخر كتاب المساوىء وآلمقابح، ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العيادة وما يجانسها

ذكر التشكي والمرض

عرَضَ لي مرضٌ أساء بآلنجاة ظنّي، وكاد يصرف وجه الإفاقة عني. لو رآني لرآني خلالاً، ولو شئته لطرقته خيالاً. هو شورى بين أمراضٍ أربعة: حُمى لا تُغِبّ، وصُداع لا يَخِفّ، وزكام يَكُد، وسُعال لا يَكُفّ. عِلةٌ هو في أسرها مُعتقل، وبقيدها مُكبل. أمراضٌ توالت عليّ، وآساءت بي وإلي، فأنا أشكوها وأشكر الله تعالى إذ جعلها عِظةً وتذكيرا، ولم يبق منها حتى آلآن إلا يَسيرا. أحسب آلأمراض قد أقسمت عَلَى أن تجعل أعضائي مَرابعها، وآلت عَلَى أن تصير جوارحي مراتعها. عللٌ لا يصدر منها آتٍ إلَّا لتكريرِ وِرْدٍ، ولا يُعزل فيها والٍ إلا بولي عهد. قد كرّت تلك آلعلة فعادت علَلا، وسقاني بعد نهل عَلَلا، حليفُ عِلَّةٍ أقعدتني عن الحركة، وألزمتني من المنزل عَرْصة آلعَجَزَة. عَلَّةٌ بَرَتْه بري آلأخلة، ونقصته نقص آلأهلة. تركته حَرَضا، وأوسعته مرضا، وغادرته وآلخيال أكثف منه جُثَّة، والطيف أوفر منه قوة.

اشتداد العلة وسوء الظن بها

عَرَض له من آلمرض ما صار له القُنوط يُغاديه ويُراوحه، واليأس يُخاطبه ويُصافحه، وَرَدَ من سوء آلظن أوخم المناهل، وبات من حُسن آلرَّجآء

على مراحل. طالعتُ الكرم يترجح نجمه بين ٱلإضآءة وٱلافول، وتتمثل شمسه بين ٱلإشراق والغروب. أُصبح فلانٌ لا ينقل رأْسه، ولا يجرُّ ظلّه. ويد ٱلمنية تقرع بابه. ما هو إلا حَرَض، ولِسَهْم ٱلمنيَّة غَرَض. شاهدتُ نفسي وهي تخرُجُ، ولَقِيْتُ رُوحي وهي تعرُج، وعَرَفتُ كيف تكون ٱلسَّكرة، وكيف تقع ٱلغَمرة، وكيف طَعْم ٱلبُعد وٱلفراق، وكيف يلتف ٱلسَّاقُ بٱلسَّاق.

الانزعاج لعارض العلة

مَرِض فلحقتني رَوْعة، وملكتني لوعة. وجدْتُ في نفسي ألماً مما مسه، وتخوّن أُنسه، بلغني من شكاته ما أوحش جناب ٱلأُنس، وأراني ٱلظُّلمة في مَطلع ٱلشمس. بلغني ما عرض له من المرض، وأَلم به من ٱلألم، فتحامل عَلَى سوآء صدري، وأقذى سواد طرفي. قد ٱستنفد ٱلقلق لعلَّتك ما أعده الصبَّر من ذخيرة، وأَضعف ما قوَّاه ٱلعزَآء من بصيرة. أتقلب عَلَى حدّ ٱلسيف إلى أن أَعرف ٱنكشاف ٱلعارض وزواله، وأتحقق انحساره وٱنتقاله. أُنهي إلي من خبر ٱلعارض حَسَم الله مادَّته، وقصَّر مُدَّته. ما أراني ٱلافق مُظلما، وطريق ٱلعيش مُبهما.

تهوين أمر العارض بحسن الرجاء

هذه ٱلعوارض قد تكون، ثم تزول بإذن ٱلله وتهون. إنَّ الذي يبلغني من ضعفْه قد أضعف المُنَّة، وإن لم يُضعِفَ الظنّ بٱلله وٱلثقة. قد ٱستشفّ ٱلعافية من ورآء ثوبٍ رقيق، وبات منها عَلَى وعدٍ قريب، رُبما يُشْفَى من أشفى، وحسبنُا ٱلله وكفى، ما أكثر ما رأينا هذه ٱلعِلل جلَّت ثم جَلَت، وتوالت ثم تولّت.

ذكر المشاركة في العلة

خبرني فلانٌ بعلتك فأَشركني فيها هماً وقلقاً، ولا أَعل ٱلله لك جسماً ولا

حالاً، وردّ إليك ٱلعافية وأدامها لك. ليست نكايةُ ٱلشّغل في قلبي بأقل من نكاية ٱلشكاية في جسدك، ولا ٱستيلآء القلق عَلَى نفسي بأَيسَرَ من ٱعتراض ٱلسقام لبدنك، ومن ذا ٱلذي يَصِحُّ جسمه إذا تألمت إحدى يديه، ومن يَحُلُّ محلَّها في ٱلقُرب إليه. ما كنتُ أعلم خبر ٱلعارض لك حتى تحققت ذلك من مُشاركتي إياك في عِلتك وصِحتك. ما ٱنفرد جسمك بألم ٱلعلة دون قلبي ولا ٱختصت نفسك بمعاناة المرض دون نفسي. ليعلم سيدي أني سقيمٌ بسُقمه، وواجدٌ بقلبي ما يَجدُه بجِسمه.

الاهتمام للعلة ثم الاستبشار بزوالها

أنا مُنزعج لشَكاتك، مُبتهجٌ لمعافاتك. إن كانت علتك قد قرحت وجرحت، فإن صِحتك قد أَست وآنست. بلغني شَكاتك فآرتعت، ثم عرفتُ خفَّتها فآرتحت. ٱلحمدُ لله عَلَى قُرب ٱلمدَّة بين ٱلمِحنة والمنحة، وٱلبلوى وٱلنعْمة، عَلَى أنا لم نتهالك بأيدي ٱلمخافة، حتى تداركَنا ٱلله بحسن ٱلرافة، ولم نستسلم لخُطّة الحذر، حتى سَلّم من وَرطة ٱلقدر.

شكاة أهل الفضل والسؤدد

شَكاته ٱلتي تتألم لها المرُوءة وٱلفضل، ويسقط لها ٱلكرم المَحض. شَكاته ٱلتي غصَّت بها حُلوق المجد، وحَرِجَت لها صدورُ ٱلادب، وبدا ٱلشحوب معها عَلَى وجه الحُرية، وحَرُم عندها ٱلبِشرُ عَلَى غُرّة ٱلمُرُوة، عِلَّته ٱلتي أَعلَّت أَكثر ٱلقلوب، وطيّرت ٱلأرواح عن جُلّ ٱلنفوس، قد ٱعتلّ بعلته ٱلكرم، وشكا بشِكايته ٱلسيف وٱلقلم. شكاةٌ عرضت منه لشخص ٱلكرم ٱلغض، وٱلشرف المحض، لو قبلت مُهجتي فديةً دون وَعْكَةٍ تجدُها، وساعةٍ أُنس تفقدها، لبذلتها علماً بأني أفدي ٱلكرم لا غير، وٱلفضل ولا ضَيْر.

أدعية العيادة

أغناك آلله عن آلطّبّ وآلأَطباء، بآلسَّلامة وآلشفآء. كفاك آلله بآلسلامة، وشفاك بالطافه آلخاصة وآلعامة. جعله آلله عليك تمحيصا، لا تنغيصا، وتذكيرا، لا تنكيرا، وأَدبا، لا غضبا، وآلله يُدرّلك صَوْب العافية، ويُضفي عليك ثوب آلكفاية آلوافية. أَذِن آلله في شفائك، وتلقى داءك بدوائك، ومَسَحَك بيد آلعافية، ووجه إليك وافد آلسلامة، وجعل علتك ماحيةً لذنُوبك، مُضاعِفَةً لثوابك. أوصل آلله إليك من برد آلشفآء، ما يكفيك حرَّ الأدواء.

تنسم الاقبال بعد اليأس

قد شِمْتُ بارقة آلعافية، وشممت رائحة الصحة. أَقبل صنع آلله من حيث لم أَرتقب، وجآءني لُطفُه من حيث لم أَحتسب، وتدرجت إلى آلإبلال وقد حسبته حُلما، ورضيتُ به دون الاستقلال غُنما. قد تخلصتُ إلى شط العافية، وصافحتُ كف حُسن العاقبة. كما تداركني آلله بلطيفةٍ من لطائفه، نوجعل هبة آلرُّوح عارفةً من عوارفه. تنسمت روائح الحياة بعد أن أشفيت عَلَى الوفاة، وثَنَيت وجهي إلى آلدُّنيا، بعد مواجهتي آلدار الأُخرى. تداركني صنع آلله ولطفه فأقالا عثرة ما خلتُني أُقالُها، وأزالا علةً لم يُحتَسب زوالها.

ذكر الابلال وحمد الله عليه والدعاء عنده

قد صافح آلإقلال وآلإبلال، وقارب آلنهوض وآلإستقلال. سيُرويك آلله من العافية آلتي ذَوقك ويسبغ ثوبها عليك، ولا يُعيد مكروهاً إليك. المرض قد آنحسر، وآلألم قد آنحسم. قد آستقل آستقلال آلسيف حُودث حدّه، وأُعيد فِرِنْدُه، والقمرِ آنكشف سراره، وذاعت أَسراره. حين آستقلت يدي بآلقلم، بشرتك بآنحسار آلألم. قد أقال آلله بآلسلامة آلفائضة، وأَدال من آلشكاية

العارضة، فآنشرحت الصدور، وشَمَل آلسرور. أبلّ فعادت به آلصدُور مثلوجة، وآلكُرب مفروجة. الحمدُ لله آلذي حرس جِسمك وعافاه، ومحا عنه أثر آلسُّقم وعَفَّاه. الحمد لله الذي جعل آلعافية عقبى ما تشكيت، وآلسلامة عوضاً مما عانيت. الحمد لله على أن أعفاك من مُعاناة آلألم، وعافاك للفضل وآلكرم، ونظمني معك في سلك آلنعمة، وضمّني إليك في مسلك آلصِحّة، وآلله يجعل آلسلامة ثوبك آلذي لا تنضُوه، وأسفعك في كل ما تأمله وترجوه، وآلله يجعل السلامة أطول بُرْديك، وأشدهما سُبوغاً عليك، ويدفع في صدور آلمكاره دون ربعك، وفي نحور آلمحاذر قبل آلانتهآء إلى ظلك. لا زالت العافية شعارك، ما وَصَل ليلك نهارك. سَوَّغك آلله آلعافية وهنَّأك آلعيشة الرّاضية.

الاستشفاء بكتب العيادة

كلامك قد أدى روح آلسلامة في أعضائي، وأوصل برد آلعافية إلى أحشائي، تركني كتابك وآلظليم ينتسب إلى صحتي بعد أمراضٍ اكتنفت، وأسقامٍ آختلفَت. قد آستبق كتابك وآلعافية إلى جسمي، حتى كأنهما فرسا رِهانٍ تباريا، ورَسيلا مضمار تجاريا. أبدلني كتابك من حُزون آلشكاة، سهول آلمعافاة، ومن شِدة آلتألم، رخآء آلتنعم، ومن ضيق الصدّر بآضطراب البدن، سَعَةَ آلصَّدر بآستقرار الجسد، حتى كأنه مسْحة مَلَك منزل، أو سبحة نبيٍ مُرسلْ.

آخر كتاب العيادة، ولله الحمد والمنّة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التهاني والتهادي
وما ينخرط في سلكها، ويأْخذ مأْخذها

ألفاظ التهنئة بمولود

مرحباً بالفارس آلمحقق للظنون، المقِرّ للعيون. المقبل بآلطالع آلسعيد، وآلخير العتيد. أَنجبُ آلأبناء، لأكرم آلآباء. أنا مُستبشِرٌ بطُلوع آلنَّجم الذي كُنَّا منه عَلَى أمل، ومن تطاوُل آستسراره عَلَى وَجَل. إن يشأ آلله يجعله مُقدمة إخوة في نَسق، كآلفرند المتسق. قد طلع في أُفق آلحُرية أَسعد نجم، ونجم في حدائق المروُءَة أزكى نبت. يا بُشراي بطلوع الفارس الميمون جَدّه، المضمون سعدُه. عليه خاتم آلفضل وطابعه، وله سهمُ آلخير وطالعه. الحمد لله عَلَى طلوع هذا آلهلال آلذي نراه إن شآء آلله بدراً لا يُضْمِر السرار ضياه، ولا يبلغ آلمحاق سَناءَة وسناه. قد بشرت قوابله بآلإقبال وعلوّ آلجدّ، وآقترن قدومه بآلطائر السعد. هنَّأَك آلله قوَّة آلظهر، وآشتداد آلأَزر، بالفارس المكثر لسواد آلفضل، الموفر لجمال الأهل، المستوفي بشرف الأُرومة، كرَم الأُبوة والأُمومة، وأَبقاه حتى نراه ، كما رأَينا جده وأَباه. عرفت آنفاً ما كثر آلله به عدده، وشد عضُده، بطلوع الفارس آلذي أضاء له أُفق النجابة، وطال به باع السعادة. بُشرت بالنور آلساطع في أُفق آلنَّجابة، وآلبدر آلطالع في فلك السعادة، فعظُمت آلنعمى لديّ، وأوردت آلبُشرى غاية المُنى عليّ.

ما يختص منها بالملوك

مرحباً بآلفارس القادم، بأعظم آلمغانم. سوي آلخلق، سامي آلعِرق. تلوح عليه سيما آلمجد، وتتجاذبه أطراف آلملك. وردَت آلبُشرى بآلفارس آلذي أوسع رِباع آلمجدُ تأهلاً، وأطراف آلملك تحصُناً، ومناكبِ الشرف آرتفاعا، وأعضاد آلعز آشتداداً. أتتني بُشرى آلبشائر، وآلنعمى المحروسة عن النظائر. في سُلالة آلعز وسليله، وآبن منبر الملك وسريره. الأمير آلقادم، بغُرّة المكارم. الناهض إلى ذروة آلعَلياء، بآبآء أُمره وملوك عظمآء. مرحباً بآلفارس المأمول لشدّ الظهور، المرجو لسـدّ آلثغور. الحمدُ لله آلذي شدّ أزْر آلدولة، ونظم قلادة آلأمر، وعمر سرير العزّ، ووطّد منابر المملكة، بآلقمر آلسَّعد، وشِبل آلأسد آلورد. قد تبسمت آلمكارم وآلمعالي، وتباشرت آلخُطَب وآلقوافي، بآلفارس آلمأمول لشد أزر الملك، وسد ثَغر آلمجد، وتطاول آلسرير شوقاً إليه، وآهتزت آلمنابر حرصاً عليه. قد آفتر جَفْنُ آلعالم عن العين البصيرة، وآستغرب مضحكه عن آللمعة آلمنيرة. أما آلأمير المولود فآلتاج بجبينه يبهى، وآلرِكّاب بقدمه يُزهى.

الادعية للمولود والوالد

اللّهم أرني هذا الهلال بدرا، قد علا آلاقران قدرا. بلّغه آلله فيه مُناه، حتى يراه وأخاه، مُنِيفَيْنِ عَلَى ذِروة آلمجد، آخذين بأوفر آلخطوط من عُلُو آلجَد، وآلله يمتعه به، ويرزقُ الخير منه، ويُحقق الأمل فيه. عرّف الله مولاي بركة المولود المسعود، وعضد آلفضل بالزيادة في عدده، وأقرّ عين المجد بالسيادة من ولده، عرّفه الله من سعادة مقدَمه، ما يجمع أعدآءه تحت قدمه. عمّرك الله حتى ترى هذا الهلال قمراً باهرا، وبدراً زاهرا. يكثر به عددُ حَفَدتك، وتعظُم منه غُصّة حَسَدَتك، من حيث لا تهتدي النوائب إلى

عِرَاصكم، ولا تطمع الحوادث في انتقاصكم. متّعك الله بالولد، وجعله من أقوى آلعدد، ووصله بإخوة مُتوافري آلعدد، شادّين للأزر وآلعضد. هنّأك الله مولده، وقرن باليُمن مورده، وأراك من بنيه أُولاداً بَرَرَة، وأسباطاً وحَفَدَة. عرفك الله بركة قدمه، ونجح مقدمه، وسعادة طالعه، ويُمن طائره، وعمَّرك حتى ترى زيادة الله منه، كما رأيتها به.

ما يختص منها بالملوك والسادة

الله يُبلِغْه أفضلَ ما تقسمه آلسُّعود، وتعلو به الجدود، حتى يستغرق مع إخوته مساعي الفضل، ويُشيدوا قواعد آلفخر، ويَزْحَموا صدور آلدهر، ويضبطوا أطراف الأرض، والله يَحْرسه من نواظر الأيام أن ترنُوَ إليه، وأطماع اللّيالي أن تتوجَّه عليه، حتى يستقلّ بأعبآء الخدمة، وينهض بأثقال آلدّولة، ويَخِفّ في آلدّفع عن آلبَيضة، ويَتَسَرعَ إلى حماية آلحَوزْة، والله يُديم لمولانا من آلعَمر أكلأه، ومن آلعزّ أهنأه، ليُطبّق آلعالَم بفضله وعدله، ويُدبّر الأرض بالنُجبآء من نَسْله.

ذكر المولود العلوي

غُصنٌ رسولُ الله ﷺ شجرهُ، حقيقٌ أن يحلوُ ثمره، وفرعٌ بين آلرسالة والإمامة مُنتهاه. خليقٌ أن يحمد بدؤه وعُقباه. مرحباً بالطّالع بأيمن آلطالع، ومن أشرف المناصب والمنابع. حيث آلرّسالة والإمامة، والخِلافة والزّعامة. أبقاه الله حتى تتهنأ فيه سوابغ المنن، ويُعَدُّ حسنة في بني الحَسن.

ذكر التوأمين

تيسرت مِنحتان في موطن، وانتظمت مَوهبتان في قرن. طَلَع في أُفق الملك نجماً سعد، وشِهابا عزٍ، وكوكبا مجد، فتأهلت بهما رِباع المحاسن، ووطُئت لهما أكناف المكارم، واستشرفت اليهما صدور الأسرة والمنابر. عرَّفه

الله آلسَّعادة في طلوع بدرين انبعثا من نُوره، واستنارا في دُوره. بلغني خبر آلموهِبة المشفوعة بمثلها، وآلنِعم المقرونة بعَدلها، في الفارسين المقبليْن رضيعي آلعزّ وآلرّفعة، وقريعي المجد وآلمنعة، فشملني من الاغتباط ما يوجبه ازدواج البُشرى، واقتران عارِفةٍ بأُخرى.

في التهنئة بالبنت

هنّأ الله سيدي وُرود آلكريمة عليه، وثّمر بها أعداد آلنسل آلطيب لديه، وجعلها مؤذنة بإخوة بَرَرة، يَعْمرون أندية آلفضل، ويُعمرون بقية الدهر. اتَّصل بي خبر المولودة كرّم الله غُرَّتها، وانبتها نباتاً حسناً، وما كان من تغيرك عند آتضاح الخبر، وإنكارك ما اختاره لك سابقُ القَدَر، وقد علمت أنهن أقربُ من آلقلوب، وأن الله بدأ بهنَّ في آلترتيب، فقال جلَّ من قائل: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ ٱلذُّكُورَ﴾، وما سَمَّاه الله هبةً فهو بالشُّكر أولى، وبحُسن التقبل أحْرى. أَهلاً وسهلاً بعَقِيلة النِسّآء، وأُمّ الأَبنآء، وجالبة الأَصهار، والأَولاد الأطهار، والمبشرة بإخْوَةٍ يتناسقون ، ونجباءَ يتلاحقون.

فلو كـان النِسآء كَمثـل هَذي لفُضّلت النِسآء عَلَى الرِجال
وما التأنيث لاسمِ الشَّمس عَيْبٌ ولا التَّـذكيـرُ فَخْـرٌ للهِـلال

والله يُعرفُك البركةَ في مطلعها، والسعادةُ بموقعها، فادَّرع اغتباطاً، واستأْنف نشاطاً، والدُّنيا مؤنثة وآلناسُ يخدمونها، والنار مؤنثة والذكور يعبدونها، وآلأرض مؤَنثة ومنها خُلقت البرية، وفيها كثُرَت الذُّرية، والسَّماء مؤنثةٌ وقد زُينت بالكواكب، وحُليت بالنجم الثاقب، والنَّفسُ مُؤَنثةٌ، وهي قِوامُ الأبدان، ومِلاك الحيوان. والحياةُ مؤُنثةٌ ولولاها لم تتصرف الأجسام، ولا عُرف آلأنام، والجنـة مُؤَنثـةٌ وبها وُعـد المتقون، وفيهـا ينعم المرسلون، فهنيئـاً هنيئـاً مـا أُوليت، وأَوزعك الله شكر ما أُعطيت، وأطال بقآءك ما عُرف آلنسلُ وآلولد، وما بقي

الأبد، وكما عُمّرِلُبد، إنه فعالٌ لما يشآء وهو عَلَى كلّ شيءٍ قدير.

ألفاظ التهنئة بالاملاك وما يقترن بها من الأدعية

من آتّصل بمولاي سببُه، وشرُف به منصبه. كان حقيقاً بآلرغبة إلى آلله في توفيره وتكثيره، وزيادته وتثميره، لتزكو منابت الفضل، وتَنمِي مغارس الفخر، وتطيبَ معادن آلمجد. بارك آلله مولاي في آلأمر آلذي عَقَده وأحمده إياه وأَسعده، وجعله موصولاً بنمآء العدد، وزكآء آلولد، وآتصال آلحبل، وتكثير آلنَّسل، وآلله يخير له في الوُصلة الكريمة، ويقرنها بآلمنْحة الجسيمة. قد عظم آلله بهجتي، وضاعف غبطتي، بما أتاحه من سرورٍ ممهد، بجمع شَمل مُجدّد. فلا زالت النعمُ به محفوفة، وآلمسارُ إليه مزفوفة. جعل الله هذه الوُصلة وَكِيدَةَ العُقدة، طويلة المدَّة. سابغة البركة والفضل، طيبة الذُّرية وآلنَّسل. وصل الله هذا الاتصال السعيد، وآلعقد الحميد. بأكمل المواهب، وأحمد آلعواقب، وجعل شَمل مَسَرّتك به مُلتئماً، وسبب أُنسك مُنتظما. عرّفك آلله تعجيل آلبركات، وتوالي آلخيرات، ولا أخلاك في هذه الوصلة من التهاني بنجبآء آلأولاد، وكَبَت بكثرة عددك جميع الحُساد. هنَّأ آلله مولاي آلوُصلة لتتصل بكثرة العدد، ووفور آلولد، وآنبساط آلباع واليد، وعلوّ آلقَدر والجَد.

ألفاظ التهنئة بالولايات

عَرَفت خير البلد آلذي أحسن آلله إلى اهله، وعطف عليهم بفضله، إذ أُضيف إلى ما يلاحظه مولاي بعين إبالته، وينفي خلله بفضل أصالته. من سُر في الولاية يلبس مولاي ظلالها، ويَسحب أَذيالها، بنعمٍ مُستفادَة، ورُتب مُزدادة، فسُروري بما يكتسبه من كل عملٍ يُدَبّرهُ، وأَمرٍ يقدره، من أُحدوثة جميلة، ومَثوبةٍ جزيلة، ويؤْثره من إحيآء عَدْل، وإماتة ظلم، وعمارةٍ لسُبُل

الخيرات، وإيضاح لطُرق آلمبرات. التهنئة بآلأعمال وأن كبُر عنها موقعه، وكان بحمد الله يرفعها ولا ترفعه، فآلرُّسوم تحفظ تحدُّثاً يُولي آلله مسوّغا، ويُؤْتي مُسبغا. سيدي يُوفي عَلَى الرُّتب آلتي يُهنأ ببلوغها، ويزيد عَلَى المنازل آلتي يدعى له بحلولها. فهنيئاً تجملُها بولايته، وتحليها بكفايته. آلأعمال، وإن بلغت أقصى آلآمال، فكفايةُ مولاي تتجاوزُها، وآلرُتب وإن جلّت قدرا، وكَبُرت ذكرا، فصناعته تسبقها وتشْآها، غير أن للتهاني رسماً لا بُد من إقامته، وشرطاً لا سبيل إلى نقض عادته. آلأعمال، وإن بلغت الآمال، فكفاية سيدي توفي عليها إيفاء آلشمس عَلَى النجوم، وترتفع عنها آرتفاع السمآء عن التخوم. سيدي أرفع قدرا، وأنبه ذكرا، من أن نُهنئه بولايةٍ وإن جلّ أمرُها، وعَظُم قدرُها، لأنَّ الواجب تهنئة آلأعمال بفائض عدله والرعيةِ بمحمود فعله، وآلأقاليم بآثار سياسته، وآلولاياتِ بِسِمات رِئاسته.

ما يختص منها بالوزرآء

أنا أُهني آلوزير بآلنعمة آلتي عمّت أهل آلأرض، وخصَّت بني آلفضل، وإن كان فوق كل ولايةٍ تُوكل إليه، ورايةٍ تخفق عليه. أُهني سيدنا بالحال التي جدّدها آلله له كما يُهنأ ناشدُ الضالة إذا وجدها، لا كما يُهنَّأُ طالب آلغنيمة إذا ظفر بها. قد أُعطيت قوس الوزارة منه باريها، وأُضيفت إلى كفوها وكافيها، وفُسخ بها شرط آلدُّنيا الفاسدُ في إهدآء حظوظها إلى اوغادها، ونُقِض بها حكمها الجائر في آلعدول بها عن نُجبآء أولادها. قديماً ألقت إليه آلوزارة بالمقاليد، ونصّت عليه بالتقليد، وتجملت منه تجمل من سِوَاه بها، وسمت إليه سمو غيره إليها. الدُّنيا أَيَّد آلله آلوزير مُهنَّاةٌ بانحيازها إلى رأيه وتنفيذه، والممالك مغبوطةٌ باتصالها إلى أمره وتدبيره. قد كانت الدُّنيا متطلعة لرئاسته، مُستَشرفةً لوزارته، إلي أن سعِدت بما كانت الآمال عنه مخبرة،

وحظيت بما كانت الظنون به مبشرة. وانحيازها إلى جنته واضحة الفجر، وتوشُّحها من كفايته بغرةٍ سائرة إلى وجه الدَّهر. الحمدُ لله آلذي أقر عين الفضل، ووطأَ مهاد المجد، وترك آلحُساد يتعثرون في ذيول الخيبة، ويَتَساقطون في فضول الحسرة، وأراني الوزارة، وقد آستكمل الشيخ خِلالها، ووفاها جمالها

فلم تَكُ تَصلُح إلا له ولم يَكُ يصلحُ إلاَّ لها

ما يختص منها بالقضاة

القاضي عَلَمُ العلم شرقاً وغربا، ونجم الفضل غَوراً ونجْدا، وشمسُ آلأدبِ بَرَاً وبحرا، فسبيل الأعمال أن تهنأ إذا رُدت إلى نظره الميمون، وعُصِبَت برأْيه آلمأْمون. أَسعد آلله القاضي بما جدد له من رأْي مولانا وآرتضائه، وآعتماده لأَجل أُمور آلشريعة وآنتضائه، وأسعد المسلمين وآلدين بما أَصاره إليه، وجعل زِمامه بيديه.

الأدعية التي في التهاني بالأعمال والولايات

عرّف آلله سيدي من سعادة عمله، أَفضل ما ترقَّاه بأَمله، ولقّاه من مناجح أَمره أَبلغ ما آنتحاه بفكره. خار آلله له فيما تولاّه وتطوّقه، وبلَّغه في كلّ حال أمله وحقّقه. عرّفه آلله من يُمْن ما باشره تدبيره آلخيرَ والخِيرَةَ، وآلبركاتِ آلحاضرةَ وآلمنتظَرة، وجعل المنائح إليه أَرسالا، لا تَملّ توالياً وآتصالاً. أسعده آلله أَفضل سعادةٍ قُسمت لوالي عمل، وأحضر بركةٍ أُسهمت لمُسامي أمل. أحضر آلله السداد عزمه، وأَلزم آلرشاد همه، وكنَفَهَ بآلعصمة وأَيده، وقرن به التوفيق ولا أفرده. هنَّأَهُ الله الموهبة التي ساقها إليه، ومدّ رُواقها عليه إذ كانت من عقائل آلمواهب، مُسفرة عن خصائص المراتب، وحلَّت منه محل الإستيجاب، لا الإيجاب، والإستحقاق، دون الإتفاق. هنَّأَهُ الله نعمة الفضل آلتي الولاية أصغر آلاتها

والرِئاسة بعض صفاتها.

ذكر الخلع والأحبية ووصفها

أهنىءُ سيدي بمزيد الرفعة، وجديد الخِلعة، آلتي تخلع قلوب المنازعين، واللوآء آلذي يلوي أيدي المنابذين، والحُملان آلذي لو امتطاه إلى الأفلاك لحازَها، أو سامى به الجوزاء لجازها. بلغني خبر ما تطوّعت به سماء المجد، وجادت به أنوآء الملك، فتضمن من الخِلع اسناها، ومن السيوف أمضاها، ومن الأفراس أَجراها، ومن المراكب أبهاها، ومن الإقطاعات أَنماها. لبس خلعته متجللا منها ملابس آلعزّ، وامتطى فرسه فارِعاً ذروة المجد، وتقلد سيفه حاصداً بحده طُلى أعدائه، وغامطي نعمائه، واعتنق طوقه متطوقاً عزَّ الأبد، واعتصم بالسوارين المُؤْذنين بقوة الساعد والعضد، وساس أولياءه ولوآؤه عليه خافق، ولسان النصر وآلظَّفر ناطق. قد لبس عبده خِلْعته، التي تعمد بها رفعته، وامتطى حُملانه، الذي واصل به إحسانه، وتنطق بحسامه، الذي ظاهر أَثواب انعامه، وتختم بخاتميه، اللذين بسطا من يديه، ووقع من دَوَاته، التي أعلا بها من دَرَجاته، وتمهد له آلدَّست المحمول إليه. فدرّت سمآء الشَّرف عليه. الخِلعة التي تتراءى صفحات آلعزّ عَلَى أعطافها، وتمتري مرايا المجد من أَطرافها، والحُملان آلذي تتناول قاصية المُنى من ناصيته، والمركب الذي تستجدي حُليُّ الثريا بحليته، وآلسيفُ والمِنْطَقَةُ الناطِقان عن نهاية الإكرام، الناظمان قلائد الإنعام. خِلعٌ تخلع قلوب الأَعدآء عن مقارها، وتغمرُ نفوس الأَولياء بمسارها، وسيفٌ كالقضآء مضآءً وحدّا، وكالأَقدار غراراً وحدّا، ولوآءٌ تخفق قلوب المنازعين إذا خفق، وحُملان يصرم منكب الدهر إذا انطلق.

في التهنئة بالقدوم

أهنىء نفسي وسيدي لما يسره الله من قدومه سالماً، وأَشكر الله على ذلك

شكراً دائماً. قد أعفيت ظهور رِكابه، وآبت البركة بإيابه. جعل الله قدومك مقروناً بآلخيرة آلتامّة آلعامَّة، وآلكفاية الشاملة الكاملة. غَيبةُ المكارم مقْرُونةٌ بغيبتك، وأوبةُ آلنِعم موصولةٌ بأَوبتك، فوصل آلله قُدومك من آلكرامة، بأضعاف ما قرن به مسيرك من آلسلامة. هنأك الله إيابك وبلغك محابك، ما زلتُ أيام غيبتك ـ لا أوحش الله ربعك منك ـ بذكرك مُستأنسا، وللشوق إليك مجالسا، إلى أَن مَنَّ الله من أَوبتك بما عَظُمت عليّ به النّعمة، وجَلَّت لدي معه المنحَة. ما زلت معك بآلنية مُسافراً، وبآتصال الفكر وبالذكر مُلاقيا، إلى أَن جمع الله شَمْلَ سُروري بؤَبتك، وسكنَّ نافر قلبي بعودتك، فأسعدك الله بمقدمك سَعَادةً تكون بها للإقبال مُقابلا، وبالأماني ظافراً، ولا أوحش منك أَوطان الفضل، ورباع المجد، بمنّه.

ألفاظ في التهنئة بالحج وتفخيم أمر الحج وتعظيم المناسك والمشاعر

وما يتصل بهما من الأدعية

قَصَد البيت العتيق، والمقام آلكريم، والمطاف الشريف والملتزم آلنبيه، والمستلم النَّزيه، ووقف بالمُعَرَّف العظيم، وورد زمزم والحَطِيم. حرَمُ الله الذي أوسعه كرامة، وجعله للناس مثَابة، وللخليل خطة، وللذبيح حِلَّة، ولمحمد ﷺ قِبلة، ولأمته الهاذية كعبة، ودعا إليها حتى لبي من كلّ طَرفٍ سحيق، وتسرع نحوه من كلّ فجٍّ عميق. يعود عنه من وُفق وقد قُبلت توبته، وغفرت حَوبته، وسعدت سفرتُه، وأنجحت أَوبته، وحُمد سَعْيَهُ، وزكا حجه، وتُقُبّل عَجه وثَجه. انصرف مولاي عن الحج الذي انتضى له عزائمه، وأَنضى فيه رواحله، وأتعب نفسه بطلب راحتها، وأَنفق ذخائره، يشتري سعة الجنة وساحتها، قد زُكيت إن شآء الله أَفعاله، وتُقُبّلت أعماله، وشُكر سَعْيَه، وبلغ

هَديه. قد أسقطت عن ظهرك الثقل آلعظيم، وشهدت الموقف الكريم، ومحضت من نفسك بالسّعي من الفج العميق، إلى آلبيت العتيق. حمداً لمن سهَّل لك قضآء فريضة الحج والمَشْعر والمقام وبركة أدعية الموسم، وسعادة أفنية الحطيم وزَمزَم. قصد أكرم المقاصد، وشهد أشرف المشاهد. فَورَد مشارعَ آلجنَّة، وخيم بمنازل الرحمة. قد خصتني مواهبُ آلله لديك في الحجُ أديت فرضْه، وحرم آلله وطئت أرضه، وآلمقام الكريم قُمته، والحجر آلأَسود استلمته، وزرت قبر الرسول عليه السلام مشافهاً لمشهده، ومباشراً لمسجده، ومشاهداً لمبدإه ومحضره، وماشياً بين قبره ومِنبره، ومُصلياً عليه حيث صلى، ومُتَقرِباً إليه بآلقرابة العُظمى، وعُدْتَ وثوابك مسطور، وذَنْبُك مغفور، وتجارتُك رابحة، والبركات إليك غاديةٌ رائحة. تلقى الله دعاءك بآلإجابة، وآستغفارك بآلرضا، وأملك بالنجح، وجعل سعيك مشكورا، وحَجّك مبرورا. عرَّف الله مولاي من مناجح ما نواه وأتاه، وقصده وتوخاه، ما يُسعده في دُنياه، ويُحمد عُقباه.

في ألفاظ التهنئة بَالاطلاق من الحبس

الحمدُ لله حمد الإخلاص، على حُسن الخلاص. قد فكّ من حَلَق الإسار وأُنقذ من حد الشِفار، وأقضى من ذلة رِق، إلى عزة عِتق. من تَصلية جحيم، إلى جَنة نعيم. خرج من العِقال، خروج السيف من الصِقال، خرج من إساره، خروج البدر من سَراره. الحمدُ لله آلذي فَكَّ أسرا، وجعل من بعد عُسرٍ يُسرا. خرج قمرُ الفضل من سَراره، وأنار في فلك مداره، خرج من البلآء، خروج السيف من الجِلآء. أُرخي عنه ضيق الخناق، وأُطلق من أسر الوَثاق. قد جعل له من مضايق آلأمر مخرجاً نجيحا، وفي مغالق آلأَحوال مسرحاً فسيحا.

التهنئة باقبال شهر رمضان وما يتصل بها من الأدعية

ساق الله إليك سعادة إهلاله، وعرّفك بركة كماله. أسهم ٱلله لك في فضله، ووفّقك لفرضه ونَفْله. لَقّاك الله فيه ما ترجوه، ورَقّاك إلى ما تحب فيما يتلوه. جعل الله ما أظلك من هذا ٱلصَّوم مقروناً بأفضل ٱلقبول. مُؤْذناً بدَرك ٱلبُغية ونُجح المأمول، ولا أخلاك من بِرٍ مرفوعٍ، ودُعاءٍ مسموعٍ. قابل الله بالقبول صيامك، وبعظيم المثوبة تهجّدك وقيامك. عرّفك الله من بركاته ما يُربي عَلَى عدد ٱلصائمين وٱلقائمين، ووفقّك لتحصيل أجر المتهجّدين المجتهدين. أسأل الله أن يُضاعف يُمنه لك، ويجعله وسيلةً مقبولة إلى مرضاته عنك. أعاد ٱلله إلى مولاي أمثاله، وتقبَّل فيه أعماله، وأصلح في ٱلدين وٱلدُنيا أحواله، وبلَّغه منها آماله. أسعده الله بهذا الشهر، ووفّاه فيه أجزل ٱلمثوبة والأجر، ووفّر حظَّه من كلِ ما يرتفع من دُعآء ٱلدَّاعين، وينزل من ثواب العاملين، وتقبَّل مساعيه وزَكاها، ورفع درجاته وأعلاها، وبلغه من ٱلآمال مُنتهاها، وأظفره بأبعدها وأقصاها.

الأدعية في التهنئة بالعيد

عاوَدتك ٱلسعود، ما عاد عيد وٱخضر عود. عاد ٱلسرور إليك في هذا ٱلعيد، وجعله الله مُبَشّراً بٱلجَدّ ٱلسعيد، والخير العَتيد، وٱلعمر المَديد، جعلك ٱلله من كل ما دُعي ويُدعى به في ٱلأعياد، آخذاً بأكمل الحظوظ والأعداد، أفطر وأكباد أعدائك تنفطر، وٱلدُنيا بعينيك تنظر وبٱلسعود تُبَشر. أسعد الله سيدي بهذا ٱلعيد سعادةً توفر من الخير أقسامه، وتَقْصُر عَلَى ٱلنُعمى أيامَه، وتحقّق آماله، وتزكي أعماله. جعل الله أيامه تواريخ وأعيادا، وجعل له ٱلسَّعادات آماداً وأمدادا.

ما يختص منها بالاضحى

يا أكرم من أمسى وأَضحى، سعدت بطلعة الأضحى. عرّفك الله فيه من

ٱلسّعادات ما يُربى عَلَى عدد من حجَّ وآعتمر، وسعى ونحر، وما يُربي عَلَى عدد من حَجّ، وعَجّ وثجّ. أَسعد الله مولاي بهذا العيد سعادةً تجمع به حظوظ الدُّنيا والآخرة، ومَصالح ٱلعاجلة وٱلآجلة، وجعل أعاديه كأَضاحيه، وأوليآءه المسرورين ٱلمَحْبُورين فيه، وقضى له بكفاية ٱلمهم، وٱلحياطة من السوء ٱلمُلم.

التهنئة بالنيروز وفصل الربيع

هذا اليوم من ٱلأيام، كسيدنا في ٱلأَنام. هذا ٱليوم غُرّةٌ في وِجه الدَّهر، وتاجُ عَلَى مَفْرق ٱلعَصر. أسعد ٱلله مولاي بنيروزه الوارِد عليه، وأعاده كيف شآء ما شاء إليه. أسعد ٱلله سيدّنا بٱلنيروز الطالع عليه ببركاته، وأيمن طائره في جميع أيامه ومُتصرفاته، ولا زال يلبس ٱلأيام فيُبليها وهو جديد، ويَقطع مسافة سعدها ونحسها وهو سَعيد. أقبل ٱلنَّيروز إلى سَيّدنا ناشراً حُلله ٱلتي آستعارها من شيمته، ومُبدياً حُليه ٱلتي أَخذها من سجيته، ومستصحباً من أَنواره ما آكتساه عن محاسن أَيامه، ومن أمطاره ما ٱقتبسه عن جوده وإنعامه، ومؤكد ٱلوعد بطول بقآئه حتى يُمَلّى ٱلعُمر، ويستغرق ٱلدَّهر. سَيّدُنا ٱلربيع ٱلذي لا يَذبُل شَجَرَهُ، ولا ينقطع ثمرَهُ، ولا يُقلع غمامه، ولا تُبتذل أَيامه، فأَسعده الله بهذا الربيع المُتَشَبّه بأخلاقه وإن لم ينل قدرها ولم يُحَصّل فضلها، ولم يَجد بداً من ٱلإقرار لها. سيدُنا الربيع الذي يتصل مطرُه، من حيث يُؤمَن ضررَهُ، ويدوم زهره، من حيث يُتَعَجل ثمره. فلا زال آمراً ناهياً، سامياً عالياً، تتهنَّأ الأعياد بمصادفة سُلطانه، وتستفيد ٱلمحاسن من رياض إحسانه. أَسعد الله سيّدنا بهذا النيروز الحاضِر، واليوم الجديد النَّاضر. سعادةً تستمرُّ له في جميع أَيامه عَلَى العموم دون الخصوص، لتكون مشتبهات في ٱكتناف المواهب لها، واتصال المسارّ فيها، لا تفرق إلا بمقدارٍ يزيد ٱلتالي، عَلَى الخالي، وتدرج الآتي، إلى الماضي.

التهنئة بالمهرجان

عرّف الله سيدنا بركة هذا المِهْرجان، وأسعده فيه وفي كلّ أوانٍ وزمان وأبقاه ما شآء في ظلّ الأماني والأمان. هذا ٱليوم من محاسن ٱلدُّهور المشهورة، وفضآئل الأزمنة المذكورة، فلقي الله سيدنا بوروده، وأجزل حظّه من أقسام سعوده. هذا ٱليوم من غُرره ٱلدُّهور، ومواسم السُّرور، مُعَظّم في الأصل الفارسي، مستطرف بٱلملك ٱلعربي. فوفّر الله فيه عَلَى مولاي ٱلسَّعادات، وعرفه في سائر أيامه ٱلبركات، عَلَى الساعات واللّحظات.

اقامة رسم الهدية في النيروز والمهرجان وغيرهما من الأيام الغر

بمثل هذا ٱليوم الجديد، والأوان السعيد، سنّة عَلَى مثلي فيها أن يُهدي ويُلاطف، وعَلَى مثل سيدنا ولا مثل له أن يقبل ويُشَرّف. لليوم رَسْمٌ إن أخل به الأوليآء عُدّ هَفوة، وإن منع منه ٱلرُّؤساء حُسب جفوة، ومولاي يُسوغني الدَّالة فيما ٱقترن بٱلرُّقعة، ويكسبني بذلك أتم ٱلتشُّرف وٱلرفعة، الهدايا تكون من ٱلرّؤسآء مُكاثرةٌ بٱلفضل، ومن ٱلنظرآء مُقارضة بٱلمِثل، ومن الأولياء ملاطفة بٱلقُل، وقد سلكت مع مولاي في إقامة رسم هذا اليوم سبيل أهل طبقتي من الأتباع، مع أهل طبقته من الأرباب. قد حَملت إلى مولاي هديّة الملاطف، لا هدية المحتفل، وٱلنفّس له والمال منه. العبيدُ تلاطف ولا تكاثر الموالي في هداياها، والموالي تقبل الميسور منها قَبولاً مَحسوباً في عطاياها. أنا في المودة لمولاي كنفسه، وفي ٱلطاعة كَيَده، وفي الاختصاص به كأحد أهله، وإنما أُلطفه من فضله، وقد بعثت بما يَستخدمه في سَفَره.

اهدآء أهل الدفاتر وآلات الكتاب والآدآب والعلوم

حضرة مولاي تَجِل أن يُهدي إليها غير الكتب ٱلتي لا يترفّع عنها كبير، ولا يمتنع منها خطير. قد أفكرت فيما أتقرب به مقيماً الرّسم في جملة الخدم،

حافِظاً الاسم في غمار الحَشَم. فلم أجد إلا الرّق الذي سبق ملكه له، والمال آلذي منحه وخوّله، فعدلت إلى الأَدب الذي تنفق سوقه بباب سيدنا ولا تَكسُد، وتهُبُّ ريحه في جنابه ولا تَرْكد، وأنفذت كتاب كذا راجياً أن أُشرف بقبوله، ويوقِّع إلي بحصوله. لما حظر عَلَى ذوي الاختصاص سيدُنا إهداء ما جرت العادة بتسامي آلأولياء إلى الاحتشاد في إهدائه، وجَب العدول في إقامة رسم الخدمة إلى اتباع ما صدر عنه من الرخصة في ما تسهل كُلْفَتَهُ، وتجلُّ عند ذوي الاخطار قيمته، وتحلو ثمرته، وهو علمٌ يُقتنى، وأَدبٌ يجتنى.

آخر كتاب آلتَّهاني وآلتَّهادي وما ينخرط في سلكهما، ولله الحمد
وبه الحول والقوّة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التعازي
وما يليق بها

وصف الخبر الهائل المزعج

خبرٌ عزَّ عليّ مَسمَعه، وأثَّر في ٱلقلب موْقِعه. خبرٌ تستك له ٱلمسامِع، وترتجُّ له ٱلأضالع. خبرٌ تسقط منه الحَبالى، وتصحو له ٱلسُّكارى. خبرٌ ما تلتقي شفتاي بذكره، ولا يثبت بالي بخطره. خبرٌ يَهُدُّ الرواسي، ويفلق الحجر القاسي. خبرٌ كادت له ٱلقلوب تطير، وٱلعُقول تطيش، والنُّفوس تطيح. خبرٌ يخفض الناظر ويُقذيه، ويقبض ٱلأَمل ويقدح فيه. خبرٌ أحرج ٱلصَّدرْ، وأحلَّ ٱلبُكآء وحرّم ٱلصبر، وأَطار واقع ٱلسكون، وأثار كامِنَ الوُجوم، وثقُلت وطأته عَلَى أجزآء النفس، وتأَدّت مَعَرّتهُ إلى سوآء القلب. خبرٌ يُشيب الوليد، ويذيب الحديد.

الكناية عن موت الرؤسآء والأعزة

انقضَت أَيامُه، استأثر الله به. انتقل إلى جوار ربّه. انقلب إلى كرامة الله وعفوه. خانه عمره. لم تَسْمح ٱلنَّوائب بٱلتَّجافي عن مُهْجته. أَجاب داعي ربه. نفذ قضآء الله فيه. لحق بٱلسبيل ٱلتي لا ٱحتزار منها، ولا مَجاز عنها. قبضه الله إليه. أسعده الله بجواره. دَعاه الله فأَجاب دُعآءه، ولبّى نِداه. نقله الله إلى دار رضوانه، ومَحل غُفرانه. ناداه الله فلبَّاه وفارق دُنياه. قضت عليه

المشيئة، فآرتجعت تفي آلعطية، وخانته الأُمنية، واستأْثرت به المنية. كتبت له سعادة المحتضِر، وآنتهى به الأمر إلى الأجل المنتظر. عِلَّةٌ ترامت به إلى آنقضآء نَحْبه، ولقآء ربه. طَرَقه طارِق المقدار، وآختار الله له آلنقلة من دار آلبوار إلى دار آلقرار. تداولته آلعِلَل المتطاولة، وآلت به إلى ما كل نفسٍ إليه آيله. أفضى من غضارة هذه الدُّنيا، إلى قرارة داره بآلاخرى.

ذكر النعي بالفقد

قد كان من الحق أنه تنقبض الأُلسن عن هذا النعِّي لفادح وتخرس، وتقصُر الأَيدي عن آلتَّعزية بهذا الرّزء آلفادح وتيبس، يا سوء صباحٍ أَتى فيه الخبر فرأينا الرَّجآء قد آنقطع، وأَصم به النَّاعي وقد أسمع. نعيٌ ورد فأكمد وفجع. ناعي آلفضآئل قائم، وأَنف المحاسن راغم. نُعِيَ من لا أُسميه إكباراً، ولا أُكنيه إعظاما. فحقيقٌ هو بأَن تخرس نُعاةُ فقده، وتحرم رُسوم التعازي من بعده.

نعي الملوك والأجلة وذكر سوء آثار المصائب فيهم

أُتى الناعي بآنهداد آلطَّود المنيع، وزوال الجبل الرَّفيع. قد نَعَته السمآء صائحة، والأَرض نائحة. كتبت والأرض راجفة، وآلشَّمسُ كاسفة، للرُّزء آلعظيم، والمصاب الجسيم، في فَلَك المُلُك، ورُكن المجد، وقريع ألشرق والغرب. ماعسى أَن يقال في آلفَلَك آلأَعلى إذا آنهار من جوانبه، وتهافت من مناكبه. أتى الناعي، ونُدبت المساعي، وقامت بواكي المجد، وكُسفت شمس آلفضل، وعاد النَّهار أَسود، وآلعيش أنكد. غرب بموته نجم الفضل، وكسدت سوق الأدب، وقامت نَوادِب السَّماحة، ووقف فَلَك الكرم، ولَطَمَت عليه آلمحاسن خُدُودها، وشقّت عليه المناقب جيوبها. قد كانت الرّزية بحيث مارت آلسَّمآء مَورا، وسارت الجبال سَيرا، حتى شوهدت الكواكب

ظُهرا، ثم تَهافتت شَفعاًووتَرا. قبضه الله فآرتاعت الأمة، وآنبسطت الظلمة، ووقفت الرَّحمة وآضطربت الملّة، وقامت نَوادب المجد، وأصبح آلناسُ من آلقيامة عَلَى وعد. إن المُصاب به فتّ آلأعضاد، وفتّت آلأكباد. إن المجد بعده لجاري آلدمع، وإن آلفضل لمزعج آلنَّفس، وإن الكرم لحرِج آلصدر، وإن الملك لواهي الظهر. كتابي وانا من الحياة مُتذمم، وبآلعيش مُتبرم. بعد ما هوى الـطَّود آلشامخ، وزال الجبل الباذخ، ونطقت نوادبُ المجد، وأُقيمت مآتم آلفضل. نُعي فلانٌ فتنكر وجه الدهر، وقُبِضت مُهجةُ آلعز وآلفخر. فلا قلب إلا قد تبين صدعه، ولا عين إلا وهي ترشح بالـدّم.

ما يختص من ذلك بأبنآء النبوة

قد نُعي سَليلٌ من سُلالة النُّبوة، وفرعٌ من شجرة الرسالة، وعُضوٌ من أَعضاء الرَّسول، وجزءٌ من أَجزآء الوصي والبتول، كتبت وليتني ما كتبت فإني ناعي الفضل من أَقطاره، وداعي المجد إلى شق ثوبه وصداره، ومخبرٌ بأن شمس آلشَّرف كاسفة، وأَرض الكرم راجفة، وآلمآثر مودعة، وبقايا النُّبوَّة مُرتفعة، وآمال الإمامة مُنقطعة، وآلدين مُنخزل واجم، وللتقوى دمعان هامٍ وساجم. كتابي وقد شَلّت يمين الدَّهر، وفُقئت عين المجد، وقُصر باع الفضل، وكَسَفَتْ شمس المساعي، وخسفت قمر المعالي، وتجددّ في بيت الرسالة رُزء جدّد المصائب، وآستعاد النوآئب، كلّ هذا لفقد من حطّ الكرمُ بربعه ثم أُدرج في بُرده، وآمتزج المجد فدُفن بدفنه. إنها المصيبة عمَّت بيت الرّسالة، وغضت طرف الإمامة، وتحيَّفت جانب الوحي المنزل، وأَذكرت بموت النبي المرسل. كتبت تنعي مُهجَتَ والمجد يندب بهجته، ومَهابط الوحي والرسالة تحني ظهورها أسفاً، ومَعادنُ الوَصية والامامة تذري دُموعها لهفاً، وذاك لأَن حادث قضآء الله آستأْثر بفرع النُّبوة، وعُنصُر الدين والمُروة.

ذكر البكاء

كتبتُ وآلأَحشاء محترقة، وآلأجفان بمائها غرقة. الدّمع واكف، وآلحُزن عاكف. مُصابٌ أُطلق أَسراب الدُّموع وفرقها، وأَقلق أَعشار القلوب وأحرقها. مُصابٌ فضّ عُقود آلدُّموع، وشب النَّار بين الضلوع. مُصابٌ أذاب الدُّموع آلجامدة، وألهب آلهموم آالخامدة. تحلَّبت سحآئب آلدُّموع الغِزار، وآنسدت مسالك آلسكون وآلاستقرار. كتبتُ عن عينٍ تدْمع، وقلبٍ يجزَع. ونفسٍ تهْلَع. قد أَذلْت حصون البَرة، وحجبت وافد الحبرة. قد مَدّ الهم إلى جسمي يد السُّقم، وجَر الدَّمعُ عَلَى خديّ ذُيول الدَّم. لولا أن العين بالدَّمع وآلدّم انطق من كل لسانٍ وقَلَم، لأَخبرت عن بعض ما أُوهن ظهري، وأَوهى ازْري.

ذكر الاستراحة بالبكاء والجزع

إن آلفجيعة إذا لم تحارَب بجيشٍ من البكآء، ولم يُخفف من أُثقالها بالنشيج وآلاشتكآء تضاعف دآؤُها، وزادت أعياؤُها، وعزّ وأَعوز دوآؤُها. قد شفيتُ غليلي بما آستدررته من أَسراب آلدُّموع المتَحيرة، وخَفْفَّتُ عني بعض آلبُرجآء بما آمتريته من أَخلافها المتُحدرة. إن في إسبال العبرة، وإطلاق الزَّفرة، وآلاجهاش بآلبكآء والنشيج، وإعلان الصياح والضَّجيج تنفيساً من بُرحآء القلوب، وتخفيفاً من أُثقال الكروب.

وصف عظم المصيبة وثقل وطأتها

أَتى آلدهر بما هدَّ آلأصلاب، وأطار الألباب من آلنازلة الهائلة، وآلفَجيعة الفظيعة. يا لها من حادثةٍ كارثة حسَّنت لي آلغُلو في آلاعتمام، وأذكرتني بفقد آلأعزَّة وآلأعمام. رُزْءٌ أَضعف آلعزائم القوية، وأبكى العيون البكية، مُصيبة زَلْزَلَتْ آلأرض، وهدَمت الكرم المحض. مُصيبةٌ سَلَبَت آلأجفان كراها، وآلأَبدان قُواها. فجيعةٌ لا يُداوي كلمها آسٍ، ولا يسد ثلمها تناسٍ. مُصيبةٌ

ألمت فآلمت، وثمَلَت فكلمت، وتركت النُّفوس مُوَلَّهة، والعُقُول مُدلهه. رُزء هضَّ وهاض، وأطال آلانخزال والانخفاض، ولم يرض بأَن فضّ آلأعضاء حتى أفاض آلدِمآء. رزءٌ ملأ آلصُّدور آرتياعاً، وقَسَم آلألباب شعاعا، وترك آلعقول مجروحة، وآلدُّموع مسفوحة، وآلقوى مَهْدُودة، وطُرُق آلعَزآء مَسدودة، ورُزْءٌ نكأً القلوب وجرحها، وأَحر الاكباد وأقرحها. مُصيبةٌ أَقرحت آلأكباد، وأوهَنَت الأعضاد، وسَودت وُجوه المكارم والمعالي، وأعادت آلأيام في صُور آللَّيالي.

ذكر الانخزال وكسوف البال والجزع والتوجع والاكتئاب لحادث المصاب

كتبت عن أجفانٍ شَرِقةٍ بآلدُّموع، ونيرانٍ مُتّقدةٍ بين آلأحشآء وآلضُّلوع، وبنانٍ تَوَدُّ لو بانت قبل أن تَخُطّ بذكر نازل آلخُطَّة، ونَفْسٍ أَشاطت بها بلابلُ آلهموم آلمُشتَطَّة. كتبتُ وآلنَّفسُ في شدة الانخزال وآلكَمد، وفقد آلاصطبار وآلجَلَد، عَلَى ما لا يستطاع ذكره، فكيف يُتَحمل ثقْلُه. ما لي يدٌ تخطُّ إلا بكُلفة، ولا نفس تتردد إلا عَلَى غُصة، ولا عينٌ تنظر إلا من ورآء قذى، ولا صَدْرٌ ينطوي إلا عَلَى أَذى. الدُّموع واكِفة، وآلقلوب واجفة، والهم وارِد، وآلأُنس شارد، وآلناسُ مأْتمهم عليه واحد، اين منَي كندة تأْسف عَلَى حُجر، أم إلخنسآء تبكي عَلَى صخر. كم عُبْرةٍ وزفرة، وأنَّةٍ وحسرة، وكم تَمَلْمُل وآضطراب، وكم آشتعال وآلتهاب. مُصيبةٌ أصبحتُ لها وقيذ غُمة، وأخيذ كُربة، ما أم سبعةٍ ركبوا الجياد، وشهروا السيوف الحداد نُعُوا إليها قتيلا بعد قتيل، وعُرضوا عليها صريعاً بعد صريع، بأَشد مني انخزالا وأَضعفَ بالا، وأَصدق تَقَلْقُلا، وأكثر تململا. ملك الجزع صبري وعزائي، وجعل ناظري في إسار بُكائي، فآلقلب دَهِشٌ، وآلبِنان مُرتَعش، وأَنا من آلبقآء مُستوحش. كتبت عن قَلَقٍ يَزيدُ ولا يَفْتُر، وجَزَع يتضاعفُ ولا يَضعفُ. انتهى بن الهَلَع إلى حيث لا التأَسي مُصْحب، ولا آلتناسي مُصاحب. انزعاجُ يَحلُّ عُقُود

ٱلحزم، وٱكتئاب يَنْقُضُ شُروط العزم. قد بلغ ٱلحُزْنُ منّي مبلغاً لم أُبتذله للنوآئب وإن جَلَّت وقعاً، وبلغ مني منالاً لم يُؤمله طُرُوق المصآئب وإن عظمت فجعاً. كتبتُ عن آضطراب نفس، وٱضطرام صدر، وٱلتهاب قلب، وٱنتهاب صبر.

التأبين والندبة

ما أعظمه مفقودا، وأكرمه ملْحودا. إني لأَنوح عليه بنوح المناقب، وأرثيه مع ٱلنُّجوم ٱلثَّواقب، وأبكيه مع المحاسنِ وٱلمعالي، وأثنى عليه بثنآء ٱلمآثر وٱلمساعي. ليت يمين ٱلدَّهر شَلَّت قبل أَن فتكت بمُهجة ٱلفضل، وعين الزمان كُفَّت قبل أن رأَت مصرع الفخر. لقد رُزئنا من فلانٌ عالماً في شخص، وأمَّةً في نفس. مضى وٱلمحاسن تبكيه، وٱلمناقب تعزى فيه، لَمَّا قرّت به العُيُون، أُسخنت فيه المَنون، ولما آنشرحت به ٱلصدور، قبضها لفقده المقدور. عَلَى المحاسن من بعده ٱلعفآء، ولا أنبتت ٱلأَرض ولا جادت السمآء. قد ركب الأعناق، بعد ٱلعِتاق، وعلا ٱلأجياد، بعد الجياد، وفاح فتيتُ المِسك من سآثره، كما كان يفوح من مَجامره. كان منزله مألف ٱلأَضياف، ومأْنس ٱلأشراف، ومنتجع ٱلرَّكب، ومَقصد الوفد. فٱستَبْدَلَ بٱلأُنس وحشة، وبالنضارة غُبرة، وبٱلضيآء ظُلمة، وٱعتاض من تزاحم المواكب تلادم المآتم، ومن ضجيج ٱلندآء والصهيل، عجيج البكآء وٱلعويل. هذي المكارم تبكي شَجْوَها لفقده، وتلبس حِدادها من بعده، وهذه المحاسن قد قامت نوادبها مع نوادبه، وٱقترنت مصائبها بمصائبه. ما أَقبح ٱلعيش من بعده، وما أنكر ٱلعمر مع بُعده.

في أن الفدية لا تغني

لو قُبلت في فلان ٱلفدية لوَقَّيْته بنفسي، وأيام عمري. علما بأن العيش

بمثله من إخوان الصفاء يصفو، وبظعنه عن الدُّنيا يَكدُر ويجفو. لو أمكن آفتداؤه بأنفس آلذَّخائر، وأعز الاملاك والممالك لكنا أحقآء بإرخاص كلّ علق نفيس، وبذل كلّ مُلْك كريم. لو وُقي منه عزيز قوم لعزّته، أو كبيرُ أهل بيت بولده وأُسرته، أو قوي سلطان باستطالته وقُدرته، أو زعيم دَولةٍ بحشده وعدده لكان الماضي أولى من فُدي، وأحقَّ من وُقي، وكُنا أقدر آلناس عَلَى دفع ما حدث وطرق، وذبّ ما كَرَث وأرهق، لكنه الأَمر آلمُسوى فيه بين من عزّ جانبه وذَلّ، وكَثُر مالُه وقلّ، حتى تأسى المفضول بآلفاضل، وآلناقص بآلكامل.

ما يقع من كتب التعازي من وصف الدهر

هو الدَّهر فلا تعجب من طوارقه، ولا تنكُر هجوم بوائِقه، عطآؤه في ضمان الارتجاع، وحِبآؤه في قران الانتزاع. الدَّهر ما عرفت، وعَلَى ما خبرت، فلا نُكر إذا فجع بآلذَّخائر، ولا غرْوَ إذا استأثر بالأَخاير. هو آلدهر وعلاجه الصبر لا تهنأ فيه المواهب، حتى تتخللّها المصآئب، ولا تصفو فيه المشارب، حتى تكدّرها الشوآئب. من عرَف الزَّمان، لم يستشعر منه الأمان، وتصوَّر تصرُّف الحوادث بين المُورث والوارث. الدّهر مشحونٌ بطوارِق الغير مَشوبٌ صفوُ أيامه بآلكدر، مَجروحٌ صابُه بآلعسل، موصولة حبال الأَمل فيه بأَسباب الأَجل، يَفطم أمام تكامل الرَّضاع، ويفرقّ قبل الامتاع بحُسن الاجتماع. هي الأَيام ترتجع العارية، وتتلقى بآلمنية آلأُمنية.

ما يقع فيها من ذكر الدنيا وذمها

قد جعل آلله الدُّنيا دار قُلْعة، ومَحل نُقلة. فمن راحل ليومه، ومن مَدْعُوٍ لغده، وكلٌّ مُستوفٍ لأجله، وجارٍ لأَمله. ما الدُّنيا إلا دارُ النقلة، وما المقام فيها إلا للرِحلة. إن المرءَ حقيقٌ إذا طرقه ما يتحيف صبره، ويتطرف صدره أن يعود إلىٍ علمه بآلدُّنيا، كيف نُصبت عَلَى النقلة، وجُنِبَتْ طول المُهلة،

وآبتُدئت للنفاد، وشُفِع كونها بالفساد، وإن الثَّاوي بها راحل، وآلأيام فيها مراحل. مَوهوب الدُّنيا مسلوب، وإن أُرجيء إلى مَهَل، وممهودها محروب، وإن أُخر إلى أجل. لو خَلَدَ من سبق لما وسعت الأرض من لحق، ولذلك جُعلت آلدّار آلأُولى منزل قُلعة، ومحل نُجعة، ومجازاً إلى أُخرى تزيد، ولا تبيد. خيرُها عتيد، وعمرها تأْبيد. نحن في الدُّنيا عَلَى وفاز، ومجازٍ وحِذار وآنتظار. الحازم من لم يفرح بمواهبها، ولم يتضآءل لنوائبها، ولم ير شياكلها (كذا) إلا كآلخيال المِلُمّ، والفيء آلمُنتقل، وآلعارية المُرتجعة ، وآلسحائب المتقشّعة، ما تصنع بهذه آلغدارة آلغرارة؟ وهي ترتجع أعز ما تُعطي، وتنتزع أحب ما تُولي. قد تنكرت الدُّنيا حتى صار الموتُ أَخف خُطُوبها، وأصغر ذُنوبها فلينظُر المرءُ يمنةً هل يرى إلا مِحنةً؟ ثم ليعطف يسرةً هل يرى إلاَّ حَسْرة؟

الامر بالصبر والنهي عن الجزع

لو كان في الجزع فضلٌ لَمَا تقدّمت فيه ذوات الحجول وآلحجال، عَلَى آلفحول من الرِّجال. ما تضع وآلقضآء نازل، والموت حُكمٌ شامل، وإن لم نلُذ بعِصمة آلصَّبر، فقد آعترضنا عَلَى مالك آلأمر. اعْلم أن الجزع للرّب مسْخطة، وللأجر محبطة. عليك عزيمة الصبر، وصريمة آلجلد، فإنهما في آلعين حتْم، وفي الرأْي حزْم، وليس في خلافهما للحي آنتفاع، ولا للميت ارتجاع. اعْلم أَن المتوفي لا ترده نارٌ تُلهبها من الهمّ عَلَى كَبِدك، ولا يُرجعه آنزعاجُ تسلطه بآلحزن عَلَى جسدك، وخيرٌ لك من ذلك أَن تفعل ما يفعله الذَّاكرون، وتقول إنا لله وإنا إليه راجعون. أنت تعلم أنّ شوائب الدَّهر لا تُدفع إلا بعزائم الصبر. اجعل بين هذه اللَّوعة الغالبة، والدَّمعة الساكبة، حاجباً من فضلك، وحاجزاً من عقلك، ومانعاً من يقينك. أنت أعرف بآلدَّهر ومصارفه، والزَّمان ومخاوفه، من أَن تدع التماسك وهو مرجع اللبيب ومَثواه،

وتتهالك في الجزع وهو مَنزع الجهول ومغزاه. إن المِحن إذا لم تُعالج بآلصبر، كانت كآلمنح إذا لم تُعالج بآلشُكر. إذا رأيت أن تأتي في توخي الصبر، واحراز الأجر ما يوجبه الحجا، فإنه أحرى بك وأحجى، صبراً صبرا ففحول الرجال لا تستفزُّها الأيام بخطوبها، كما أن مُتون الجبال لا تهزُّها العواصف بهبوبها. المرء لا بُد سال، ولو بعد أحوال وأحوال. فما عليك أن تعجل ما يغتنمه البررة، وتقدم ما يؤخره الفجرة؟

ذكر الموت

إن الله قد سوّى بين البريّة، في وُرود حَوض المنية، وحملهم فيها على عْدل الحكومة والقضية، لنظر كل احدٍ لنفسه، ويعلم أنه مستثمر ما أنبت من غرسه. ما حيلة الإنسان وقد خانه أمله، وجآءه أجله، فبينا هو في رَجآء، فسيح الأرجاء، إذا به قد دُعي فأجاب من دون تعريج عَلَى آستعداد، ولا تنفيس لأخذ زاد. الموتُ مَشْرَعٌ لا بد مَورود، وكلٌّ وإن طال المدى مفقود. ما دوام أمرٍ آخره انقطاع، وآتصال عطاءٍ عاقبته آنتزاع؟ معلومٌ أن الموت كلٌّ شاربٌ بكاسه، ومُكتسٍ من لباسه، وإنما هو تقدم أيام، وتأخرُ أعوام. وكلٌّ ذي نهاية يصير كأن قد قطعت مراحله، ولحق بعاجله آجله. الموتُ خطبٌ عظم حتى هان، ومس خشُنَ حتى لان، فظُنَّ أنه مؤخر لتمام، ومُنسأ لأيام وأعوام، والمَنُون تطلبه حثاً وحضاً، حتى تدركه خبباً وركضاً. هذه سبيل، فيها تعجيل وتأجيل، وإلا فآلدَّهر كله أمس، وآلنفوس في مُصافحة المنيِة كنفس، لله ما أغوص الموت عَلَى حبَّات القلوب، وأعرفه بمودات الصدور، وأخلصه إلى مكامن الرُّوح، وأيقظه لأناسي آلعيون، فإنا لله وإنا إليه راجعون. معلومٌ أن آلمورد فيه واحد، وسيان فيه ولد ووالد. هذه فُرقة محتومة عَلَى كلّ شمل منتظم، ومكتوبةٌ عَلَى كلّ حبلٍ متصلٍ وقديماً نُعِيَت عَلَى الناس غُربانها، وطارت في دُورهم عقبانها.

في الرضاء بقضاء الله تعالى والتسليم لحكمه

ما الحيلة وقد حلّ ٱلقضآء، وفُرِض ٱلعزآء لِقَدَر ٱلله، ونزل ٱلبلآء الجسيم وكُتب الرّضآء وٱلتسليم. لا تَسَخَّط لقدر الله وهو عدل، ولا تكره لقضآء الله وهو فضل. ليُعلم أن حُكم الله عدْل كيف تصرّفت ٱلأقدار، ووقعت من كراهةٍ واختيار. ٱلقضآء غالب، والزّمان مُعْطٍ وسالب، ولا خِيار على ٱلقَدر، ولا إيثار عَلَى ٱلغير. وٱلله العدلُ، وحُكمه الفصل، ومِن عندِه ٱلفضل، قضآء الله ماض، وهو عدلٌ قاض. يُولي، ويبتلي، ويسلب، ويعطي، ويُعير، ويرتجع، ويُمتع، ويَنتزِع. له الخَلق، وفعله الحقّ. أَمرُ الله لا يُقابل إلاَّ بٱلرضا، وٱلصّبر عَلَى ما قضى وأَمضى.

في حمل قضآء الله على الاصلح لعباده

مولاي أَولى مَن سَلّم، وقد عَلِم من عَدْل الله ما عَلِم، وأَيقن أنه يحيى ما دامت الحياة أَنفع وأَروح، ويميت إذا كان الممات أصلح. لولا أَن الموت طريق يسلكه البريء وٱلسَّقيم، ومَشرعٌ يرِدهُ ٱلبَر وٱلاثيم، لَمَا ٱنشرح بٱلعزآء صدْر، ولا صَحِب مع ٱلبلآء صبر. غير أَنه سُنّة الله في عباده وأنبيائه وأوليائه. يبقيهم ما كان البقاء أعمر لمكانهم، ويتوفاهم ما كانت الوفاة أصلح لأديانهم. إنا لله وإنا إليه راجعون، عِلماً بأَن مقاديره لا تجري إلا عَلَى موجبات الحكمة، وتدبيره لا يخلو من باطن المصلحة، أَو ظاهر ٱلنعمة. في بقآء مولانا ما يوجب ٱلتَّسليم لما قضى الله وأمضاه، إذا كان يُدبرِنا بأَصلح ما يختار ويؤثر، وأحكم ما يُقدم وما يؤخر عِلماً منه تعالى بٱلعواقب، وإحاطة بالشاهد وٱلغآئب. أحقُّ ٱلناس عند حدوث النوائب، وٱعتراض الشوائب، بقصد التَّجْلُّد، وترك التّبلد، من عَلِم أن أقضية الله جاريةٌ مع الصَّلاح، ماضيةٌ على الرَّشاد، يبقى ما كان البقآء للعبد أنظر، ويتوفى إذا كان الفنآء في الحكم

أوجب. معلومٌ أن الله يُبقي ما كان البقآء أنجح، ويتوفى إذا كان الفنآء أصلح، ولذلك قُبض ٱلأنبياء والمرسلون، وأنزل عَلَى المصطفى إنك مَيتٌ وإنهم مَيتُّون.

ذكر الاعمار والآجال

إن أيام ٱلعُمُر وساعات الدَّهر كمراحل معْدودة، إلى وُجهةٍ مَقصودة. فلا بد مع سلوكها من ٱنقضائها، وبلوغ الغاية عند ٱنتهائها. للنفوس مواعيدُ تطلبُ آجالها، وللموت تَغْدو الوالدات سخالها. وما نحن إلا كٱلرَّكب. فمن ذي مَنْهَل قصْدٍ يبلغه دانيا، ومن ذي منزلٍ شحط يَلْحَقُه مُتراخيا. مولاي يعلم أنَّ الأعمار مُقَدّرةٌ لآمادها، وٱلآجال مؤخرة لميعادها. فلا ٱستزادة ولا ٱستنقاص، ولا فوات ولا مِناص. الآجالُ آمادُ مضروبة، وأنفاسٌ مَحسوبة ولذلك ٱستأثر ٱلله بوجوب البقآء، وآثر لخلقه صلة الوُجود بٱلفنآء. الآجال بيد ٱلله، فإذا شآء مَدّها بحكمةٍ وافية، وإذا شآء قصَّرها بلطيفة خافية.

في التسلية ببقاء الباقي عن الماضي

نعمةُ ٱلله في فلانٍ عظيمة. قد جبرت ٱلكسر، وأوجبت ٱلصبر، وأقامت ٱلظَّهر، وألزمت ٱلشكر، وٱلحمد لله ٱلذي أولى كما ٱبتلى، وأعطى بإزآء ما ٱقتضى. لئن كانت المُصيبة بمصرع فلانٍ عظيمةٍ، لقد سدَّها ٱلله من سيدي بأفضل خَلَف، لأمجد سَلف، وأنجب فرع، لأكرم أصل. في بقاءِ مولاي مسلاةٌ للجازع، وأسوٌ للفجائع. يا لها من حادثةٍ كارثة، وفجيعة فظيعة. لولا أن ٱلله سدّ ببقائك ثَلْمَها، وداوى بٱلدفاع عن حَوبائك كلمها. في بقآء مولاي ما يُلزم تخطي ٱلأحزان، إلى شُكر ٱلله للإحسان. اللهم لا كُفران فقد أبقيت من فلان من ضممت به شمل ٱلأمم، وجَلَوت وجه ٱلكرَم. قد أعان ٱلله عَلَى الرّزية، بحُسن البقية، وسهل سبيل ٱلتسلية، بعظم المزية، وجعل الموهوب،

أفضل من المسلوب. في بقآء مولاي ما سَدَّ ثَلْم المرزية، وأغنى عن إطالة ٱلتعزية. إذا تحامت ٱلنَّوآئب جانب مولاي وتوقَّته وبقَّته، وهبنا ما ٱنتهكت، لما تركت، وتسلَّينا عما ٱحتنكت، بما كفَّت عنه وأمسكت، وٱلشمسُ تسليك عما حلَّ بٱلقمر. مامات من خلّفك، ولا غاب عن أهله من ٱستخلفك. إن تكُ أيدينا بٱلأمس أمسكت عَلَى ٱلقلوب خوف ٱنصداعها وٱنزعاجها، لقد مسحت ٱليوم عَلَى ٱلصدور عند ٱنشراحها وٱنفراجها، ولئن سخنت عيونٌ عند حدوث الحادث، لقد قرّت عيونٌ عند ٱنتصاب الوارث. تأمَّلت في أثنآ الرَّزية، جزيل ٱلعطية. ببقآء مولاي، فرأيت ٱلموهوب، أكبر من المسلوب، والمبقي، أجلَّ من المفني، فعطفت عَلَى ٱلبلوى بٱلصبر، وتلقَّيت ٱلنعُّمى بٱلشكر. من كان مثلك القائمَ من بعده، ٱلسّادّ ثُلمةَ فَقْده، فهو في حُكم الخالد، وإن أصبح فانيا والمقيم في أهله وإن أمسى بالعراء ثاويا. إن الزَّمان لا بدُ خائن، والمَقدور لا مَحالة كائن، وإذا وقي ٱلله أكرم النُّفوس، وحرس أجلَّ محروس. فالرُّز وإن جلَّ جلل، وما أتى الدَّهر، وإن كبُر هدَر. سيدي يعرف أحكام اللَّيالي والأيام، وتصرُّفها بين الإعطاء والإخترام. فإذا تعدَّت أكرم الأنفُس، وتجافت عن الأنفَس، وجب تجاوُز الصبر، إلى الحمد لله والشكر.

فيما يجمع بين التعزية والتهنئة

قد لزمنا رفع اليدين إلى ٱلله: واحدةٌ تستنزل الصبر، وأُخرى تتحمَّل الشُّكر. الحمد لله الذي لَمَّا ٱرتجع أكرم العواري، بلغ أُفضل الأماني، ولما ٱمتحن بأَعظم ٱلأهوال، تطول بأشرف ٱلأبدال. ما ٱكتأبنا للمنعي إلينا، حتى اغتبطنا بٱلمستخلف علينا، ولا أجهش باكيا عند ٱلرَّزية حتى ٱستهل ضاحكاً للعطيَّة. الفَجيعةُ فظيعةٌ وجيعة. كادت تُذهل ٱلعقول، وتحبس الألسِنَة عن أن تقول، وألأقلام عن أن تجول. إلا أن الله لَطَفَ فجعل سيدنا وارثَ الماضي كابراً عن كابر، وحافظاً بعده لغرّ الآثار والمآثر. فلم يحسُر ٱلظلّ حتى مدّه،

ولا مكّن الثّلم حتى سدَّه، ولا نقل الإحسان حتى رَدَّهُ، ولا أوهن ٱلعقل حتى شدَّه. قد كان الرُّزْء أعظم من أن يوصفَ هدًّا للاركان، وإفاضةً للأحزان، في كلَّ قُطْرٍ ومكان. إلا أن الله بلطفه كَشَفَ ٱلظُّلمة، وأحيا ٱلأُمة، وأنزل ٱلرَّحمة، وحسم ٱلنقّمة بعودِ مولانا إلى سرير سلطانه، واستقراره في عالي مكانه. لئن كانت ٱلمُصيبةُ أصابت سُويدآء ٱلقلب، فقد تدارك الله ٱلعالم بما أقرَّ سواد العين. يا لها من رزيئة ناحت لهاٱلسمآءُ عَلَى الأرض، وأفل معها قمر ٱلملك والمجد، حتى تلافى الله الملك بمولانا فأعاد به الشمل جميعا، وٱلعاصي مُطيعا، فقرّ الأمر قراره، ولزم فلكُ التَّدبير مَداره.

استظهار المشاركة والمساهمة

أنا أُقاسم مولاي الهموم والمسار، وأُساهمه المكاره والمحاب. فلا يعرض له ما يَشْغَل فكره إلا أزعج قلبي، كما لا يتفق عنده ما يشرح صدره إلا وفَر أُنسي. قد شاركت سيدي في ٱلمُصيبة مشاركة من لا يتميز عنه في مِنَحه ومحنه، وسروره وحزنه. كتابي وأنا لا أعلم أعزيك أم نفسي، فليس المصاب عندك بأعظم منه عندي. أنا وإن كنتُ أُقاسمك المسارّ، وأُساهمك المضارّ، فإني لا أُحاسب الأيام إذا تخطَّتك، ولا أُناقش سهامها إذا أخطأتك. لئن فقدت من فلان أباً وعمّا. لقد أوفيتُ عليك أسفا، وعليه هما. انا أُقاسمك مصارف الأحوال ومجاريها، وعوائد الأيام وعواديها، فآخذ مما شرح صدرك بحظ المبتهج، ومما شغل قلبك بقِسط المنزعج. قد تحملت لمشاركتك أثقالاً من الوحشة تنقص ٱلصبر، وتنقض الظهر، وما أُعزيك إلَّا وٱلعزآء لي معجز، ولا أُسليك إلا وٱلسلو عندي معوز، لاشتراكنا في الافراح والأحزان، وتعادل أقساطنا من الزيادة وٱلنقصان.

عظات التعزية

لا مُصيبة مع الإيمان، ولا مُعزي مع القرآن، وكفى بكتاب الله معزّيا،

وبعموم الموت مُسليا. إنَّ آلذي يُخفِفّ ثِقل آلنوآئب، ويُحدِثُ السُّلو عند المصائب، تذكر حُكم الله في سيد المرسلين، وخاتم النبيين محمدٍ صلواتُ الله عليه وعَلَى آله أجمعين. ليذْكر مولاي فقد آلرسُّول والوصَّي وآلبتوْل والحَسَنَيْنْ من مسمومٍ ومقتول، ثم ليُحصن الأَجر المسوق إليه وليحصله، ولينصب أدَبَ الله إزآء قلبه وليمتثله. آلخُلود في آلدُّنيا لا يُؤمل، وآلفنآء لا يُؤمَن، ولا سَخَطُ عَلَى حكم الله ولا وحشة مع خلافته، والأُنس بطاعته، فأَدّما آسترد صابرا، وآسمح بما استرجع مُسلما. أنت تعرف من شروط الزّمان وعاداته، وتخبر من شؤونه وتاراته وتملك معه حلمك، وتراجع له حزمك، متى أتت الليالي بما تعاقبت القرون عَلَى مثله، وأعيت الحيل دون دفعه. حمداً لإله بتفضل فيهب، ويستردُّ فيأجُر، ويُبقى آلثواب، ويُفنى آلحزن. كلُّ مُصيبةٍ وإن عظُمت فصغيرةٌ في جنب ثواب الله، ضئيلة بين نعم الله قبلها وبَعدها.

الادعية للمتوفي

غفر الله ذَنبه، وخفَّف حسابه، وجعل رحمته حسْبه تغمده الله بغفرانه، ومهَّد له في أعلى جِنانه. تغمدَّه الله من عَفْوه بما يفوت آمالَ المؤمّلين، ويوجب له مرافقة الإنبياء والمرسلين. جعل الله فرطاته مغفورة وحسناته مشكورة. قدَّس الله ثراه، وأكرم مأْواه. أكرم الله مرجعه، ورحم مصرعه، وبرَّد مضجعه. رَحمه آلله رحمته للأَبرار، وحطّ عنه ثِقَلَ آلاوزار. نَوَّر آلله بُرهانه، وأَلبسَه رِضوانه، وفسَّح له جِنانه. غفر آلله له مغفرة تُحَفُّ بآلرَّوح وآلسلام، وتفسح له في دار المقام. جعل الله ما نقله إليه، خيراً مما نقله عنه. قدّس الله ضريحه، وبرَّد صفيحه، وأفاضَ الرَّحمةَ آلسابغة عليه، ولقَّنه الحُجة آلبالغة بين يديه. سقى الله ضريحه ولقي (كذا).

ما يختص منها بالملوك

وآلله يُبوئه من جنّات عدنه، ومقارّ أمنه أعلى منزلة رفع اليه عبداً مخلصاً

هداه، ومؤمناً آجتباه، ووليًا مكَّن له في أرضه، فقام فيها بفرضه، وأصلحها بعدله، وغمر أهلها بفضله. نسأل آلله أن يرحمه أتم رحمةٍ وأوسعها، ويلقيه أفضل مغفرة وأفسحها، ويبوئه جنات النَّعيم آلتي أعدّها لأمثاله دارا، ولأشكاله قرارا، ممن أحسن آلسيرة في عباده وبلاده، وآنتهى إلى رِضاه بوُسعه وآجتهاده.

ما يختص منها بالاشراف

اللهم صلّ عَلَى شجرةٍ هذا آلغصنُ من كرائم أغصانها، وخصائص أفنانها، صلاةً ترفع آلذُّخر، وتعلي آلقدر، وتمهّد في جنة المأْوى، والدَّرجات آلعُلى. قدَّس الله تلك آلتربة آلزّكية، وآلأرض المرضيَّة. إذ أُودعت نَفْس الشرف والأَشراف، وسِر هاشم بن عبد مَناف، وكيف أَستسقي لها آلغمام، وبحرُ المكارِم في بطنها، وغيثُ الأَمحال في ضمنها، وثَم آلقبر آلذي لو كُتِم لنّم عليه عرف آلكرم، وريّا حُسن آلشّيم. نقله الله إلى خِطَّة آلغُفران، وعرَصة الرّضوان، حيث آلرّسول، والوصيُّ والبتول، والحَسَنان، وسائر شجر آلجنان. صلواتُ الله عليهم ما طلع الفَرقدان، وتعاقب الملوان. أقرّ الله عينه في عرصة الموقف المحذور، وآلصباح المَشهود المشهور بلقآء جَدّه، وخيرة الله من خلقه، وأمينه عَلَى وحيه، وأدآء حَقّه، ووفَّاه من حظوظ شفاعته، ما يزيده في علوّ الدّرجات وسبوغ آلكرامات، وشرف الوقوف عَلَى الحوض المورود، وعزّ النُّشور في اليوم الموعود. رضي الله عن شقيق آلكرم والمجد وعقيد آلشَّرف المحض، وسلالة آلرّسالة، وسليل الإمامة، وقدس رُوحه وقد قُدّس، وأَلبسه ثوبَ آلغُفران وقد أُلبِس.

في الدعاء للمعزى بالصبر والاجر

ربط الله عَلَى قلبك بالتّماسك آلذي يُؤمن من التَّهالك في القلق، والتَّمالكِ الذي يدفع عواديَ الحرق. أفرغ الله عَلَى سيّدي تجلداً يُضاهي اجتماع رأْيه

ولبّه، وتصبراً يحفظ عليه ذَخائر حِلمه، حتى يمنحه في الثَّواب ما لم يحتسبُه كما آمتحَنه من المُصاب ما لم يَرْتَقِبْه. ورثَّ الله مولاي عمره، وأحضر سُلوانه وصبرْه، وشرح بالتّسليم صدره. أعظم الله لسيدّي من الذُّخر، وجزيلِ المثوبة والأجر، وبعدد محاسن من فُقِد، ومحامد من عُدم. وفقَّك الله لما يحصنّ الأَجر، ولا يُحبطه، ويُوَفّر الثَّواب، ولا يُسقطه. ثقَّل الله به ميزانك، كما ضاعف بفَوتْه أحزانك. أحسن آلله لك العَزآء وأجمله، ولقَّاك من الصَّبر أكمله. جَبَر الله مُصابك، وعظَّم ثوابك. آتاك الله صبراً يأسو كلوم المُصاب، ويحُلّ عُقود الإكتئاب. كتب الله لك من جسيم الثواب، ما يصغُر عنده عظيمُ المُصاب. كتب الله لك من الأَجر أفضل ما كتبه لمن سلَّم له أَمرَه وحُكمه، ولم يتسخَّط قَدَرَه وحتَمْه.

سائر الادعية للمعزى

أَطال الله مُدتك، وجعل الشكرَ في النّعمي مادَّتك، والصبر عَلَى البلوى عُدَّتك. حرس الله مُهجتك، وحرّم عَلَى الحوادث أعزتك. وجعل ما عرض خاتمة الرّزايا قِبلك، وبلَّغك في دينك ودُنياك أملك. ورَّث الله مولاي عمر من قَدمه، وغفر لمن آختار له جِواره فآستقدمه، جعل الله الأعمار صلةً لعمره، وفقأً عنه عيونَ آلصروف من دهره. وقاك آلله في أعزتك ونفسك، وجعل مسرَّة غدك ماحيةً مساءة أَمسك. لا أُصبت إلا بمن الخيرة لك في آلبقآء بعده، وله في آلتقدُّم قبلك. مدّ آلله في مُدَّتك، وغضّ لَوَاحظ آلأَيام عن عَقْوتِك. لا نقص الله لك عدداً، ولا أثكلك ولدا، ولا أشمت بك أحدا.

ما يختص منها بالملوك

أَبقى آلله مولانا وارثاً للأَعمار، مصرفاً للأَقدار. وجعل ما عرض خاتمة ما

يوزّع له فكرا، أو يُحرج له صدرا، وقدَّم آلعالم عنه، فدية له. رغبتُ إلى آلله في إطالة بقائه، كاشفاً بدوام مُدَّته الغُمم، وساداً بنضارة دولته آلثُّلم، وآلله يُطيل بقاءه وارثاً للأعمار، مفسوحاً له في الامهال والإنظار. مُحصّن الدَّولة عن آلنوآئب آللاَّحقة، مَحْمِيَّ آلعرصة عن المصائب آلطارقة. أطال الله بقاءه، وارثاً للآجال، حائزا للأماني والآمال، ينسخ مُدَّة الملوين، ويُخلق جِدَّة الجديدين، وعمَّره عمر آلنَّسرين، وأبقاه بقآء العصرين. عمَّره الله محوط آلنفس وآلساحة، مُبشراً للخيرات آلمُتاحة. مُصْرِفاً عِنان الملوين، مقلباً زِمام الزَّمان بكلتا آليدين.

ما يختص منها بالاشراف

أحسن الله عزاء مولاي عن آلشريف، وورّثه عمره، كما ورَّثه فخره، وذَخَر الله لـه الأَجر عليـه، كما أعلى ذكـره بآلانتسـاب إليه، والله يجْبُـر مصابـه كما أكـرم نصابه، ويقيه المحاذر، كما ورَّثه المفاخر، ويبارك له في إحسانه الجسيم، وفضله العميم، كما بارك عَلَى إبراهيم، وآل إبراهيم صلى الله عليه وعَلَى محمدٍ وآله آجمعين.

مخاطبة العلماء والزهاد في التعزية

أحقُّ آلناس بآلتسلي عند طروق المصائب، وأولاهم بآلتَّسليم مع هجوم آلنوائب، من آتاه الله من العلم ذخيرة، وجعل عَلَي نفسه بصيرة، وهذه حال آلشيخ في فقد فلان. ورَّثه آلله عُمره، وأبقاه ما شآء بعده. إذا كان آلشيخ هو آلقُدوة في آلعلم وما يقتضيه، والأُسوة في آلدّين وما يجب فيه، لزم أن يُتأَدب في حالات الصبر وآلشكر بأَدبه، ويؤخذ في تارات الأسى والاسى بمذهبه، فكيف لنا بتعزيته، عند حادث رزيئته، إلا إذا روينا له، بعض ما أخذناه عنه، وأَعدنا إليه طائفةً مما آستفدنا منه. قد عَلِم الشيخ أَنَّ من خُلق للعرض

ٱلعظيم، وعُرض للثواب الجسيم. وطّن نفسه عَلَى تحمل الحوادث، ومرَّن قلبه عَلَى تجرُّع النوآئب، وكان تأسُّفه عَلَى ما يفقدُ من رياحين دُنياه قليلا، وتصبُّره لما يُنقل من موازين أجره جميلا.

ذكر موتهم وتأبينهم

قد فَقَدَت عينُ ٱلفضل منه قُرَّة، وجبهة العلم منه غُرَّة. للفجائع، آختلاف مواقع، وللمصائب، تبايُن مراتب، ومن أشدّها لَذعا، وأعظمها وقعا. فجيعةٌ أحرجت صُدور قوم مؤمنين، ومصيبةُ خصت ٱلعلم والدين كفقد فلان، فقد كان للإسلام جمالاً مُمْتدّا، وللدين رُكنا مُشتدا، وللعلم شهاباً لا يخبو، وللأدب سهماً لا ينبو. تمثَّلت كيف يضام العُلى وتُقام مآتم الحِجى، وتبكي أعينُ الدّين وٱلتقوى. قد فجعنا بشيخ ٱلفضل، وشِهاب العِلم، والناضح عن ٱلدِين ناظراً لعُقباه، والصادِع بٱلحقّ رافضاً لرُقباه. قد أُخل ليثُ العلم بغيله، ومضى شيخ ٱلدّين لسبيله. فاضت عليه عيونُ المحاريب في جنح ٱلظلام، وبكته عُيُون المحاسن في وضَح النّهار. رَحِم الله فُلاناً وهل خُلِقت ٱلرّحمةُ إلا لأمثاله ٱلذين خافوا الله، فخافهم ٱلناس من دون ملكٍ قاهر، ولا سلطانٍ غالب، ولكنها هيبةُ ٱلعلمآء، في نفوس ٱلدّهمآء. اللهم محص عنه سيئاته. فطال ما آنتصب في ٱلذَبّ عن دِينك، وٱلناس في آشتغالٍ بمعاشهم، عن مَعادِهم، وبعَقدْهم، عن آعتقادهم.

ذكر موت الادباء والكتاب

نجمٌ من نجوم ٱلعِلم هوى، وغُصنٌ من أغصان ٱلأدب ذَوى. قد عادت لفراقه ٱلآداب شُعثا، ووُجوه الفضل غُبرا. شابت بعده لِمَمُ ٱلأقلام، وجفَّت غُرر ٱلكلام. قامت نوادِبُ ٱلأدب، وتعطّلت حوالي ٱلكتب. قد نضب ماء

آلفضل، وركدت ريح آلعقل، وصدىء رَونق آلتبيين وآلبيان، وآنثلم حَدُّ آلقلم وآلّلسان.

ذكر موت الاولاد الصغار والكبار

بلغني خبرُ مُصابك بالرَّيحانة آلتي آختار آلله لك المثوبة عنها، عَلَى آلمُتعة بها. لَمَّا قوي فيه الأَمل، عاجله آلأَجل، فكسفته أيدي آلأَيام، هلالاً آستسرّ قبل آلتمام. أطلتُ آلتَّلَهُف عَلَى ظلٍ عاجلته آلأَيام أَن يكون فنآءً زائلا، وأكثرتُ آلتأَسّف عَلَى هلالٍ فاجأته آلليالي أَن يصير بدراً كاملا. يا لهفي عَلَى غُصنٍ هُصِرَ قبل أَن يورق، وكوكب أفل قبل أَن يُشرِق. هلال آستسر قبل آلتمام، وثمرة آجتنتها يدُ الحِمام. فجعله الله أجراً مذخورا، وثواباً موفورا. كيف يستقرُّ عَلَى آلأَرض وفِلذَتَهُ في بطنها، ويُراجع آلأَيام ومُهْجَتهُ في كفّها. يا أَسفي عَلَى غُصْنٍ مهصور بالموت، معصورٍ في الترب. قد كنتُ فيه قوي الأَمل، لو لم تطاولني يدُ آلأَجل، ومستحكِمَ آلرَّجآء، لو لم تغالبني يمينُ آلقضآء. تصوّرت حالك وقد أُخذت من قبلك ثمرته، ومن نفسك زهرتها، ومن ناظرك قُوته، ومن كِبْدِك فِلذتها. عارِية سرك الله بمدَّتها، وأثابك عند آرتجاعها. فأَبشر بعاجلٍ من صُنعه وإخلافه، وآجل من مَثوبته وجزائه. لئن حُرم الأَجر ببدك، لقد كُفيَ الإِثم بعقوقك، ولئن فجعت بفقده، لقد أمنت آلفتنة به. الرُّزْء ما كان أوجعَ، كان الأجر عليه أوسعَ، وأنت وإن آحتجت إلى الأولاد، فحاجتك آلعُظمى إلى حُسن المعاد. أَسأَل الله أَن يجعل لوعة مُفارقته، أنفع لك من فِتنة مُقاربته، وحَسرة آلرزيَّة فيه، أجدى عليك من حبـرة الإِمتاع به.

ما يختص من ذلك بأولاد الملوك

كتبتُ وآلأَحزان مُسْتولية عَلَى آلخلق وآلزمان، وآلأَرواح متبرمـة بآلأَجسام

والأَبدان. مُنْذُ أفل آلنَّجم الزاهر في أُفق المِلك وذوي آلغصن آلناضر من دوحة المجد، خوى نجمٌ طلع في أُفق المِلك. وهوى بيد آلقضآء، عند انتهآء آلعمر، فآستوحش ربع مولانا بفقده، وذوى عود آلنجابة من بعده. عَلَى حينَ قَويت فيه آلظُّنون، وقرَّت به آلعُيون. عَرَفتُ نادرة الزَّمان، في قرة عين آلدَّهر، وثمرة فؤاد الملك، وقد خانت فيه يد الدَّهر، وآختطفتْه من حِمى الملك، وإنما نقله الله إلى جوار كرامته مَثوبةٍ بمولانا مُقدَّمة، وأَعدَّ له معوضةً مُسَومة، وجعله فَرَطاً صالحا، ومتجراً رابحا. قد خبا ذلك آلشهاب المضيء، وخوى ذلك الكوكب الدّريء، فأَغبرت وُجوه النجابة، وآستوحشت مَعاهِد آلإمارة.

ذكر احتضار الشبان

يا أَسفي عَلَى فلان، وقد آحتُضر شبابه، ولم تُغن عنه طراوتُه في العيون، وحلاوتُه في القلوب. قد آحتضر فلانٌ أنضرَ ما كان غصنا، وأَكمل ما كان حُسنا، ما أتذكرَّ إقبال شبابه مع اكتهال فضله، وجِدَّة أيامه مع وُفور عقله، إلا رأيت التَّعزّي مُستقبحا، والتَّسلي مُستهجنا. يا لهفي عَلَى شباب مُقتبلٍ احتُضر، وفضلٍ مكتهل فُقِد، وجانبٍ من المجد آختل وآنتشر، ونجمٍ من فلك الفخر هوى وغرب. قد آخترم عُنْفُوان شبابه آختراما، نبَّهنا من سنة آلاغترار وهدانا لوجه آلاعتبار. انتقَل إلى جوار ربه نَقِيَّ الصحيفة من سواد الذُّنوب، بريَّ الساحة من درن العيوب. لم تُطل في الدُّنيا مُدَّته، ولا آسودَّت في جرائدها صحيفتُه، ولا عَلِقَت به أجرامُها، ولا جَذَبَتْه أَشطانُها، لكنه وَردها نجيباً رشيدا، وآنصرف عنها مَهدياً سعيداً. قد صانه آلاحتضار، عن مُلابسة آلأَوزار، وحاطه آلاختِرام، عن مُقارفة آلآثام. لو كان هذا آلحِمام يبدأ بإدارة كأْسه في آلأَسلاف، ويتجافى عن آلأَخلاف، لخفَّت أعباؤُه، بل طاب لقاؤُه، ولكنه يدْنو فينا ويَبْعُد، ويهتصر مِنا ويحتَطب.

في التعزية عن الاب

قد أُصبت من أبيك بمن لا لوم إذا بكيت عليه ملء آلشؤُون، ووجعت له مدى آلظُّنون (كذا). فآلأبُ سمآء مُظلة، وأرضٌ مُقلَّة، وأصلٌ أنت فرعه، وشجرٌ أَنت غُصنه، ولكنَّ أدب آلله أحرى بآلاستعمال، من بواعث آلرقة وآلانخزال. لو خُيّر أبوك لاختار ما آختار له تقدماً بين يديك، وتعويضاً للبقآء إليك. إذ كنت مع عقلك وبصيرتك أبا، ولأَهلك وعشيرتك نسبا. سدّ آلله بك مكانه، وورثك عُمره وفضله، وعوضك آلأَجر عنه، وأيدّك بآلعِصمة بعده. بقي أن نجعل هذه النَّوائب عِبَراً تُبصرنا آلعواقب، ونقول ما حال شجر أُوهنت أُصوله، ثم أُخذت غُصُونه، وننظُر في أصل آلبقآء، بعد فنآء الآبآء وآلأَبنآء، فنأْتي ما فيه حُصول النَّجاة، تخليصاً لهذه الأَنفس من التَّبعات.

في التعازي عن الحرم

نُبّهت بموعظة، ورُزقت ثواباً، وستّرت عورة، وكُفيت مؤُونة. فعظم الله أَجرَك فيمن أَمضى، وأخلف عليك الإمتاع بما أَبقى. لا ستر أَسَتَرُ من أرض، ولا خَتَنَ أَكرم من جَنَن. بهذا أَتى آلشَّرع، وعليه أُجمع آلعقل وآلسمع. سَتْرَ آلعورات، من الحسنات، ودفن آلبنات، من المكرمات، وتقديم آلحُرَم، من آلنّعم، وقد قاسَمَتْك آلفجآئع، فأَعطتك أوفر الحظّين، وساهمتك آلنوائبُ فوفَّتك أَجزل آلقِسطين، ورضي الحِمام بأن يتخطى نجبآء وُلدك، وإن آنتقص الإناث من عددك، فآلشكر أوجبُ عليك، من آلصبر أن تدعى إليه. إن كان آلله قد سَلَب لمولاي ريحانةً وروضة، فقد وعده في كتابه بشارةً وصلاةً ورحمةً وهداية. قد كُفيت مؤونة، وصُنعت حُرمْة، وسترت عورة، وقدمت إلى الجنَّة بِضعة، وبعثت عَلَى مُقَدّمتك إلى الآخرة شفيعاً ووسيلة، ورجعت إلى شبابك مرحَلَة. فليس بشيخٍ من لا بنت له، ولو كان آبن مائة سنة، وليس

بشابّ من وراءه بنت ولو كان آبن يوم وليلة. طوبى لمن صاهره ألقبر وخطب إليه آلدّهر.

آخر كتاب آلتعازي وما يليق بها، ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الإخوانيات
وما يأخذ مأخذها

ذكر المودة

مَودةٌ سكنت سواءَ آلصَّدر، وحَلَّت سَوادَ آلقلب. مَوَدَّةٌ تلوح عليها غُرر الخلوص، وتبدو فيها آثار الخصوص. مَوَدَّةٌ طالت بها المُدّة، وآستحكم غرسُها، وتمهَّد في القلب أُسُّها. صحيفة وُدٍّ يُمليها عليَّ آلملَوان، وأنطق فيها بلسان الزّمان. مَودةٌ لا يضطرب حبلها، ولا ينحسِر ظِلها. وُدٌّ سليم الصفحة، أملس الجلدة، مشرِقُ السَّحنـة، واضح الجبهة. مودَّةٌ أَدين بها عن خالصة النفس، وأُودعها واسطة آلقلب، وأَجمع عليها نواحي آلصدر، وأحرُسُها عن لواحظ الدهر. قد آتخذنا آلمودة بيننا ديناً وخَلِيقة، ورأيناها بين الناس مجازاً، فأعددناها حقيقة. صَدْرُ الوُدّ سليم، وطريقُ آلعَهد مُستقيم. وُدٌ آنتهى آلصفَّآء إليه وقد بلغ أقصاه، وعهدٌ خَيَّم آلـوفـآءُ عليه فألقى عصاه. قد مَلَكَ مودَّتي عذراء، حين القلب فارغ، وحاز طاعتي بكرا، وظلُّ آلصبي سابغٌ. بيننا مودةٌ تتصل مُدتُها، ولا تنقطع مادَّتُها.

حسن المخالصة

لا أَحولُ عن عَهْدك وإن حالت النُّجوم عن ممارّها، ولا أزول عن وُدّك وإن زالت الجبال عن مَقارها. عهدُك سجير فكري، ووُدك سميرُ ذكري. عهدٌ

كعهده لا يميل، وَوُدٌّ كحاله لا يستحيل. نَفسي وقآء نفسك، كما صَدري وعآء وُدّك، ولساني ناشِرُ فضلك، وضميري وقْفٌ عَلَى عَهدك. بيننا عَصِمٌ لا تُنقَض، وذممٌ لا تُرفَض. الله يعلم أَنَّ مودَّتك شِعارٌ ضميري، وٱلاعتصام بعهدك بُنْيَةُ معتقدي. نلي قلبٌ قريح، حشوُه ودٌ صحيح، وكَبِدٌ دامية، كلُّها محبةٌ نامية.

لطف الحال وتشبهها بالقرابة

حالٌ هي ٱلقُربى أو أخصّ، وٱمتزاج ٱلنُّفوس أو أمسّ. الحالُ بيننا أربت عَلَى المَوَدَّة والحُرمة، وأَرمت عَلَى المشاركة وٱلخُلة، وعُدَّت في شواجر الرّحم وٱللُحمة، ومَزجت ٱلدّم بٱلدم، وٱلمُهجةَ بٱلمُهْجة. المَوَدَّة إذا ٱستمرت قُواها، وٱستَحْصَفَت عُراها، لم تبعُد أن تزيد عَلَى ٱلرَّحم وقُرباها. قُـربي لا كقُربى خالصة الوداد، ولا رَحِمَ أَصدق وأدنى من صدق ٱلنية وٱلاعتقاد، وبيننا من ذلك ما يضمنه ٱلدّوام وٱلتَّأْبيد. وتفتقر إليه القربات والمواليد. رُبَّ طارِفِ مودَةٍ يفوق في الخلوص وٱلصَّفآء، منازل ٱلتَّشابك في القـربى وٱلإخآء. المعرفةُ عند ٱلكرام ذِمة، والمـودة لُحمة. زاد في أمري عَلَى ما يبلغه الأخ وٱبن ٱلعم، والمتناسبون بٱللَّحم وٱلدَّم. صورتُه لدي صورة الأخ، ووُدُّه أَرسخ، ومحله محلُّ ٱلعَمّ، أَو ٱشتراكة أَعمّ.

الاختصاص والاتحاد

محبةٌ لا تتميَّز معها الأرواح، إذا مُيّزَت ٱلأَشباح، ومُخالصةٌ لا تتباينُ بها ٱلنفوس وٱلمهج، وإن تباينت الأشخاص وٱلصُّور. نحنُ كٱلنَّفس الواحدة لا تجزُّؤ ولا ٱنقسام، ولا تميُّز ولا ٱنفصام. النفوس ممتزجة، والأَملاك مُشتركة، وٱلنِعَمُ مُتفاوضة، وذات ٱلبين صافية، ودخائل الصدورُ خالصة. نحن نرتضع لِبان الممازجة، ونأْوي إلى وَلآء المودَّة، ووراثة الإخآء والمشاركة، أَرى به

القمرين، وأعدُّه ظهيراً على آلمَلَوَيْن، ولا أعظم كحق مودَّته حقّا، ولا أرى بين آلنَّفْسين فكيف بين المالين فرقا. أنت جارٍ مني مجرى أبعاض جسمي وأعشار قلبي. أنت جزءٌ من نفسي، وناظم شَمْلَ أُنسي. أنت تحلُ مني محلَّ آلعُضْو من آلجسد، واللِب من الكبد. فلانٌ يَعِزُّ عليَّ، ويكبرُ لدي، ويحُلّ مني مَحَلَّ عَيْنَيَّ ويَديَّ. أنت مني كآلعين الناظرة التي تصان عما يُقذيها، وآليدِ آلباطشة آلتي تُحفظ مما يُدويها. هو شقيق رُوحه، وعديل حياته، وشريك دولته، وقَسيمُ نِعمته. ما زال مُستَوْدع سِري وجهري، ومُشتكى بثي وحُزني. هو مِني بمنزلة الولد، والعُضو من الجسد. قد أحله آلله مني محلاً بعيداً في رفعته، قريباً في أُثْرته.

المنادمة والمؤآنسة

له مدْخَلٌ في آلمُداخلة، يثبت في مواقِف الأُنس قدمهُ. هم إخوان كما آنفرجَ آلمِشط، وندماء كما آنتظم آلسِمط. إذا اعتُقت آلمُنادمة، صارت نسباً دانيا، وكانت رَضاعاً ثانيا. العِشرةُ رَضاعٌ تثبت حُرمتهُ، وآلمودَّةُ لِبان تلزم ذِمَّته. قد تقلَّبنا في أعطاف آلعيش بين آلوقار والطيش، وارتضعنا ثَدْيَ آلعِشرة، إذ آلزمان رقيق آلقشرة. كُلفة آلودّ هينة، وفروضه مُتعينة وأَرض العِشرة لينة، وطريقها بينة. أفضنا في العشرة كيف نضع قواعِدها، والأُخوة كيف نُحكم مقاعدها. فلانٌ يخرج في العِشرة، من القِشرة. أُنسي به أُنس من نشد آلضالة فوجد، وناهـض الأمل فبلغ ما قصد. ألمرء مقَيسٌ بقرينه وسميره، ومحمولٌ عَلَى حُكم جليسه وعشيره. إخوانٌ مُتوافقون، قد تطابقوا في الآرآء، وتآلفُوا في الأَهوآء، وتمالحوا في آلطعام، وتراضعوا بآلمُدام.

التودد والافصاح عن صدق المحبة والموالاة

أنا أَتَّهِم عليك عيني وإن كنتُ لا أَتَّهِم قلبي. وأَرضي لمودَّتك نيتي، وإن كنت لا أَرضى لها طاقتي. أنا ما غبت كالمضل آلناشد، وإذا رجعْتَ فكالغانم

آلواجد. أنا أَوَدُّك بأجزآء قلبي، وأُحبك من سوآء نفسي. لا مرحباً بعيشٍ أتفرد به عنك، ويوم لا أكتحلُ فيه بك، ووددت أن أضرب بحضرتك أطناب عمري، وأنفِق عَلَى خدمتك أيام دهري. لا أزالُ أحنُّ إليك، وأحنو عليك. يا ليت قلبي يتراءى لك، فتقرأ فيه سطور ودي لك، وتقف منها عَلَى رأيي فيك. إني لآسف عَلَى كلّ يومٍ فارغٍ منك، وكلِ لحظةٍ لا تؤنسها برؤيتك. يعِزّ عليّ أن ينوب في خدمتك قلمي، قبل قَدَمي، وخطي، دون خطوي، ويسعَد برؤيتك رسولي، قبل وُصولي، ويردُ مَشْرَعَ آلأُنس بك كتابي، قبل ركابي. أنت من لا يسافر وُدّي إلا إليه، ولا يُرفرِفُ طيرُ محبتي إلا عليه. لو آلتبستُ بك آلتباسا، يجعلُ رأْسينا راسا، ما زِدتك ودّا. ولو حال بيني وبينك سُور الأَعراف ما نقصتك حُبا. قد مِلْت إليك فما أعتدل، ونزلت بك فما أرتحل، ووقفت عليك فما أنتقل، مَسكنك الشَّغاف وحَبَّة آلقلب، وخِلْبُ آلكبِد وسواد العين. أنت سابقُ الإخوان آلبررة، وصاحبُ بيعة الرِضوان والشَّجرة. أنا أتصبح بآسمك، وأتفأل بذكرك، وأحلم بوجهك، وأحتلب ضِرع الشِعّر بذكرك. أنا أُعد نفسي بعض إخوانك في آلعدد، وأفوقهم بآلتودُّد. ما في نفسي بقعةٌ أعمر من محلك، وأنضرُ من مسكنك، ولا في قلبي مكانٌ إلا موشيٌ بذكرك، مُطرزٌ بآسمك. المحبة ثمن لكل شيء وإن غلا، وسُلَّمٌ إلى كل شيء وإن علا. أنا وآلله أجتني قُربك، وأجتوي بُعدك. دُوري، هي دُورك وحلَلُك، ووُكلائي هم وُكلاؤك وخَوَلك. والله ما تُظِلُّ الخضرآء، ولا تُقِلُّ آلغبرآء. عبداً هو أشدُّ مني لك محالفة، وأقلُّ مخالفة. عهدي لك أكرم العهود، ووفائي لك وفآء آلعرق للعود. أسباب آلمَوَدَّة بيننا مَوصولة، وطرقُ آلإخلاص عامرةٌ مأْهولة.

العبودية والخدمة

عَبْدُه حقّا، ومملوكه رِقّا. عبده آلصَّريح، وخادمه آلمُشيح، ووليه

آلنصيح. عبدُه آلذي سبق له رِقُّه، ولا يجوز بيعُه ولا عتقه. ستجدني متصرفاً مع أمرك حتى تقول خادم، وطوعاً ليدك حتى تقول خاتم. هو له المملوك والوكيل آلمكترى، والعبد آلمخلص، وآلخادم المتخصِص. ما أنزع عن عُنُقي رِباق آلرِقّ، ولا أُخرج إلا آتساع آلعِتق (كذا).

المناسبة بالعلم والادب والمذهب

كلمةُ ألأَدَب جمعتنا، ولُحمةُ آلعِلم نظمتنا. قد آشتركنا في العقيدة، وآسْتَهَمْنا في آلسَّريرة. فـأكثر من تراه من إخواني، بنو عَلّات أنا وهو من بني الأعيان الأدب نسبٌ واشج، وآلعلم سببٌ ممازج. الأدبُ أَقربُ آلأَنساب، وآلعِلمُ أَوكد آلأَسباب، الشُّكول أَقارب، وإن تباعدت بهم المناسب. فَرحةُ الاديب بآلاديب، كفرحة المحبّ بآلمحبوب، وآلعليلِ بآلطبيب.

وصف الشوق

الشوقُ إليك سميرُ ذكري، ونديمُ فكري. شوقي إليك زادي في سَفَري، وعَتادي في حضري. شوقٌ لا يُعدى عليه صبر، ولا يستقلُّ به صدْر. شوقٌ يكاد يكون لزاما، ويُعدُّ غراما. ألشوقُ إليك أمامي وورائي، وحشو ثوبي وردائي. شوقٌ جرَح جوانحي، وجنح عَلَى جوانحي. شوقٌ آستخف نفسي وآستفزها، وحرّك جوانحي وهزّها. شوقٌ قد آستنفد جَلَدي، وملك خَلَدي شوقٌ لو أَعلجه الأَعرابي لما صبا إلى رَملٍ عالج، أو كابده الخليُّ لانثنى عَلَى كَبِدٍ ذات حُرق ولواعج. شوقٌ تركني أَرى الصبر حسرة، وآلوجْد يمنةً ويَسْرَة. شوقٌ يتلهب في آلأحشاء قَدحه، ولا يبرح الجوانح برحه. قلبي عَلَى جمرة الغضا يتقلّب، وكجناح آلطير يضطرب. شوقٌ لو خُوف المجرمون بحرّه، وتُوُعِدّ المشركون بجمره. لَما عُبد صنمٌ، ولا نُقلت في الضلال قَدم. شوق يجيل قِداحِه، ويُديمُ آقتداحه. شوقي إليك شوقُ آلروض إلى الغيث

وٱلمَلهوف إلى ٱلغوث.

سوء آثار الفراق والاشتياق وما يتصل بذلك

حالي بعدَك حالُ عودٍ ذَوى بعد ٱرتوائه، ونجمٍ هوى بعد ٱعتلائه. ما حال ذاوي نبتٍ أمسك مطره، وساري ليل غاب قمرهُ. قد تركني فراقك، وأنا أشتاقك، وغادرني بُعْدك، أُقاسي بَعدك. قد تحملتُ مع يسير الفُرقة عظيم ٱلحُرقة، ومع قليل ٱلبُعد، كثير ٱلوَجْد. قد ٱثنيت بجسم ناحل، وبتُّ من صبري عَلَى مراحل. فارقْتني فأَرَّقتني، وفرقّت جمع صبري، وٱستصحبت فريقا من قلبي. فارقتُك وقد تفرَّق عني شملُ أُنسٍ منتظِم، وتمكن مني بَرْحُ شوقٍ مضطرم. فارقتني ففرقت بين الرُّوح والبدن، وتركتني وٱلنزاع في قَرن. ما فارقتُك بعيدا، حتى أُصحبتك من نفسي فريقا، ولا سِرت مِيلاً حتى مال صبري جميعا. فارقتني ففرقّت بين جنبي والمِهاد، وجمعت بين عيني والسُّهاد. من شاهدني شهدت له حيرتي، دون محاوَرَتي بما أُلاقيه، وأخبرته عَبرتي، دُون عِبارتي عما أُعانيه. ما أُعول إلا عَلَى ٱلعويل لو كان يُغني، ولا أستنصر غير الوجد لو كان يُجدي. لولا حَصانة ٱلأَجل، لخرجت رُوحي عَلَى عجل. قد صرتُ حليفَ وَحشةٍ وإن كنت ثاوياً في وطن، وقَرين كُربة وإن كنت بين جيرةٍ وسكن. لا آنس بسُكنى دار عنك بعيدة، تولا أستوطنها وهي منك غيرُ قريبة.

ذكر الوداع

أُودعتني إذ ودّعتني شوقاً يجور حكمُه، وقلقاً ينفُذُ سهمُه. قد ودَّعت بوَدَاعك ٱلعافية، وفارقت مع فِراقك العيشة الراضية، لا أَقول إنه بان مني بينك سيدٌ وعضدٌ وعميدٌ وسَنَد، ولكني اقول ودعت أيام وَداعك دُنياي ٱلتي كنت أستمتع بها، وحياتي التي كنت أنتفع بعوائد ٱلنِعم معها. ودَّعتُ بوداعك

آلدعة، وآلرُّوح وآلسعة. مَلكتني حُرقة تتغلغل بين آللهّاة وآلتراقي، وخنقتني لـوداعـك عَبرة تتحير بين الجفون وآلمآقي.

تذكر ايام اللقاء وصفوها

يا أسفي عَلَى غفلات العيش، ولَحَظات الأُنس. إذ ظهائرنا أسحار، ولياليـنا نهار، وشهورنا أيام، وسنونا قصار. يا أسفي عَلَى رِدآءٍ من آلأيام دقيقٌ ما لبِسناه، حتى خلعناه، وروض من الزّمان مريع، ما حَلَلناه حتى فارقناه. أيامنا وآلدَّهر غافل، والباعُ قاصر، وروض آلتَّلاقي ناضر، حين آلدَّهر غلام، وآلحِلمُ حرام. كانت أيامنا من غُرَر آلعمر، وغرر آلدَّهر. كيف أنسـى تلك اللَّمعة من عُمري، وآلصَّفوَة من شُربي، وهُما غُرَّةٌ في أدهم، وشهابٌ في ليلٍ مظلم. سقى الله أياماً لو كان دَهري عِقداً كانت واسطته، أو كان عمري جيداً لكانت قِلادته. أيامنا وطرف آلبُعد أرمد لا يطرف، ويدُ آلزمان مغلولةٌ لا تَعْسِف. أيامنا، والدّهر كالٌّ آلمِنْسر، لين المكسر لا يسودُ آعتنانه، ولا يجمع عنانه. أيامٌ طابت مشارعها، ولانت أخادعُها. أيامٌ في عود آلنوى خَوَر، وليـالٍ في باع الـدُّجى قصر. أيـامٌ حسنَت فكأنهـا أعـراس، وقصُـرت فكـأنهـا أنفـاس. أيـامٌ مغَمَ ريـاهـا، وطـابَ جنـاهـا، وصفـا نسيمهـا، وخَلص نعيمها، وقد خفض آلدَّهر جناحه لنا، وليَّن الزّمان مهاده بيننا، نأخذُ ما نشآء ونَدَع، ونلعب كيف شئنا ونرتع، أيامنا آلتي حازت أيام الشباب حُسنا ورقـة، وفاتت أعـلام المطارف لِيناً ودقة، التي تخجُـل خـدود الـريـاض، وتفضـح حواشي الحُلل، وساعاتنا آلتي هي أَلطفُ من مُسارقة آلنظر، ومخالسة آلقُبَل.

الادعية الاخوانية

أعادنا آلله للالتقاء فما أرقّ نسيمه، وألذ نعيمه. أسأل آلله أن يَنتَقِم من أيام

آلنزاع، برد أيام الاستمتاع بالاجتماع. جمع الله شَمْلَ سُروري بك، وعَمَّر عمري بآلنظر إليك، وجَعَل باقي عيشي معك، وآلله يُطيلُ مُدَّتَك، ويحْرسُ مَوَدتك، ويَصِلُ جناحي بما ينشره عليك من جناح العِزِّ، ويَمُدّ عَلَى ساحتك من ظلّ آلكفاية وآلوقاية. أغناك آلله عن إخوانك، ولا أغناهم عنك. إن من أباح لي وُدَّك وهو أكرمُ موهوب، قادرٌ عَلَى أن يُيسِر لي قُربك وهو أنفس مطلوب. لا وَكل آلله إلى الزمان ما جمعنا عليه من إخآءٍ ومصادقة وصَفآءٍ ومُخالصة فتبعث بنا أحكامه، وتعيث فينا أيامه. أعاذ آلله سيّدي من آلأسواء، وسقى ربعه غُرر آلأنوآء.

ألفاظ الجواب عن شكوى الشوق

شَكوْت آلشَّوقَ فكأنما عَبَّرْتَ عن قلبي، وقرأْت وصفه من صحيفة وُدي. ذكرت يا مولاي آلشَّوق فهيجتَ ما يُهيجه تغريدُ آلأطيار بالأسحار، والوُقوف بعد آلأحباب عَلَى آلديار. أما ما شكاه مولاي من آلشَّوق وآستطالة سُلطانه، وآلبين وآستطالة زَمانه. فهو عِبارة أحشايَ لو نطَقَت، وتعبيرُ رُؤْياي إذا صدقت. أما ما شكوت من آلشَّوق فأحلف بآلله إنك صادِقٌ فيه، مُستغنٍ عندي عن إقامة شاهده، بما أجدُه من مثله. أما شكوى آلشَّوق فقد شكوت إلى شاك، وتوجَّعت إلى متوجِّع.

اهدآء السلام

أُهدي له آلسَّلام غُصناً طريا، ووورداً جَنِيّا، وأُحمله أَنفاس الشَّمال. فطال ما تردَّدْت بين مُحِبّ ومحبوب، وأَستودعه نسيم الصبا، فنعم آلسفيرُ بين شائقٍ ومشوق. سلامٌ كأنفاس آلأحباب، وأَيام آلشبَّاب. فلانٌ مخصوصٌ بآلسَّلام آلراهن، كما هو مخصوصٌ بآلمحاسن. سلامٌ عليه ملءَ عراصه، وتحية بحسب إخلاصي وإخلاصه. أُخص من السلام بأوفر آلأقسام، وأجزل

آلسِهام، وأستديم آلله مُدَّته بقـاء آلليالي وآلأيام. أخصُّه من آلسلام بما يُضاهي مَحاسنَه كثرةً، وأشكو قلقاً لفراقه وحسرة. سلامٌ كأيامي عنده نضرة، وأياديه عندي كَثرة. أهدي له من السلام عدد محاسنه ومعاليه، وآثاره الحميدة ومساعيه. أُهدي له من السلام مـا يفوت آلعدّ، ولا يقف عند حَدّ. سلامٌ عليه كأخلاقه آلعذاب، ومحاسنه آلرِحّاب.

ذكر العتاب

العِتاب جلآءُ للمودَّة، وصيقَلٌ للأُخوة، يُستثار رَونقها، ويُستخرجُ فِرندهما. بيننا عتاب جحطة، كعتاب لحظة. من مَنافع آلعتاب أنه يُطري خَلَق آلوُد، ويجلو غُبرة آلعَهْد، ويداوي أُدوآء آلقلوب، ويُترجِم عن خَفِيات آلغُيوب. العِتاب حديقةُ المتحـابين. وروضة المتاصفيين. العِتاب نِعم آلـدَّواء إذا عَرَضَ في الود دآء ولكنه إذا لـم يُصادف العِلة، أفْسَدَ آلصِحة، ومُعاتبةُ البَريء وآلسَّليم، كمعالجة آلصَّحيح غير آلسَّقيم.

شكوى الاعراض والجفاء وسوء العهد

قد رُميتُ بسوء إعراضه، ونصبني جفآؤه أقرب أغراضه. صِرْتُ عندك من محا آلنِّسيان صورته من صدرِك، وآسمه من صحيفة حفِظك. أُدرجتني في أثنآء الغَفلة، وطويتني في أدراج الجفوة. نسيتني وما كان من حقي أن أُنسى، وطـويتني في صُحُف إبراهيم وموسى. بعتني بيع آلخَلَق، وليس فيمن زاد، ولكن فيمن نقص. أُظنُّ آلدَّهر قد فطِن لصفائك فكدره، وآهتدى لإخائك فأفسده. قد هجرني هجرةٍ مُرة، وقطعني قطيعة فظيعة. أنت تتذكَّر إخوانك مع أهلَّة آلأعوام، وتظهر لأصدقائك مع ظهور آلإمام. أأُنزلت عليك في آلصدود آية؟ أم رُفِعت لك في النُّبُوّ راية؟. فلانٌ عَلَى قدر علوّ سِنِه، آنخفاض وُده. وبحسب عبالة جسمه، نحافة عهده. قد تركني بدارِ ضياع،

ومَدْرجة آتضاع. أدرجني في أثنآء آلغفلة، كما طُوي ثوبٌ على غَرِه، وأهملني إهمال آلنسي آلذي نُهي عن ذكره، صدَّ صدود آلمخمور عن الخمر، وأعرضَ إعراض آلغواني عن بياض الشعر أراني كلما بَعُدَت صُحبة، رَجَعَت رُتبة، وكلما طالت خدمة، قصُرت حِشمة حرُّ شوقي لا يصبر عَلَى برد جفائك، ورِقَّةُ قلبي لا تُقاوم غِلظة إعراضك. كأن آلزّمان يستملي انواع الجفوة من طبعك، ويستقي أصناف القسوة من بحرك لا أدري هل أشكوك إلى الدَّهرأم أشكوه إليك؟ فإنكما في قطيعة آلصديق رضيعا لبان، وفي استيطآء مركب آلعقوق شريكا عِنان.

سائر ألفاظ العتاب والاستزارة

لايكادُ خيالُك يُغبني نوما، فما لكتابك لا يَسُرني يوما. أنت سخيٌ بمالك عَلَى من يُطالبك. بخيلٌ بكتابك، عَلَى من يُكاتبك. تتوسع في أُلوف فتضايق في حروف. قد طواني مُنْذُ نشرتهُ، وجفاني حين بَرَرته، وترك أن يُطالع بحرف، أو يطيل المودة إلا على حرف. إن لم يكن لنا مطمع، في دركِ دَرّك، فآعفنا من شركٍ شرك. في آلأرض مجالٌ إن ضاقت ظِلالك، وفي آلناس واصلٌ إن رثَّت حبالك. كنتُ أَحسبك تهتز إذ لوَّحْتُ فصرت ترتز وإن صرحت. قد قام بيني وبين أصلك حاجز من فعلك، سيستحيي لك فضلك من فعلك، وكفى بك نائباً عني في عدلك. هنيئاً لك من حِمانا ما تحله، ومن عُرانا ما تَحُلّه ، ومن أعراضنا ما تستحله. أين يا سيدي ذِمار العِشرة، وذِمام آلصُّحبة. أتميل عمّن يميل إليك، وتصرُف وجهك عمن وجهه لك، وتولي عمن قِبلَتُه أنت. هذا آلفنآء خصب المراد ، فما بالي فيه عسر المراد، وتوفر مولاي عَلَى غير مُستزاذ، فما بالي حَصَلْتُ عَلَى غير زاد. ما بالك تبخل علي بآلألِف من خط قلمك، وتجود عَلَى سائليك بآلألف من كرمك، وتناقشني بآلسطر من حوارك، وأنت تسامح الإخوان بشطر يسارك.

وصف العتاب عند الجواب عنه

عتابٌ سمآؤه تمور، ومراجله تفور. تعتابٌ يهزُّ الفوارع، وتقريع يحكي القوارع. قد قرّع سمعي من عذله، ما جاوز خفق آلرّعود، وصكّ قلبي من توبيخه. ما أنسى زئير آلأُسود. وصَلَ كتابك بعتبٍ كآلعضب، وملامٍ كآلحسام. عتابٌ يفلق الحجر، ويقطع الماء آلعد. عتبٌ مقانبه تكر كرة الأقدار، وعذْلٌ كتائبه تصول كآلفلك المُدار، حتام هذا التَّوبيخ وآلتهجين وآلعِتاب الهجين. وصَل كتابك الذي كله عتب وليس ذنب، وعذْلٌ وليس عدل، وتقريع وليس تضجيع، وتأْنيب وليس تثريب، وتظلُّم وليس تألم وشكاية وليست نكاية.

لبس الصديق على علاته والاغضاء عن هناته

قارَبتُه إذا جاذب، وواصلتُه إذا جانب، وشربته عَلَى كدورته، ولَبِسْته عَلَى خشونته، وكاتبته أَستمد ودادَه، وأَستَلين قيادَه، وأَستميل فؤاده. قد تركته بعرّة، وطويته عَلَى غرِّة. جرَرْتُ أَذيال آلتغافل دون فرطته، وسَترتُ بأَجنحة آلتَّجاوُز عَلَى سقطته. أعرتْه أُذُناً صَّماَء وهي سميعة، وعيناً عمياَء وهي بصيرة. سحبتُ عليه ذَيل التغافل، وغضضتُ دُونه طرف آلتساهل.

وصف الغيظ والحرد

اضطرب وآضطرم، وآحتدَّ وآحتدم. جاء بأوداج لا يسَعها آلزران، وعيناه في رأْسه تَذِرَّانه. فلانٌ يتصلّى بنار آلصَّبر ويتصلّب، ويتقلّى عَلَى جمر آلغيظ ويتقلّب. يفور غيظا، ويتميز حقدا، ويتلظى غضبا، ويتزيدُ حَنقًا. غالب غيظَه وهو يغلبه، وكظمه وهو يَشْغله. قد التهبت جمرةُ الغيظ في صدره، ونطقت ترجمةُ آلحِقد عن عينه. يغالبُ نفسه عَلَى الاغضآء، ويتلوّى تلوّي آلحيَّة في الرّمضآء. فلانٌ غضبانٌ حتى ما تنفع فيه حيلة، ولا تُصلحه رُقية، ولا تهزُّه

نادرة، ولا تبسطه مُضحكة. إن أَقبلتُ عليه أعرض عني، وإن حدّثته ازورّ عني، وإن قبّلت في عينيه دفع في صدري.

الاعتذار والاستصفاح والاستعطاف

الكريمُ إذا قَدِر غفر، وإذا أوثق أطلق، وإذا أَسَرَ أَعتق. قد هربت منك إليك، وآستعنت بعفوك عليك، فأَذقني حلاوة رِضاك عني، كما أذقتني مرارة آنتقامك منّي. الحُرُّ كريم الظَّفر. إذا نال أقال، وآللئيم إذا نال استطال. قد هابك من آستتر، ولم يذنب إليك من آعتذر. تكلُّف الاعتذار بلا زَلّة، كتكلّف آلدّوآء بلا علة. لا تُضيِّقنّ عنّي سَعَةَ خُلقك، ولا تكدِرّن عليّ صفوة وُدّك، مَثُل بين يَدَيه، وأذرى مطامع الاستعطاف لدَيه. إذا شاهدت تلك الشمآئل لم تهبَّ بيننا شمال موجدة، ولم يسكب علينا سحاب معتبه. مولاي يوجب الصَّفح عند آلزَّلة، كما يلتزم البذل عند آلخَلَّة. مولاي يولّيني صفحة صفحه، ويولّيني آلعفوَ من عفوه. مالي ذنبٌ يضيق عنه عفوك، ولا جُرم يتجافى عنه تجافيك وصفحك، قد زَلَلتُ وقد يزِل العالم الذي لا أُساويه، وعثرتُ وقد يعثر الجواد الذي لا أُجاريه. ينبغي أن يكتفي فيَّ من آلتأْديب بمالا يتجاوز حَدَّ آلإصلاح وآلتهذيب. العفوُ عن المُجرم من مواجب الكرم، وقبول المعذرة من محاسن آلشّيم. أُعيذ مولاي من أن يَغْلُظ وقد لاطفته، ويقسو وقد آستعطفته.

ذكر العذر الضعيف النافذ

هذا عُذْرٌ إن كنتَ عَوَّلت عليه، وآسترحتَ إليه. فقد قطع بك وقت آلحاجة قطعَك في موقـف المُحاجة. عذرك ما زال ينقبض فأَبسطه، ويَقلق فأُمهده ويتأَخر فأُقدمه، ويعثر فأُنعشه. تلقاني بعُذْرٍ كنار الحباحب، ونسج العناكب. عذرٌ يتعذّر قَبولُه، ويتلاشى محصولـه. عُذرٌ متضائلُ آلشخص، تلوح عليه

سِمَةُ ٱلنَّقص. هذا عُذْرٌ مُنَمَّق، وٱحتجاج مُلَفَّق. كم هذا ٱلتَّعثُّر في أَذيال المعاذير، وٱلتعَلُّق بأَسباب المقادير. مَعاذيرُ تتعثَّر في أَذيالها، وتنْكص عَلَى أعقابها، وتطمسُ وُجوهها عَلَى أدبارها، وترد رؤوسهما إلى أذنابها. عُذر لكنّه لسانُ ٱلزّور، وحاكته يدُ ٱلغرُور. أتاني عُذْرٌ يتعثَّر في ذَيْل ٱلخجل، ويتلقَّع بقِناع ٱلعيّ وٱلوَجَل. عُذرٌ لم يتول الحقُّ نَسجَه، ولم يوضح ٱلصّدق نَهجة.

ذكر قبول المعذرة وزوال الوحشة والموجدة

قد نَزَعَ ٱلله ما كان في صدري من غلّ، وجعلتُ فلاناً ممّا سلف في حِلّ. قد ٱنطفأت تلك ٱلوقدة، وٱنحلَّت تلك ٱلعُقدة، وزال سُكرُ ٱلغيظ، وسكت لسانُ ٱلغضب. كم تابٍ بعطفه أناب، ومزوّر بجانبه تاب. وصَلَ فلانٌ حبلَ ٱلأُخوَّة، ورَمَّ أَسباب المودّة، وطوى بساط الوحشة، وطرى ما كان يَنهج من ثوب ٱلثّقة. قد رأيت بأَن أَطوي بساط الوحشة، واخفض عماد ٱلنَّبْوَة، وأُخرجه وأَخرج معه عن ضيق المناقشة، إلى فُسحة المسامحة، وعن حزونة المعاسرة، إلى سُهُولة المعاشرة. قد زال عتبُنا، وٱنقطع مَلامُنا، وصِرنا إلى ٱلحُسنى ورق كلامِنا. قد ٱنطفأت نارُ عتبه، وسكنت شِقْشقةُ سَبّه. أَما سَورةُ الغضب فقد بَرَدت، وفورة الغيظ فقد خمدت. أما ٱلعُذر فقد تصرفّت منه فيما لو أتى ٱلدَّهر بمثله، لصفح عن صُروفه، وأُمن المحذورُ من مخوفه. لا جَرَم أُنه عفّى معالمَ ٱلجُرم، ولم يُبق من ٱلعتب عَلَى رَسَمٍ ولا اسم.

آخر كتاب الإخوانيات وما يأْخذ مأْخذها، ولله الحمد والمنّة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب السلطانيات

وما يأخذ مأخذها

ذكر الخلفاء

قد خصّه الله بشرف الوِلادة ، وحاز له إِرْثَ النبوّة ، وبوّأه محلّ الخلافة ، وآسترعاه أمرَ آلأُمة. لا دُنيا إلَّا به ومعه، ولا دِينَ إلَّا لمن تولَّاه وآتّبعه. قد آجتباه آلله لوراثة الرّسالة ، وجعل طاعته فرقاً بين الهدى والضلالة، وجعل آيتَـه الكبرى ، ورايته آلعليا، إذ كان راعيَ دِين آلله وإمامَه، ووارِث عِلْمِ رسول آلله ومقَامَه. كافلُ آلأُمةً وراعيها، وسائس اللَّةِ وحاميها. سليل آلُنُبوَّة، وعَقيدُ آلخلافة، وسيدّ آلأَنام، والمستنزل بوجهه دُر الغمام. إن آلله شفعَّ النبـوَّة بآلخـلافة إكمـالاً للرحْمة وآلـرأفة، وقـرن الرسـالة بـآلإمامـة نظراً للخـاصَّة والعامةَّ . قد حاز آلله لمولانا أمير المؤْمنين موارِث آبائه الراشدين الذَّائدين عن حوزته، اللّاحنين بحجُتهَّ، العامرين لبلاده، الرَّاعين لعباده، الآمرين بما أُمر، الناهين عما حُظر. مولانا كَفوُ الملُك، وكافي الخَلْق، ورب السَّرير، ورب التَّدبير.

ذكر السلطان وطيب ثمرة من والاه وسوء مغبة من ناواه

السلطان ظلُّ آلله في أرضه ، والمؤْتَمنْ عَلي حَقْه، وآليـدُ المبسوطةُ عَلَى خَلْقه، يَرْحَم ما وسِعَت الناس النعْمة، ويُعاقب إذا أُصلحتهم النقّمة، عالماً

أنَّ آلله قرن وَعْده بوعيده وثوابَهُ بعقابه مِنحةً سابغة، وحكمةً بالغة. السلطانُ زِمامٌ عَلَى المِلَّة، ونظامٌ للجُملة، وجلاءٌ للغُمَّة، ورباطٌ للبيضة، وعِمادٌ للحوْزَة. من عصى آلسلطان فقد أطاع آلشيْطان. السلطانُ يدافع عن سواد آلأُمة. وبياض الدَّعوة. مَن شايعه حَمِد يومَهُ وغَدَه، ورعى من آلعيش أرغَده، ومن نابذَهُ كان في الأَشقَين مكتوبا، وللغم وآليدَين مكبوبا. ما يلجأُ إليه لاجيءٌ إلَّا سَعِدَ جَدُّه، وورى زندُه، ونفذ حَدُّه، وزاد عَلَى يومه غدهُ، ولا يُفارِق آلاعتصامَ بحبله مفارِقٌ إلَّا حالفه آلخسُران، وعانقه آلخُذْلان، ورَصدَتْ له آلمنُون، ولمحته آلحربُ آلطَّحون.

العدل وحسن السيرة

سطعت مصابيحُ آلعدل وأنوارُه، وطَلَعت شموسُ آلأَمن وأقمارُه. قد أَحيا سنُنَ آلعدل، وأماتَ سِيرَ آلجَورْ فحمى آلديِّن منيع، وجنابُ الملَك مريع. قد بسط لرَعيتِّه فراشَ آلعدْل، وردَّ إليهم رِياشَ آلفضل. قد أَنام الأَنام في ظلّ عدْله، ووَسِعهَم بإحسانه وفضله. رَعيتُّه نيامٌ نوْمَ الأَمنَة، وسُكارى سُكرَ آلثَّرْوَة، ومتكئون عَلَى فراش آلعَدْل وآلنصّفة، في يده خاتمَ عَدلْ، وفي حُكمه صارمُ فصل. نفوسُ آلرَّعيةَّ في ظلال آلسكون وادعة، وفي رياض آلأَمْنِ راتعة. أَقلَعت غمائمُ آلشَّرّ في أيامّه، وآنقطعت سمائم آلظُّلم بأحكامه. برزَبَه آلحقُّ في أَحسن ملابسه، ونَجَمَ آلعدلُ في أزكى مغارِسه. أطلع كوكبَ آلعدل وكان خافياً، فأَوضح مذهبَ آلأَمن وكان عافياً.

حسن السياسة وتصريف أعنة المملكة

قد صرفّهم بين ميعاده، وخشونة إيعاده، وأراهم برِيق حسُامه، مشفوعاً ببروق إنعامه. صرَّفهم عَلَى ما هو لشمل آلدّين أَجمع، ولكلمة الضلال أقمع. مُستقِرٌّ في ذَرْوة عِزّه، مُستقِلٌّ بأَعباء مُلكه. يتصرّف للسياسة بين رِفقٍ من غير

ضُعْف، وخُشونة من غير عُنف، عَلَى بلاد مملكته، من حُسْن سياسته. حَرَسٌ تتبعٌ ٱلمَرقةَ بشهُب ٱلإِردآء وٱلإِتوآء، ورصَدٌ يعقُب الفَسقة برجُوم ٱلإِبادة وٱلإِفنآء. لا يدَعُ ٱلفسَاد يسري، ودآء الضلال يستشري. قد عوّد في ممالكه الحياطَة حتى لا يُحَل حرامُها، ولا يُنفَّذ سوامُها، ولا تُذعْرَ جوانبُها، ولا تدُبَّ عقاربُها. قد بسُط ظِله عَلَى ٱلنهّار حتى لا تشبُّ نوائبه، وعَلَى الليل حتى ما تدُبُّ عقاربُه. رَعاها وهي ثْغرٌ يُراع، وحماها وهي سَرْحٌ يضاع، هو عَلَمٌ في ٱلعلم بٱلسيّاسة، وجامع مصلحة العامة إلى مصلحة الخاصَّة.

يمن النقيبة

قد عَظَّم ٱلله عَلَى ٱلناس ٱلمَنّ، وبسط بمكانه عليهم ٱلإِمن، وعرفّهم بطلعته اليُمن. أولياؤُه منه بين ظلٍ ممدود، ونَجْمٍ مسَعود. قد أَهدى إلى ٱلبلاد أمنْا، وقد خيَّم فيها ٱلذَّعر، وأستحفظ عَلَى ٱلبلاد خيراً، وقد حَومَّ عليها ٱلشرّ. أَيامه تُشرِق إشراقَ ٱلصبح ٱللاَّمع، وآثارُه تضيء إضاءة ٱلقمر ٱلطاّلع. جرى مجرى الغَيثْ إذا عَمّ وطبقَّ، وقرن الشمَّس إذا ذَرّ وأشرق، حلَّ محلّ الغيث عند اللَّذْبة، والغَوْث عند الكُربْة. أَفاض الخَيْر ودواعيهَ، وحسَمَ الشَّر وعواديه.

اتساع المملكة والإستظهار بالرجال وكثرة الأموال

قدأوجدهالله ثروة من الذَّخائر والأَموال، وكثرة من الرَّجال والأبطال، استظهاراً بكلّ ما أَقام من دين الله أوَدا، أَو هاض من عدُوّ جناحاً ويدا. قد ألقْت إليه الدُّنيا أَزمتَّها، وملَّكته ٱلأَرض أَعنتَّها. قد وطَّأَ ٱلله له مِهادَ المُلك، وأعطاه مفاتيحَ ٱلأَرض لانت له أَخادعُ البلاد، صفَت له الدُّنيا بحذافيرها، ودانت له الجيوُش بجماهيرها. قد أَعلى ٱلله كلمتهَ، ورفع حكمته، وأعلى يدَه وجُنْده، وجمع أسبابَ السعَّادة عنده، قد ملكَّه ٱلله أَقطارَ بلاده، ونواصيَ عباده، قد عوَّد ٱلله دولته ثبات ٱلأَركان، وتظاهرَ العِز وٱلسلُّطان، وٱستظهارَ ٱلأَنصار وٱلأَعوان.

بنودٌ مرفوعة بآلنصّر، وجنُودٌ كعدد آلقَطْر وأموالٌ ككثبان آلرّمال، وذخآئر أملاءَ الهممِ وآلآمال.

ذكر الملك المعظم النصر السعيد الجد الميمون الطالع

لانَ لأمره كلُّ مُتَصَعّر، ودانَ لحكمة كلُّ مُتَوَعّر، وآستجاب لإرادته ما آرتاد، وآنضاف إلى مملكته ما آستضاف وآزداد. سعادتُه تستخدم آلأقضية، وتعيُد آلدُّروب أفضية. أفضى به فتحٌ إلى فتح، وقضى آلله بنُجح إلى نُجح، ووزَّع منُابذيه بين أظفار آلدُّهور، وقسم مخُالفيه كأعشار الجَزور. البلادُ تتزاحم عَلَى قَصدْه، وآلفتوح تتسابق إلى يده. صولتُه سيَّان عندها المفاتح وآلمغالق، وآلمندِحُ وآلمضايق. سعادته تَدَع آلدُّروب صحاصح، وتَذَرَ آلبحور ضحاضح. هو من يخدمه آلنصّر وآلنصّل، ويقدمه القضآء وآلفصل. لو رقى إلى آلفلك حتى يتناولَ آلسعَّدْيَن بيديَهْ، ويَطأُ آلنَّحْسيَن بنعَلْيه، لكانت همَّتهُ تَعْدوعدةّ بأزيد من ذلك وأكثر، وأعلى وأفخر. ما يَهُمُّ بـأمرٍ إلاَّ آنفتـح رِتاجُـه، وهان عِلاجه، ولانَ شديده، وقَربُ بعيده. لم تُرَدّ له قطُّ راية، ولا فاتته من مطالبة غاية. مخُاطبُ من تفضلّ آلله بألْسِنة آلظَّفر، موعودٌ في مُناوئيه بتصاريف آلغِيرِ. ما يتعذّر عَلَى أمره معتاص، ولا يكون عن رأْيه مناص. العُز شامِل، وآلتمكين مُتكامِل، وآلعَدُوّ مُذال، والولُّي مدال. قد ساق آلله إليه عظائمَ المناجح والمنائح، وكتب له في صحائف آلنصّر بأقلام آلصفائح. السعاداتُ إلى حضرته تتوالى توالي آلقِطار، وتعمّ كافّة آلعِراص وآلأقطار. الملائكةُ جُنُوده، وآلحادِثاتُ عبيدة. آراؤُه مفاتحُ كلّ فتح، وراياته ضوامنُ كلّ نُجح.

اصلاح المملكة وإحسان الآثار وتطبيب الأخبار فيها

أَخمَد جمَر آلفتِنة، ومحا رسم آلفُرْقة وجمع شمل آلأُلفة. أقام قناةَ آلدّين،

ومَدَّ رِواق ٱلملُك، وبسط باع ٱلعَدْل، وأطال عِنان ٱلإحسان. توفَّر عَلَى الأطراف فحرسهَا، وٱنتدب لآثار ٱلسوء فطمسها. لم يَدعَ للباطل عَلَماً إلاّ وضعه، ولا رُكناً إلاّ ضعضعه. أذكى من نور ٱلحَقّ ما خبا، وأنهض من نَوء ٱلعَدل ما خوي، وحاط من حِمى ٱلخِلافة ما وَهَنَ ووهى، ثقَّف قناة ٱلصَّلاح فلا تنآد، وقطع موادّ الفساد فلا تعتاّد. حقن ٱلدمآء، وساس الدَّهمآء، وأقبل عَلَى مصلحة الكافَة، وبسط المعدلة والرأْفة. كم مُهّمٍ كفاه، ودآء فسادٍ شفاه، وجناحِ ضلالٍ حصَّه، ورائش خبالٍ عمةً بٱلنكال وخصه. قَوَّي كاهلَ الدّين وساعده، ومهَّد أساس ٱلملُك وقواعدَه. قد حصل له من جزيل ٱلأجر، وجميل الذّكر، ما لا تزال الرّواة تدرسه، وٱلتواريخ تحرُسه. رفع ٱلله بمعاليه أعلام ٱلإسلام، ودفع بمساعيه صواعق ٱلأَيام. اجتثَّ أُصولَ الضلالة وفروعَها، وحصد نجومها وزروعها، وأبطل الباطل، وأحقَّ الحقّ، وأحل النَّقْمة بمن فارق العصا وشقّ.

ما يختص من ذلك بالوزراء وأرباب الدولة وأوليائها

سافر رأْيُه وهو دانٍ لم ينزح، وسار تدبيُره وهو ثاوٍ لم يبرح. النجاح مقصورٌ عَلَى تدبيره، والصواب مقرونٌ بإمضائه وتقديره، فما قدَّم فعن عجُز أَمر حدّثه به صدره، وما أُخرّ فلعَزْم حَزْم تحققَّ لديَه قدرُه. ورث ذاك المقام بحكم الإستحقاق الزّائد، لا الاتفّاق المُساعد، والإستئثار بٱلمحامد والمناقب، دون الإيثار بٱلهوى الغالب. سهّل المتعذّر، وذلَّل المتوعرّ، وأنال البعيد، وألان الشديد. هدى إلى إجهاد النفّس في المصالح، ووقفها عَلَى سبيل المَراشد والمناجح، وٱستيفآء الحقّ بأَقصى الإستطاعة، وإعطآءٍ له من غير إضاعة. هو بين صَدْع يُشْعب، وثأي يُرأب، وشَعْتٍ يُلَمُّ، وشتَات يجُمْعَ، وخَرْقٍ يُرقْع، وذمام يؤكدَّ، وعَهْد يُؤيَّد، وثغرٍ يُسَدّ، وعَضُدً يُشَدّ، وعقيرٍ يؤْسى، ومُهْجَةٍ تستحيى، وحُشاشةٍ تُستبقى. هو بين نُصحٍ يُؤْثِرُه، وجميلٍ يُؤْثّره. هو مُدَبّرُ

آلأمر ومقدّره، ومورد الرّأي ومُصْدره ليس قلمه إلاّ أوضحَ من آلسيف غررًا، وأحسنَ من آلذَّب عن آلبيضة أثراً، قَلَمُه ناسج وشْيْ مملكته، وناظمُ عِقْدِ دولته.

ذكر حضرة الملك وساحة السلطان

حضرته موقعُ آلوُفود، ومَطلع آلجود، حضرته ملقى الرِّجال، وقبلةُ آلآمال مَثَابَةُ المجد، وكعبة الملك. محطُّ رَحْلِ آلكرم، وغاية مبلغ الهمم. مَنزِعُ المجد، ومَطِلعُ آلفضل، ومَرْجعُ آلأمل، وموضِعُ آلإحسان، ومَرْبَعُ الملُك، وموقع الرَّجآء قد حطّ بأخصب ربَع، وأقر به من زَرْع وضرع. حضرة ينصبُّ إليها موادّ آلرّغبات، وتُنشد فيها ضَوالّ آلطلّبات. مثابُة الجود، ومَطلُع الوُفود، وموسمُ آلآداب، ومَوْكب آلكتاب. كعبةُ الأمل، وقبلة آلطَّلب، وآلحاكمةُ ببلوغ الأرب، وحُسْن آلمُنقلَب. عرصْه هي حضرة آلعدْل، وساحةُ آلفضل، ومَقَرع آلشكر، ومَصْرَع آلفقر. مجمع آلفضآئل ومعدنها، ومَرْتَعُ المحامد وموطنها. هي كعبةُ المحتاج، إن لم تكن كعبةُ الحجاج، ومشْعَرَ آلكرَم، إنْ لم تكن مشعَر الحرمَ، ومُنى آلضيِّف إن لم تكن مِنَى الخيف وقبلة آلصَلات، إن لم تكن قِبلة آلصَّلاة.

ذكر الوصول اليها والخدمة بتقبيل الأرض واليد

وصَلَ إلى رِواق آلعِزّ، ومستقرّ آلملُك. حلّ برَبعْ مانوس، وملكٍ محروس، وآستقرَّ بساحةٍ خضِرة، وحصل عَلَى عيشةٍ نَضِرة، مثَلُ إزآء آلسَّرير، وأقبل عَلَى آلأرض بآلتقّبيل. فَرَش آلأرض بيدَيْه فرشاً، ونقش آلتراب نقشاً. أَقبل عَلَى أَدآء الفَرْض، بتقبيل الأَرض. لما رأى قِبلة الأَمل، أقبل عَلَى الأَرض بآلقُبَل مسح آلأَرض بتعفيره، ووصل سجودَه بتكفيره، قبل اليد العالية بآلمكارِم، الطاهرة من المآثم. قبلّ من أنامله مفاتيحَ الآفاق،

وينابيعَ الأرزاق. قبلّ اليد التي هي قِبلة القُبَل وكنزُ آلأمل.

ما يقع في هذا الباب

من ذكر العُصاة وآلأعداء ووصف أحوالهم ونعت أفعالهم

البطر وكفران النعمة والضيم والإستيلاء

فلانٌ قد أثرى فبغى، وآستغنى فطغى. أرضته المَوْهبةُ فتسخَّطها، وشملته النِعّمة فغمطها. نعمٌ تَرتْعُ في أكلائها، وتَغْفُلُ عن شكر آلائها. ما زالت آلأيام تكشفَ لنا عن مَساويه، وغلط رأينا فيه، وتدُلّ عَلَى أن الإحسان إليه يفسده بقدر ما يُصلح من النجَّيب، وآلإنعامُ يضرُ فيه بقَدْر ما ينفع في آللبيب. انكشف عنه حُسُ الإصطناع، عن قُبح الإمتناع، وكثَرة البّر، عن قلة الشكر أشرَ حين أنِسَت وَحشتُه، وغدر يوم صفَت عيشته، جحد النّعمة بعد أن رَفعته عن خمولٍ، وغمطَ الصنَّيعة وقد أطلعته عن أفول. غَمطَ النّعِمة التي أوجدته عن عدم، وحَلتَّه عن عَطَل. أساء مجُاورةَ النِعّم فكفرها، وجلَّل صفحة الصنيعة بآلغموط فأنكرها. لبِس ثوبَ الخِذْلان، وجاهر بآلبَغْيِ والعدوان، وقابل النّعمة بآلكفُران. حسب أنّ الغُنم في الكفُران والكنُود، وأنَّ الثعَّالبَ تسطُو في مَرابض الأُسود.

ركوب الهوى وطاعة الأماني الكاذبة والآراء الفاسدة

قد ركب أضاليلَ الهوى، وأباطيل المنُى، وأحاديث النفوس الكواذب، ووَسَاوِسَ الآمال الخوآئب، هيهات ما أضلَّ ذلك من رأيٍ واسواًه من آختيار وأبعدَه من سَدادٍ وصواب، وأخلقه بعائِدةِ وبالٍ ونَكال. يفتلُ في حبل آلمنى غارباً وذُرىَ، ويخبط خبطَ آلعَشوآء سَبْراً وسُرىً. قدرًّ أنَّ مَغْمَزَ رأينا يَلينُ له، وأيديَ آنتصارنا تقصر عنه، فركب راسه، وأطاع وسَواسه. يتمنَّون آلأماني

آلكاذبة، ويظنُّون آلظنون الخائبة. وقد غرَّتـه نفسُه، وكـذّبه أمله وحسُّه. حسب أنه يُزاحمُ لُيُوثَ آلشَّرى، بنعَام القُرى، وآسادَ آلغابة، بأعيار آلعانة. تآمروا بنجوى آلضلالة، وتردَّدوا في كواذب آلآمال. رَعَوْا مَراتعَ آلظنُّون، ولم يَرَوا مَطالِع آلمنَوُن.

المداجاة والمراوغة في تربص الدوائر

قد طالت للدَّولة مُداجاتُه، ودامت لأَوليائها مماراته. يوهم طاعةً يُضمرُ خلافها، ويتربَّص فِتنةً يَستْدَر أخلافهَا. ما زال يُوهُم وِفاقاً، ويُضمر نفاقاً، ويبذُل صِدْق طاعةٍ وولآء، ويُسِرُّ حَسْواً في آرتغآء. قد تحلىّ بموُالاةٍ وموُافقةٍلِبسَهما عَلَى مُداجاةٍ ومنُافقةٍ وتجلبب طاعةَ شاكر طائع، قد أَفاضها على جُثمان خالع. هو يوكيء عَلَى آلغِشّ عيابَه، ويَحْنوُ عَلَى آلنَّكْث ضلوعه وحجابه، ولا يُبدي لنا باديةَ وِفاق، إلاَّ عن خافية نِفاق، ولا يُطلعُ طالعةَ وداد إلاَّ عن خَبيةِ عِناد، ولا يبرُزُ في شيمةٍ من شيمَ آلتقَّرُّب إلى قلوبنا، إلاَّ كانت غِطآءً عَلَى حيلة يَعْملهُا، وغيلة يَرْصُدُ لها، وغشآءً عَلَى فُرْصَة ينتهزُها، وغِرَّة يهتبلها. طاعةٌ تُبدى صفحتها، وإن لم تُخلص صفقتها، يُظهر آلمُعاضدة، ويبُطن المعاندة. هو مُضِبٌّ على النفاق، مُعدٌّ للشقاق. يلقي آلأَوليآء بوجه، وآلأعدآء بقلب، ويكشر لهؤُلاء عن بُغض، ولهؤُلاء عن حبّ. أظهر تسليماً يتخلّله لجاج، وأَبدى آستقامةً يُكدرهّا آعوِجاج.

تسويل الشيطان لمن يقرع باب العصيان

قد نعي آلشيَّطان في آذانهم فآستجابوا لدُعائه، وحسَّن لهم إسخاط سُلطانهم فأَسرعَوا إلى ندائه. أَوسعهم آلشيطان تسويلا، وآستهواهم تغريراً وتضليلا. نفخ آلشيطان في سَحرْه ومناخره، وضرب بآلأَسداد بين أوائل أمره وأَواخره، وحببَّ له آلعِناد حتى شِيطَ بلحمه ودَمِه، وكرَّه إليه الرشاَّد حتى ألقاه ورآء ظهره وتحت قدمه. صافح آلخِذلان فغادره رهينا، وقاَرن آلشيطان وسآء

قرينا. استزَل آلشيطان قدمَهَ، وعرّض دَمَه، وأطال ندَمةَ، نزغ له شيطانه، وآمتدَّت في آلغَيّ أَشطانه، وجَدَ الشيطانُ بينهم منزعاً، ولصائب سهمه فيهم منزعا. عاد آلشيطانُ يُسْدي ويلُحِمُ في إلقاِح آلشحَّناَء، ويُسْرِج ويلجم في إلقآء آلعداوة وآلبَغضآء. طاوَعَ شيطانه إذ أَظله، وزلَّ معه حين آستزله. قد آنخرط في سلك، وأَظهر كلمة آلعِصيان. أبى إلا آمتدادَ عِنانه، في آلانقياد لشيطانه، وآشتدادَ قُواه، في الإستسلام لهواه.

ذكر الغي والبغي والتمرد وسائر ما يتعلق بخلال العصيان

أَقام عَلَى آلغَيّ آلذي هو له مَوضع، وآلبغي آلذي هو فيه مُوضع. حلف عَلَى الموالاة فَحنِث، وعَهِد في المصافـاة فنكثَ، علمتُ حال فلانٍ في حينه وشقائه، وسفاهة عقله ورأْيه ودُخوله في ظلمة آلمَعصية، وخروجه من نور آلطاعة، ورُكوبه آلمركب آلذي لا بُدَّ أن يترجَّل راكبه، بل يتخذَّل فارِسه. فلانٌ قدِ عصى، وشَقّ آلعصا، وخلع ربقة الطاعة، وفارَق ظلّ الجماعة، جُنّ وقلب المجّن. عكف عَلَى آستضلال آلغُواة، وصار مِجَناً دُون آلجنُاة. قد مَدَّ يداً قصيرة، ليتَناوَلَ غايةً بعيدة. فَضَّ ختامَ العافيـة بآلغْدر، وبـدَّد شَمْل الخَبْر بِقّلة آلشكر. قد شرِب كأْس آلجهَالة، وآستوطأَ مَرْكبَ آلضلاله، عادَ زندُ شرهّ قادحا، وفِتي ضرّه قارِحا. قد شَمِلت مَعَرته، وعظمت مضرَّته. راغ عن آلمذهب آلقويم، وزاغَ عن الصّراط آلمُستقيم. أَضله عماه، وزَلَّت به قدماه. تسنَّم وَعْدَ آلخُطَّة آلعظيمة، وركِب ظهر آلفتِنة الجسيمة. طار في ضلاله ووقع، وتاه في غّيه وتسكَّع. آمتطى ظهر الإغتراب، وأَطاع داعي آلَبوار ذهب في آلعِصيان شَرَّ مَذْهَب، وآمتطى من آلطُّغيان أصعَبَ مركب. رشح أَطفال آلضغائن، وأحيـا أُموات آلسخَّائم، وأَدَبَّ عَقارِبَ آلشَّرّ، وأَدَرّ لقاح آلجوْر، وأيقظ نائم آلفتنة، وأَوقد نار آلحرب. قد نَزَت به نوازي البِطنة، وهدرت عَلَى يده شقاشق آلفتنة.

في التعرض للهلاك واستجلاب سوء العاقبة

ذكرتُ حديث ٱلباحث عن مدْيته، الآكل لديته، المُتَبَرمّ بعُمره، المنتهي إلى آخر أمره. تَعَرّض لاحتلاب ٱلبليَّة، وتحكّك بٱجتذاب المنيَّـة. ما هو إلاَّ ٱلفَراشُة دَنَت من ٱلتَّبار، فحامت حول ٱلنار، وٱلنمّلةُ قَرُبَ ٱجتياحها، فنبت جناحُها. قد ثنى إلينا عنقـا أَعْنَقَت إليه ٱلحُتوْف، وأبرقت نحوَه ٱلسيوف. امتطى ظهراً لا ينجو راكبه، ولا يُفضي إلى نُجْحٍ صاحبه. فهو بين هلاكٍ ويُرهِقُه، وأَشراكٍ توثِقُه وتوبقُه، يستعين بٱلأعناق ٱلمُنتصبة، عَلَى ٱلسَّيوف الملتهبـة. مَثَله في مخالفته طرائق الحزماء، وخلائق ٱلحُصفَآء، مثل ٱلفراش المتهافت في الشّهاب، وٱلنَّقَد المتهجم على ليوث الغاب. قد خاطر بٱلنَّفْس، وتصَّرف مع ٱلنَّحْس. تهافت ٱلبَقّ في ٱلشهّاب، وولوغ ٱلذُّباب في ٱلشَّراب. يتردَّدون في مرابض ٱلضَّراغم، ومكامن ٱلأراقم. تردُّدَ القانص في مرَاتع ٱلغِزْلان، ومَسارح ٱلظلمان. لا ينهاهم عن جيشنا زئيرُ أُسوده، ولا يَصدّهم عن حمِانا دَبيب سوده، ما هو إلاَّ دَريئة ٱلرّماح، وعرضةِ الحَيْن المتاح فَعَل فعِلْ ٱلباحث عن مُديته، ٱلمتعُجّل إلى ٱنقطاع مُدتَّه، وطار في رأْسه. ما أَظنهّ يطيُره عن جَسَده، ويقتطعه ليومه بٱلجهل عن غده. أَعماه غَلَيانُ دَمه، عن موقع قدَمه، وأغشاه ٱشتياق الَحتف إلى قبضه، عن شمس أَرضه، لم يدْرِ أن عريسة ٱلأسد، ليست من مَراسم النَّقد. هم أغمارٌ تناهت بهم الأَعمار. هو أوَّل جانٍ عَلَى نفسه بيده، ومتعرضٌ لهلاكه بجهده. فلانٌ قد قَرَعَ بابَ ٱلبلآء، ووطيء ذَنَبَ الحيَّة ٱلصَّمآء، ونطح برأْسه الجبل، وٱستبطأ الأجل، وطرد ٱلعافية عن داره، وأنزل ٱلنَّحس في جواره، وٱستهدف لسهام الحيف، ومشى عَلَى حدّ السيف.

في ذكر الظلم وسوء آثارهم على العباد والبلاد

ظلمٌ صريح، وجَوْرٌ فسيح، وٱعتدآء قبيح. ظلمٌ تراكمت مظالمه وظُلَمه

وآتصلت غمائمه وغُمَمُه. قد ملكته الهَزّة للظلم، وأخذته العَزَّة بآلإثم. بَسَط يده في المظالم يحَتْقبها، وآلمحارِم يرتكبها، وإذا رأيت ثَمَّ أملاكاً مغصوبةً ومنهوبة، ورعايا مأكولةً ومشروبة، وضرائب ضَرَبَت آلأموال بآلتمحيق، والبضائع بالتمزيق. تلك البلاد تلتهب بجمرات ظلمه، وتُنتهب ببدرات غشمه. فآلحُرَم منتهكَة، والرَّعية محتَنكة. رَعيةٌ مدفوعون إلى فقد الرِّياش، وضيق المعاش. قد أداَّهم الغلاَء إلى والبلآء، والبلآء إلى الجَلآء وآلإضاقة، إلى الفاقة، وصارت الخَصاصة فوضى بين العامَّة وآلخاصةَّ، أُمرآؤهم عجزةٌ قُعَدة، وكُتاَّبُهم خونة مَرَقة، فآلأعراضُ بينهم منهوكة، وآلأستارُ مهتوكة. وآلدّماء مسفوكة، وآلأموالُ مُجتاحة، وآلديَّارُ مُستباحة، وآلحُرُّ بآلعَرآء منَبوذ، وآلوَغدُ مُكْرَمٌ مَصفود. أُولئك قومٌ رضيعهُم قد غُذي بآلعُدوْان حتى دَبّ، وصبيّهُم رُبيَّ بآلطغُّيان حتى شب، وشابهُّم قد تدرّب بآلظلم وآلفُسوق حتى شاب، وشيخهم قد أضب عَلَى آلإثم وآلفسُوق حتى آفترَش آلترُّاب. بلادٌ معالم آلحَقّ فيها دُرست، وألْسِنَة آلعَدْل بينها خَرِست، ورِياحُ آلقتل والنهب هبَّت فلا تركد، وأشخاصُ آلظُّلمْ وآلإثم مَثُلَت فلا تقعد. جعلوا يُغيرون ويُبيرون، ويُثيرون من آلفتِنة ما يُثيرون. لا عن آلدمآء كفُّوا، ولا عن آلفُروج عَفُّوا. ما آلذّئبُ في آلغَنَم بآلقياس إليه إلاَّ من آلصالحين، ولا آلسُّوس في آلصُّوف في آلصيَّف عنده إلاَّ بعض آلمحسنين، ولا آلحَجَّاج في أهل آلعراق معه إلاَّ أوَّل آلعادلين، ولا فِرعون في بني إسرآئيل إذا قابلته به إلاَّ من آلملائكة آلمُقَرَّبين. ما ترك لرعيَّته فضةً إلاَّ فضهَّا، ولا ذهباً إلاَّ ذهب به، ولا عِلقاً إلاَّ آعتلقه، ولا عَقاراً إلاَّ عَقَرَه، ولا ضَيْعَةً إلاَّ أضاعها، ولا غَلَّةً إلاَّ غلَّها، ولا مالاً إلاَّ مال عليه، ولا عَرَضاً إلاَّ تعرَّض له، ولا حالاً إلاَّ حال عليها، ولا ماشيةً إلاَّ آمتشهَّا، ولا فرساً إلاَّ آفترسه، ولا سَبَداً إلاَّ آستبدَّ به، ولا بِزّة إلاَّ بزهَّا، ولا خِلعة إلاَّ خلعها، ولا جليلاً إلاَّ اجتله، ولا دَقيقاً إلاَّ دَقَّه.

ذكر الهرج وكثرة الفتنة

رَفَعَت الفتن أجيادها، وجمَعَت للشَّر أجنادها، وأَطالت سواعدَها، وأَعْلَت قواعدها، وآل ناجمها قادِحاً، وعاد جَذَعُها قارحاً. نيرانُ ٱلفتنة تشتعلُ آشتعالاً، وراياتُ الهرج تخفقُ يَميناً وشِمالاً. في كل دارٍ صَرخْة، وفي كلِّ دَربْ نَعْرة، وفي كلّ زاوية ظالمٌ لا يُنْصف، ومظلومٌ لا ينتَصِف. فٱلنهارُ ليلٌ بٱلدُّخان، وٱلليلُ نهارٌ بٱلنيّران، ولم يَبْق من رُسوم ٱلإسلام غيرُ شهادة ٱلإيمان وإقامة ٱلأذان. كم فشا فيهم من قَتْل ذريع، وضَرّ وجيع، وهرَب وجَلآء، وضَنْكٍ وبلآء، ونارٍ مضُطرمة، وفِتنةٍ مُحْتدِمة. كانوا كٱلغَنَم السارحة ٱلتي لا راعي لها، وٱلإبل ٱلسائمة ٱلتي لا سائق معها. ٱلمملكة شاغرة، وأَفواهُ ٱلفِتَن فاغرة. قد شهَرَوا سيوفَ ٱلفِتنة، وشَبُّوا ضِرامَ ٱلخِلاف وٱلفُرقْة. قد كشفَتَ ٱلفتِنة قِناعَها، وخلَعَت عِذارَها، فتحوَّلت الرؤُوس أذناباً، وٱلعبيدُ أَربابا، وٱلغَنَم ذِئابا. أَصبحَت تلك ٱلبلادُ وهي قَناً تشظّى، ونارٌ تلظى، وناسٌ يأْكل بعضهم بعضاً. نعَرت الفِتنة، ووقعت ٱلعَثرة، وماجَ ٱلأمر، وجَمَحَ ٱلدَّهر، وٱنخرط سلِك ٱلأَمَنَة، وشالتْ نَعامَةُ السلامة، وٱنقطع شِريْانُ ٱلسّياسة، وتمزّق ثَوب المعيشة، وقامت سوقُ ٱلدّعارة، وٱنجرَّ ذَيُل السَّرقة. نواحٍ معَالَمُ ٱلدّين فيها مُضاعة، ودواعي ٱلشيَّطان بها مُطاعة، أَدَّى ذلك إِلى هْيج الرِّعاع ، وتحزُّب الأَشياع، وتأمُّر الأَذناب وٱلأَتباع. البلدَةُ نيرانٌ تضطرِمُ، وجمراتٌ تحتدِم بين فتنةٍ ثائرة، وٱضطراب نائرة، وأهلُها سوام بلا رُعاة، وجُنْدٌ بلا حُماة. فلانٌ ناتج تلك ٱلإحَن ومؤثرها، ومُوقد تلك ٱلفِتن ومورثها. كم من فتنة شبهَّا، وغارة شنهَّا. قد ألهب ٱلفتنة وأثقب جمرها، وأرثَّ نارَها، وتولَّى كِبرْهَا. هو ٱلذي هاج تلك ٱلفِتَن وأباحها، وأَثار تلك ٱلإحَن وصار لَقاحَها. كاد ٱلإسلامُ يضعَفُ رُكنه، وٱلشّرك يصدُق ظنهُّ.

التحذير والأنذار والأهابة إلى الرشاد

رأى مولانا أن يأْخذَ بسنَّة الإعذار، ويحذّر عاقبة آلإصرار، ويُقَدِّمَ كلمة آلاستظهار، ويُلقي إليهم آلإنذار، قبل آلإنكار. مَن آنقاذ لحُكمه، ووقف عند رسمه، فقد حمى رُوحهَ ومالَه وأهلَه وحالَه، ومن أضرم في آلفتنة ناراً، ورفَع لها مَناراً، فقد أباحَ من نفسه المحذُور، ومن مُلكه الحُجرْ المحجور، ولحقه ما يتركه سُمعةً رادعةً، ومُثْلةً وازعة. من تعدىً طَورَه، وتخطّى قدرَه، فلا آنقباض بعد توقيفه، عن تثقيفه، وبعد آلإعذار إليه، من آلإنكار عليه، لا يأْلوهم نُصحا، قد آعترضتهم سِنَة آلغفلة دون تمثله، ولا يَزْجرُهم وعظْاً، قد خامرتهم سَكرةُ آلغِرّة قبل تقبلّه. قد قدّم آلنُّذُر، ونَبَذَ آلعُذْر، زمَجرةَ اللَّيل قبل آلإفتراس، ونضَنْضَة آلصَّل قبل آلانتْهاس، وإنباض آلنأَّبل للنذَّير، وإيماضَ السائق للتحّذير أبصروا رُشدْكَم، وآعرِفوا قَصدكم، قبل أن يَنتْقِلَ معكم عن إنفاذ آلكتبُ إلى تسريب آلكتائب، وعن توجيه آلرُّسل إلى إرسال المقانب. إن جعَلْتَ المراوغة حِجاباً، وأصدَرْتَ بألمدافعةِ جواباً، أبدلناك آلحسُام، من آلأقلام، وآلأفواج، من آلأدراج، ولم نرْض بغير الرِّماح رُسلاً تختلف، ولا بغير آلسهَّام وسائط تتردِدَّ.

في العمى عن الرشاد والصمم عن المواعظ والإصرار على الضلالة

قد نكب عن وجه آلرشَّاد عَلَى عين بصيرته بآلأسداد. صمّ عن آلنذير، وقد أسمعه ووعظه، وأتى عَلَى آلنَّصيح وقد حذَّره وذكرَّه، أَبي له ضُعْف آلعَقل والنحَّيزة، ولؤُمُ آلطَّبع وآلغريزة إلاَّ إصراراً عَلَى طيشه وسفهه، وآستمراراً في غَيْهِ وعمهه حتى كأنَّ الوَعظ أغراه، والرَّشادَ أغواه. فلانٌ جامح لا يَرْجع، ومُضِب لا يَنزع، ومُضُّر لا يُقلع، أَخذَت العِزَّةُ بسمعه وبَصَره، وآقتطعته الحيرة عن تَدَبرّه وتبصّره. يلقى آلوَصيَّةَ بآلاطرّاح، ويدفع الطاعة بـآلرَّاح.

توقظه آلعِبَر فلا يستيقظ، وتعظه آلآيات وآلنُذُر فلا يتَّعظ. هو مَن لا تكُفُّ آلمَوْعظةَ غربَ جهالته، ولا تفلّ آلنصَّيحة حَدَّ ضلالته. يُصغي إِلى آلرّشاد بمسمَعٍ أصمّ، ويَعْطُس في العِناد بأَنفٍ أشمّ. قد غطى آلخِذلان عَلَى سَمعه وعينه، وحال بين قلبه وصْدره، وملك عليه الشيَّطان مَسارب عَزْمه، ومَساري فكره. قد تحوّلته بآلموعظة هادياً من حَيرْته، ومُسْتَشِلْياً من غِمْرَته، فناداغه الخِذْلانُ بأن صِممّ فأَصرّ، قال له الشيَّطانُ تمّم فآستمرّ. كأَني أَغريتهُ، فناداه حين نهيته، وأغَويته حين هدَيته، وأعميته حين بصّرته، وخذَلته حين نصرته. أُولئك قومٌ قد أخذ آلله بأَسماعهم وأَبصارهم، وقرن الخِذْلانَ بأَعوانهم وأنصارهم. جهالةٌ عَمُوا بها عمياَء، وغِشاوة مدت عَلَى دهمائهم دَهماَء.

ابراز صفحة المنابذة

أبرز صفحة المكاشفة، وكشف قِناع آلمخالفة، وسار عَلَى مَدارِج الغُرور، وأثارَ كوامن الثّبور. ما ظننتُ الجهل يستمُّر كلَّ هذا آلاستمرار، حتى يستوفيَ كتابَ الخِذْلان، ويَستغِرقَ صحيفة الإِدبار. قد مَتَك حجابَ نفاقه، وأظهر مكنونَ شقاقه، فآنحرف وخالفَ، وجاهر وكاشف، وأظهر مكنون سرّه، وأبدي كـامِنَ شرهّ، وأَقـدمَ عَلَى العُظمى، وصـرّح بجحد النعّمى. كشف قِنـاع الحِشمة، وخَرَق حجابَ الهيبة. بارَزَ سُلطانه بآلمحادَّة، وجاهره بآلمضادَّة، مُستبِدلاً بعزّ تذَلّله، ذِلّ تعزُّزه عليه، ومُعتاضاً من أَمنَة سَعيْه في رِضاه، خيفةَ مخُالفته إياه.

استيجاب التكبر والمعاقبة

أَما الكبائرُ التي تُحكي عنه فآلواحدةُ منها ترفع رُخصةَ الحُكمْ، وتُبْدي الهُجْنة في الصَّفحْ. قد جرتْ منه هَناتٌ آقتضت أَن تُعَرّف قَدْره، وتلقي بما يُشجي صَدرْه. قد أَوجب مُرُوقُه من الطاعة، وفسوقه بغاية الإستِطاعة، إن تُرتجع عواري النّعِم من يديه، وتفاضَ ملابسُ النّقِم عليه. لا يُغني فيه

التوّقيف دُون التّثقيف والتعّليم، دون التقّويم، وآلإعذار والإنذار دون آلإيقاع وآلإيجاع. هو بعرض إنكار يُسيل دُموعه، ويُقيمُ ضلوعه. قد أستحق أن يُحَمَّل أثقال المعاقبة، ويُعَرفَّ آيات سوء العاقبة. أنزله منزلة مثله ممن أساء حِفظَ الوَديعة، وجِوار الصَّنيعة، فآستوجب نزعَهما منه، وتحويلَهما عنه. ضاق به كنفُ العفْو، وحقّت عليه كلمةُ الطَّو. قد آسوَدّت صحيفته، وأُغلِق بابُ التوْبة دُونه، وحيل بين العَفْو وبينه. عَثراتُه محظورةٌ على الإقالة وهَناتُه تجني له ثمر الضَّلالة.

الأبراق والأرعاد

سيعلم آلمخذول كيف يُرمي بحجره، وتشبعُ آلُوحوش من جيفته ونفره، آلأهب لاستيصاله مأْخوذة، وآلسيوفُ لقتاله مَشحوذة. سيبلُغُ في بابه ما يتأدبّ به كلُّ جامح في عِنانه، وطامح إلى ما ليس من شأْنه. ستراهُ وليست له عينُى طارِفة، ولا جثّة واقفة لأكشفنَّه لكلّ ليلٍ بارِد، ونهارٍ واقد. سينزِلُ بأُولئك آلأغمار قاطعات آلأعمار. إما ذلّ وآستكان، وإما هُلْك فقتل قد كان. قد تكون للباطل جَوْلة، وللفَساد مُهلة. ثمَّ تأْتي من آلإنتقام وآلإصطلام، ما يسقط الهام عَلَى آلأقدام. أما فلانٌ فسيُراق على آلضَّلال دَمه، وتتطايرُ عَلَى الجذُوع رِممه. لم يدْرِ أنَّ آلعزيمة من مولانا تترُك أمثاله مثلا، وتجعله لأهل آلشقّاق مثلا. أما عَلِمَ أنّ مولانا إذا رَماه بشُعبةٍ من أفكاره ومَسَّه بجذوةٍ من ناره. عاد حرصه ندما، وصار وُجودُه عدما، وغودِرَ أشياعُه بددا، بل طرائق قِدَاد. أتدروُن ويَحْكم في أي حتفٍ تورطّتم، وأيَّ شَرّ تأبطتم. إماً فَطْمكم عن رَضاع آلحَيفْ، وإما حسمكم بغرار آلسيف، تمثّل هذه المقانب، وتصّور هذه آلكتائب، وأخطر ببالك قلبها، فإنَّ قلبك يدُلُّ عَلَى حالك، ومَيمنَتها فإنَّ يَمينك تتقاصَرُ عن شِمالِك؛ ومَيْسرتَها فإنَّ آليُسرى تتراجع عن أُمورك، وجناحها فإنك تجنح عن كافّة شؤُونك.

احتشاد العدو

حَشَر وحَشَد، وآستمَّد واستنجد وآستعَدّ، كاشَفَ وبادى، وحشَرَ فنادى، حَشَدَ وحشَرَ، وضمَّ ونَشَر، وجمع أَطرافه، وأَلفَّ ألفافَه. قد آستنفذوا قوُاهم في تكثير آلعَددَ، وتوفير آلعُدَد، وتقديمِ آلمرَاصد، وتوكيد آلمكائد. جمعوا شوْكَهم وشَجَرَهم، وجَرُّوا مدرَهم ووبرهم، وآستنفذوا قُواهم وقدرهم. نفضت تلك آلبلاد أَحرارَها وعبيدَها، وأخرجت عُدَّتها وعديدها. رَمَتْ تلك آلبلدة بأَفلاذ كَبِدِها، وأَخرجت أرضُها أثقالَها من عَديدها وعُددَها. أسالت تلك آلبلاد سَيْلَها، وجمعت من أَسلحتها نهارها، ومن سوادها ليلها.

ذم جيش العدو

زحق إليه بما آحتطبَ في ليله، وقمش من غُثآء سيله. نهض بمن جمع من فَراش آلنَّار، وأوباش آلأَمصار. اغتَّر بما آجتمع إليه من فلّ آلخُيول، وغثآء آلسيول، ورذَايا آلمَلاحم، وبقايا آلصّوارِم. تنابحت إليه كلابُ آلغارة آلشعوآء، وتعاوَتْ لدَيه ذئابُ آلصَّيلم آلصَّمآء. خرج بمن لَفَّ لَفَّه، وصافح عَلَى آلضلال كفةً من أشياع آلغَواية، وأتباعِ آلغَواية. جمع مَن جمع من فراش آلنار، وخشِاش آلبوار. أُولئك آلكلابُ آلغاوِية، وآلذّئابُ آلعاوية. عُصبةُ آلضلال وعَصَبة آلخَبال. تلك آلعصبةُ آلمعصوبة بآلثّياب، المغصوبةُ عَلَى آلأَلباب. كلّ من معه من أصناف آلأَتباع، وآلعومِّ آلرَّعاع. مَن لا يقيُم له وَزْناً، ولا يتمثَّل له أمراً، وإنما نصبوه سُلمًّا لهم إلى آلأموال آلمستهلكة، وآلمآكل الموبئة، وآلموَارِد آلمُرْديَة.

استهانة الأعداء واستحقارهم والتفاؤل عليهم

سحائب صيفٍ عن قليلٍ تَقَشَّع، وعُروقُ باطلٍ لا تمهل أو تُقطع. لا تهولنّك كَثرةُ آلأرْجاس فإنهَّم أزوادُ آلضّباع، وآكالُ آلسّباع، ومشارِع

آلسُّيوف، ومَراتعُ آلحتُوف. ما هي إلَّا صَيْحةٌ واحدة، وَزَجرةٌ راصدة، حتى تَراهم كأن لم يَغْنَوا في دِيارهم، ولم يُسْمعَ بأخبارهم. هو غرَضُ آلجوائح، وهَدَف آلخَواطِف، وأتباعه رِجْل جَرادٍ في ريح يومٍ عاصف. أقبل في شرْذِمةٍ هي لجيوش آلسلطان بمنزلة آلبغُاث للجوارح آلتي تعتدُّها لُحمة، وتتخَّذُها طُعْمة. هم فرائسُ آلحِمام، وأهدافُ السهّام. ما منهُم إلَّا جرادُ مجرود، وقنصٌ مَصيدٌ أو مطرود، المتالف لهم راصدة، وإليهم قاصدة. ما منهم إلَّا نُهزة آلطالب، وفرصُة آلغالب، وطعمةُ آلآكل، وجُرْعة آلشَّارب. جآء في أَقلّ لُمَّة، وأَضعف شِرذِمة. ونوازلُ آلغِيَر بهم مُحْدِقة، وسهامُ آلنّقِمَ لهم مفوقّة.

قرب العدو من الهلاك

هو مُحاطٌ به وكآلمأْخوذ بناصيته. قد أَذن آلله في قطع أُكُله، وأدناه من حاضر أَجله. ما هو إلَّا فُرْصةُ آليوم أو غد، وآلهُلْك واقفٌ له بكلّ مَرْصَد. قد رَصَده ضوء آلصباح وظلامُ آلليلِّ. لتجنَّه أرحام آلأَرض، أو ينشر مَن بطون آلسباع. وآلطَّير قد حُصَّ جناحُه، ودنا آجتياحهُ. ما هو إلَّا صَفاةٌ آن قَرْعها بل قلعُها، وقَناة قذ حان صَدعها بل قطعها. دَعائمه مخفوضة، ومرائرُه مَنقوضة. وآللعْنةُ به مَعصوبة، وآلهَلَكةُ عليه مكتوبة. قدِ آحتفَّت به آلنَّوائب تَصرُف أنيابَها، وصَمَدَت له آلحوادثُ تفتح أبوابها، وأنْحَتْ عيه الخُطوب تخطُب بحتفه، ولُزَّت به آلصّروف تأْخذه من بين يدَيهْ ومن خلفه.

فيمن يسعى بقدمه إلى مراق دمه

قد طار بجناحه، إلى مواضع آجتياحه. يمشي إلى حتفه بأَخمصيه، ويبحث عن مُديْته بيدَيهْ. تحفزُه إلى مَصْرَعه آلأَضاليل، وتُعجله إلى مَهْلِكه آلأَباطيل. استخفَّهُم آلحَيْن آلمُتاح، وآستحثَّهُم آلقَدَرُ آلمُجتاح. جَدَّ بهمُ

آستعجالُ آلآجال، وتصوَّرت لهم آلمَنايا في صُورَ آلأَماني وآلآمال. سارُوا وآجالهُم تفسَح لهم في مطامعهم، ومناياهم تَحُثُّ مَطاياهم إلى مصَارعهم. أقدموا راكبين للغَرَر، مُستسلِمين للغَير. تجذبهم كواذبُ آلأَطماع بمَقاوِد نفوسهم، إلى مقَاطع رؤوسهم، وتسوقُهُم بأزمة معَاطسهم، إلى مَظانّ متَاعِسهم. نقلهم آلله بأقدامهم، إلى مصَارع حِمامهم. توجهَّت تلك آلعساكر المخذولة يسوقها راهن ضلالها، إلى انتهاء آجالها، ويقودُها حاضرُ دَمارِها، إلى آنقضآء أعمارها.

ذكر انخزال الأعداء ووهلهم واستيلاء الرعب عليهم قبل المحاربة

نُصِرنا بآلرُّعب عليهم، حتى أصبحت آلمهَابةُ سُيُوفاً خَواطَر في قُلوبهم، وراحَت المخافة رِماحاً خوَاطِف لنفوسهم، ملكه ذُعرٌ أراه دوُرَة مُنْتسَفَة، وجيُوُشهَ مُخْتَطَفة، وبلادَه مُمْتَلَكة، ومعَاقَلة مُنَتهكة. أحواله قد تدَاعت، ونفُوسُ أصحابه قدِ آرتاعت، تمثَّل له آلأجَل، فملكه آلوَجَل، وآستطاره آلوَهَل، فلن يطولَ به آلمَهل. ناوَشوا بقلوبٍ غَمَرَها آلَوجَل، وأَيْدٍ قد أَضعفها آلوَهل. فآلسوَّاعِدُ غيرُ مُساعِدَة، وآلأعضادُ غيرُ معُاضِدة. أخَذَت مبَانيهم تَتَنَقّض، ودَعائمهم تَتَقَوَّص، وزِنادُهم تَصلِْد، ورياحُهُم تركُد. فلم يَطْو مولانا إليهم منزلاً إلاَّ تضاعفوا ضعفاً وتخلخلاً، ولم يدْنُ منهُم مَنْهَلاً إلاَّ آزدادوا وَهْناً وتَزلزُلاً. لا يُمرِوُّن حبلاً إلاَّ أُوثِقوُابقوُاه، وخنقِوا بعُراه، ولا يُلهِبون ناراً إلاَّ عُوجلوا بَضرَرِها، وأُبيدُوا بشَررَها. سآء صباحُهم، وقَرُب آجتياحُهم، وتطايَرَتْ فَرَقاً أرواحُهم. أُشْعِرَتْ نفوسهُم آلتَّلاقي، فبلغتَ آلتراقي، عَلِموا أَنَّ آلقِراع لا يُثمِر إلاَّ قَرْعَ صَفَاتِهم، وآلنزاعَ لا يُنتجُ إلاَّ نزعَ شباتهم. استبَدلوا بآلتطَّاوُل تضاؤُلا، وبآلتَّجُلد تباعدا، ورأوا الأَنوارَ ظُلمَا، وآلأَشخاص بُهمَا، وآلآكام رجالا، وآلجبالَ خَيْلاً عجالا. لما رَأوُا الرَّاياتِ آلمنصورَةَ تخُفِقُ خَفقت عليها قلوبُها، وتمثَّل لها أن قد وجبت جُنُوبُها. انزعج من مكانه بقلبٌ هَلُوع،

ورُوعٍ مَروع. أحسَّ قُرْبَ ٱلمَوْت وضيق ٱلعيش، وضعْف ٱلجأْش وٱضطراب الجيش. تقدمُهم ٱلأخبار وهم يتأَخرَّون، كأَنما يُساقون إلى ٱلمَوْتِ وهم ينظرون.

مسير الملك في جيوشه والتفؤل له

سار مولانا وٱلسمآء تحسُدُ الأَرضَ لسيَرْه، وٱلنجُّوم تَوّد لو جَرَت مع سنَابِك خَيلْه. أَقْبَل مَسْعودَ ٱلكواكب، مَنْصوَر المواكب. سار تُخْرج معه الأَرض أثقالَها، وتُسَيّر الغَبرآء جبالها. نهض مولانا والأَرض سائرةٌ بمسيره، والأَقدارُ صائرة إلى تدبيره. نهض وٱلسعُود تُواكبه،والمناجحُ تُصاحبه، ومعونُة الله تقدُمه، وصوائب ٱلعزمات تخدمه. جللَّ مولانا هذا ٱلخطبَ عِظَمَ حركته، وغشَّاه كِبرَ مسَيره عن دار مملكته. فكادت ٱلسمآء تميد إعظاماً لنهوضه، والأرض تسيرُ مع خيوله. نهض مُجرّداً عَزْمه لقَصدهم، ومُحْصِداً رأْيه في حصدهم. ركب في أَنصار حقّه، وأعوان ملكه، فكادَت الأَرضُ تَرْجُف، والجبالُ تَزْحَف، والأَفلاك تَقِف، وٱلكواكبُ تكف. سارَبأَسعد ٱلطَّوالع وٱلفواتح، وأحمَدِ الميَامِن والمنَاجح، بجيوشه ٱلتي لا تحصُرهُا الأعداد، ولا يقُاسُ بها الأجناد، فحُسبت الأَرض تَرْحل برَحيلها، وتسيرُ مع حوافر خيولها. سار مولانا في جيوشه فَخُيلّت الأرض مائجة، وٱلبحارُ هائجة، والنجوم مُنكدرةَ، وٱلسمآء مُنفطرة، خرَجَ والمناجح تَطرُقُ بين يدَيهْ، والمَيامنُ تسير حَوالَيه، وآيات ٱلظفَّر تُقْرَأُ من ذَوآئب أعلامه وبنوده، وراياتُ ٱلنَّصر تَخْفُق عَلَى مَراكبه وجنوده. أقبل والإقبالُ حاجبه، وٱلنَّصْرُ صاحبه، وٱلصنع مُصاحُبه، وٱلظَّفَر يقدُم أعلامه، وٱلقدر يَخْدُم أيامه. نهض وٱلسيّول تقصُر عن دَهمآء جيوشه وجنوده، وٱلنجوُم تغمض عن ضيآء ألويته وبنوده، وٱلنجح يُقْرأ من نواصي خيله، والأَرضُ تضحك عن آثار عدلْه وخيره. سار مُعَبّي الجيش، رابط الجأْش، أَصيل الرأْي والحَزم، ملتئم ٱلتدَّبير وٱلعزْم. زحف إليهم زحفاً، ملأ قلوبَهم رجَفا. استقل به المسيرُ شائماً بُروقَ ٱلعّز، مُقَدِماً كتائبَ

آلرّعب، مُستصحِباً مفَاتح آلنصّر. أقبل وآلدنُّيا تسيرُ بسيره، وخُدُودُ آلنجوم في سَنابِك خيله. سار يقدُمه جندٌ من آلرُّعب وآلذُّعرْ، ويتبعه مدَدَ من آلصنع والنَّصْر. أقبل في مراكبَ أعلامها تخفُق بالُّنجحْ، وطبولها تنطقُ بالفَتح. بَرَزَ وقد جهَّز أُودَ الملُك من حُماته، وأَعيان الأَرض من كُماته، وراياتُه تكادُ تنطِق بالنُّجح، ويُملي بأسِنتهًا كتابَ الفَتْح.

وصف الجيش بالكثرة والشوكة والنصرة

خيل، كقِطع الليَّل، ورجال، خُلقوا لقطع الآجال. جيوشٌ ترجف لها الأرض، ويستوي بها النَّشر والخفض. خفتَّ الجيوش فخِلت الجبالَ سائرة، والبحارَ ثائرة. جيوشٌ يُرَوْن من الكثَرةَ قِطعَ ليلٍ أسفع، ومن الحديد وجهَ نهارٍ قد مَتع. مواكبُ ضاقت عنها مناكبُ الأَرض، ذات الطول والعَرض. جيوشٌ يَغَصُّ بها الفضآء، ويستكينُ بها القضآء، وتضيقُ عنها الأوطار، وتخشع لها الأَقدار. جيشٌ كالليَّل، بكثرة الخيل، وكالنهار، بوُضوح الآثار. عساكر تُتتابعُ أَفواجُها، وتتدافعُ أَمواجُها. جَرَّ إِليهم جبالَ الحديد، وأَطلق أعِنَّةَ الأُسود السود. عساكرُهم آسادٌ وبحار، وأَقضيةٌ وأقدار، وجبالُ أطوادُها هممٌ ونفوس، ونجومٌ أسلحتهُا أقمارٌ وشموس. مَـلأَ المَلا خَيـلاً ورجالا، تحمـلُ أَوجالاً وآجـالا حُسبت الأَرض ترتحلُ برحيلهم، وتسيرُ مع حوافر خيولهم. طَلَعَت عَلَى أَعدآء الله المطايا، عليها المنايا، والسيوف، في ظُباها الحتوف. بادِروُا أفواجاً وأَرسالاً، وآنفروا خِفافاً وثِقالاً. عسكرٌ وافرُ المدد، كثيرُ العَدَد كثيفُ العُدَد.

وصف الأبطال والشجعان وأبناء الحروب

كلُّ باسلٍ قد تعوّد الأَقدام، حيثُ تزلُّ الأَقدام، وشجاعٌ يرى الإحجام، عاراً لا تمحوه الأيام. سيفه أمُّ الآجال، ورمحه يُتْمُ الأَطفال. ما لسيفه غير آلرّقاب، قراب إذا أفاض قداح آلقتال قَمَرَ آجال آلرجّال. قد ملأَ آلأَرضَ

دِماء، وآلسماء هَبَاء. حجلَّ الخيل بدمآء أعاديه، وجعل هاماتهم قَلانِسَ رماحه. نهض كآلليْث الحادر، وآلشجاع آلثائر، وآلحسام آلباتر. عِقبانُ خيولٍ فوقها أُسدُ جنود. أبناء آلحرُوب آلذين نشأُوا فيها، وآرتضعوا لِبانها، وعرفوا مِراسها، وأَلِفوا مِساسها، كالأُسود إقداما، وآلنيِّران آضطراما. بأمثالهم تشحَنُ أطرافُ آلصفُّوف، وعن قِسيهّم تصدُر رُسل الحتوف. رِماحُهم ظِمآء، وشرابها دِمآء، وسيوفهم هِيَام، ومشَارِعها نحورٌ وهام، خيولهم سَوابقُ آلفوت، وسهامهم بُرُدُ الموْت، وحملاتهم آتِيّ آلسيَّلْ، ومجيئهم مجيُّ آلليَّل. لا يملّون آلشرّ إذا خرست الأَبطال، ونطقت الرّماح الطوال. أبنآء الغايات، وليوثُ الغابات. أقبلوا كآلليوث الخوادر عَلَى العِقبان الكواسر. ما منهم إلاَّ سيف الضرَّيبة، وليث آلكتيبة. آحادهم نَفَر، وأفرادهُم زُمَر. الحَرْب دَأْبهم، والجدّ آدابهم، والنصّر طعمُهم، والعدُوّ غنمهم. قلوبُ أُسودٍ في صُدُور رِجال، ورِياح زَعازِع في ثبات جبال. هم عَلى الأَعدآء بلآءٌ واقع، وسُمٌّ ناقع. يُصيبون الثَّغر من بعيد، ويدخلون بين زُبَرِ الحديد. يقرُّون والأقدام زيال، ويَخفّون وهم عَلَى الأَقران ثقال. أَنيابُ الدَّولة وأَعضادها، وكُماتُها وأَنجادُها.

ذكر الأولياء والأعداء معاً

التَقَـوا فقبَلت ريـح آلإقبـال لأوليـآء آلله، ودَبَـرَت ريـحُ الإدبــار عَلَى أَعـداء آلله أولياَء الله مُعَتَمّدون بآلمنائـح آلزُّهـر، وأَعدآؤُه متـرصّدون بـآلمنابـا الحُمر. كـانت للأوليآء آلأَثَرَة، وعَلَى آلأَعدآء آلدَّبَرَة. جدَّ آلأَوليآء بقلوبٍ قد غمرها آليقين، وأيدٍ قد بسطها آلتَّمكين، وبيَّت آلأَعدآء وقد بَسَط لهم آلغرُور آمالهم، وزَيَّن لهم آلشيَّطانُ أعمالهم. فاز أَوليآءُ آلله بأجر المجاهدين، وبآءَ أعدآءُ آلله بوِزْر المعاندين. آزدادَ آلأولياء شِدَّةَ مِراس ، وقوَّة باس، وثباتَ مَقام، وصدق آنتقام. وآبتدأَتْ أعدآءُ آلله تَنْثلِم مواكبها، وتضعف مناكبها، وتنخفض

أعلامها، تنتقِضُ أبرامها، وترى بأسلحتها أغلالاً تُوثِقها وتُوبِقُها، وأنكالاً تُرهِقها وتزهِقُها.

تعبية الجيوش وترتيبها

رتب مولانا المقادم عموماً وخصوصاً، وعبىّ المقانب بنياناً مَرْصوصاً. أمَرَ بتسوية الصفوف التي لا خَلَلَ بها، وانتضاءِ السيوف التي لا خَللَ لها. عبىّ جيوشه ميامِنَ تضمَّنت اليُمن، وميَاسرَ اتبعت اليُسْر، ووقف في القلب بقلبٍ يَسَعُ الرّمال، ويَرجح الجبال. رتّب فلاناً ومن برَسمه في ميمنته التي يقُارنها اليُمْنُ والنَجاح، وفلاناً في مَيْسَرته التي يصاحبُها اليُسْرُ والفَلاح، وصار هو وقُوّادُه قلباً قالباً لما قالبه، ناكساً لما واجهه.

تلاقي الجيشين وكشف الحرب عن ساقها

تلاقى الجيشان فاصطف الخيلُ والرَّجلْ، وامتلأ الحَزْنَ والسهل، وبرقَت الأبصارُ بشُعاع السُّيوف، وسَفَرَت رُسل الحُتوف بين الصُّفوف. تراءى الجمعان، وأفضى قُرْب العِيان، إلى قُرْب العِنان، والتهبت جمرةُ الضِّراب والطّعان. اشتبكت الحربُ تصرُّف نابها، وتكشف ساقها، وتُضْرَمُ نارُها، ويُشَدُّ نطاقُها. التقى الجمعُ بالجمع، وقُرِع النبع بالنبّع. دنا العِنانُ من العِنان، وأفضى الخبرُ إلى العِيان. سارَتِ الجموعُ إلى الجموع، وبَرِقَ البَصَرُ بلمعان الدُّروع، وحمي وطيس المِراس، ودنت التِراسُ من التّراس.

اشتداد الحرب وحمي وطيسها

دارت كأسُ الموت دهاقا، وعاد لِقاءُ القِرن للقِرن عناقا. بلغتِ القلوبُ الحناجر، وشافهت السيُّوف المناحر. هاجت الهيجاء، وعَزَّ النَّجاء، وصار التَّرامي عِناقا. والتَّلاقي اعتلاقا. صَمَتتِ الألسِنَة، ونطقتِ الأسِنَّة، وخطبت

آلسيُّوف عَلَى منابر الرّقاب، وأَقدمت الرِّماحُ عَلَى آلخُطط آلصِعاّب. اعتَنَقتِ آلصوَّارم والمناصل، وتلاحَقتِ آلقَنا والقنابل، واشتدَّ أزْر آلمِصاع، وتكايل آلشجُّعان صاعاً بصاع. قُدِحت نارُ القِراع، وجالَت قداحُ آلمِصاع، تلاقتِ آلفِرقَ، وآشْتَدَّ آلفَرَق، وصار آلفارسُ إلى آلفارس أقرب من ظِلةّ، وآلسيَّف أدنى إلى الوَريد من حبله. استعرَتِ آلمَلْحَمَة، وعلت آلغَمغْمَة. فدارَت رحَى آلحَرب، واستحرّت جمرةُ آلطَّعن وآلضَّرب، وآشتجرت سُمْرُ آلرّماح، وتصافحت بيضُ الصِفّاح. احمرَّت الحلق، من العَلَق. ضاق المجال، وتحكمَّت الآجال. لم يُرَ إلاّ رُؤُوسٌ تَنْدُر، ودِمآءٌ تهدُر، وأعضآء تتطايَر، وأَجسامٌ تتزايل. اَلْتقى الصَّفاَّن، وبَرَزَت الأَقرانُ للأَقران، وخطبتِ الصَّوارمُ عَلَى منابرِ الأعناق، وسَفَرَت السِهّامُ بين القِسِيّ والأَحداق.

أعمال الأسلحة

رِشْقُ شُبهّ فيه ترادُف النَّبْل، بآتصال الوَّبْل، وزَرقُ أعاد الدُّعج زُرْقا، وأَوسَعَ الأَهبَ خَرقْا. رَشقَوهم بنبال، تتحمل قطع الآجال. واتخذُوا النبلَ رُسلاً مُؤَدّيةً ما حُملّت، ورسائلَ مُبَلّغِةً ما أُودعت. ما منهم إلاَّ رامٍ لا يخطيء الأَهداف، ولا يتجاوز الشغّاف، تجوز نبالهم الدَّرَق إلى الحدق، وتنفُذ إلى الحُلوق من خَلَلِ الحلق. أتتهم السهام كرِجل الجَراد، والزَّاناتُ الجدادُ (كذا) صادرة عن السَّواعد الشِدّاد. أوسعوهم ضرباً ومَشقا، وطعناً ورشقا، وجرحاً وزرقا. ضربه بعضُ الغلمان ضَرْباً رَعْلا، وثنّاها بعضُ العَرب بطعنةٍ نجلا. تواصت الضربات، بين زَرق بالزانات لا يَعْرفُ إنصافا، وضرب بالمرهفاتِ يَفلق الهامَ أنصافا. أَخذت الرِّماح تُطير شَررَهَا، والرؤوس تفارِقُ قَصَرها. ثَمِلتِ الرِّماح من الدّمآء فتعثرَّتّ في النِّحور، وتكسَّرت في الصدور. اشتجرت سِمرُ الرّماح، وتصافحت بيض الصفّاح. سيوفُ أَغمادُها الرؤوس

والطلّى، وجفونها القلوب والكلُى. قد أخذت السيوف نفوسهم، وأثمرت القنا رؤوسهم.

حسن الغنَاء في الحرب والإيقاع بالأعداء وشدة النكاية فيهم

قابلوا الجلادَ بالجَلَد، ونابوا عن أنياب الأسد، وأعطوَا الجهاد، أوفى حظوظ الإجتهاد. أجملوا البلاء، وأحسنوا الغَناء. بلغوا في اقتناص الأعدآء أقصى المبالغ، ووطئوهم وطْءَ القامع الدَّامغ. أَبْلَوا بلآءَ الأبطال، وأبطلوا كيدَ الأعداء. إنَّ الأبطال زحموا الأعدآء من جوانبهم، وتمكنوا من فَضّ مواكبهم، وطئوهم بسنابك الخيول، وتركوهم كجُفآء السيول. صبوا عليهم سوْطَ عذاب، وأسلموهم لعوادي تبارٍ وتباب. وقآئعُ هدَّت قواعدَ بنيانهم، وأشابت نواصيَ وِلدانهم. طحنوهم طحنَ الحَبّ، وجعلوهم درايا الطَّعن والضَّرب. وثبوا عليهم وُثوبَ الأُسود، وتركوهم كالزَّرع المحصود. نكَوْا فيهم نِكايَة القضآء والقدَر، وأثَّرُوا فيهم تأْثيرَ النار في يَبيس الشجر. شَربوهم شُربْ الهيم، وحَطَموهم حطم الهشِيم، وتركوهم كالرَّميم. تجرَّدوا لهم فحطوهم وحطَّموهم، وهزّوهم وهزموهم، تركوهم موَطيُّ الحوافر، وموردِ الكواسِر، ومغدى الضباع، ومَراح السبّاع. قصدُوهم فأقصدوهم بأيدي الغَير، وحصدوهم حَصْدَ الشّوك وٱلشجر. طَفِقوا ينقضُّون عليهم كٱلأجادل، ويقذِفونهم بألجنادل. أقْدَمُوا عليهم إقدامَ ٱلسيَّل، ونسخوهم نَسْخَ ٱلنهار لليَّل.

هبوب ريح النصر

حتى إذا ضاق ٱلمجال، وتحكَّمت ٱلآجال. أهبَّ ٱلله لمولانا ريحَ ٱلنصر، وحكم لحزبه باللعُلّو وٱلقهر، ولما بَلَغ كتابُ ٱلمهَلَ آخرةَ، أجرى الله للوآء المنصور طائِره. بَرَقت لامِعةُ ٱلنصَّرْ، وحانت ساعةُ ٱلقهر. ما ٱنتصَفَ ٱلنهَّارُ

إلاَّ وقد آنتصف آلله للحقّ من آلباطل، وكنفنا بآلأيد آلقاهر، وآلنصّر آلشامِل. هبَّت ريحُ آلنَّصرْ فأنجز آلله لمولانا وعده، وأظفر جندهَ، وحفِظَ عاداته عنده. لاحت غرّة آلفتح، ووضحت وُضوح آلصُبح، وأشرقت صفحة آلظَّفَر، إشراقَ آلشَّمس وآلقمر، ولما هبَّت لأشياع آلدَّولة رِيحُ آلنصُّرة، عَلَت بهم يدُ آلقُدرْة فآتَّبعوا أَدبارَ آلمارقين، وآوَوْهم دار الفاسقين. جآءَ نصرُ آلله والفَتْح، ونَزَلَ الظَّفَرُ والنُّجْح.

انجلاء المعركة عن القتلى والجرحى والأسرى والهزمى

انجلت غَبَرةُ المعركة، وقد أَحاطت بآلشقي يَدُ المهلكة. اقتُسِم شيَع الطغيان بين آجتياحٍ سريع، وقتلٍ ذَريع، وأَسرٍ موُثق، وحصرٍ موبق، ولم يَنجُ إلاَّ شِرذمةٌ لاذت بذمة الهَرب، ولن تفوت يدَ الطَّلب. بين قتيلٍ قد عَجّل آلله بروُحه إلى دار جزآئه: وأسير قد أوثقَه ما آرتكبه بسوءِ رأْيه، ومُنْهَزمٍ أَطار الرُّعبُ قلبهَ، وسلب الخوف لُبَّه. بين قتيلٍ آستأْثر به الحِمام، وأتى عليه آلاصطلام، وجريحٍ قد عاين طروُقَ المَنِيَّة، دون بلوغ الأُمنيةَّ، ومنهزم لا يَستبقيه الهَرب، إلاَّ بمقدار ما يناله الطَّلب. قسمهم أوليآءُ الله بين قتيلٍ تبوَّأَ من النار مَحْبَسه، ومُوَلٍّ جعل ثوبَ العارِ مَلبْسَه، وأَسيرٍ حبُس عَلَى حُكم الشريعة، ومُستأْمِن أُلحِقَ بأَهل الصنيعة بين قتيلٍ مُوَسَّد، وأسيرٍ مصفَّد، وهاربٍ مُطَرَّد، ومستأْمِنٍ مُقَيَّد، بين قتيلٍ متشحط بدمآئه، وجرَيحٍ مُتقلّب بدَمآئه، بين قتيلٍ مُرَمَّل، وجريح مُجَدَّل، وأسيرٍ مُكبلَّ. لم يُرَ من أَشياع آلمخذول إلاَّ أسيرٌ مُوثَق، وجريحٌ مُرْهَق، وقتيلٌ مطَرَّح، وشريدٌ مُطوحَّ. إلاَّ أَسيرٌ وحسَير، وقتيلٌ وعَقير، وجريحٌ وقريح، ومرملٌ ومُزمّل، ومقَبورٌ ومثَبور. تفرقُّوا بين أَسرٍ أحاطت بالرّقاب جوامعُه، وجرُحْ تحكمتّ في الأَجساد لواذعه، وقتل دَنت من الأَشقيآء مشارِعُه. قيل لأُولئك الأَغماز، القصار الأَعمار: شاهَتِ الوُجوه

وهبَّت لهم الدبَّور بين هَشيمٍ ورَميم، وقتيل وأميم، وجريحٍ ورهين، وأسيرٍ مع قرين.

ذكر القتل والقتلى

انكشفت الهَبوةعن فلان وقد سبقت الصفاح، فيه موضع الاستفتاح. قضت منهم الرّماحُ أوطارَها، وبرَدت السيُوف أُوارَها. سكنتِ النُّفوسُ بقتله كما سكنت نفسُ الإسلام، بقتل أبي جهل بن هشام. مَقْتَلَةٌ نقعت ظمأَ الأَرض، وأزالت سَغَب السباع والطَّير،صلَيَ قبل حرَّالنار بحرَّ المناصل،وسقى الأَرض من دمه بطلّ ووابل. استبدل من أمله، حضور أجله، واستعاض من شهامته، تسليمَ هامته. قد غَصَّت بقَتلاهم حلوُق الأَرض، واحمرّت من دمائهم مُتون التُّرب، بطون الأَرض أَعمر بهم من ظهورها، وحواصل الطَّير والسباع أَحصن قبورها. عدِمَ بَرْدَ الحياة، وذاق حَرَّ ٱلمُرْهفَات. جَرَت من دمائهم أَنهار، ولم يَطُلع عليهم نهار. أريق من دمائهم ما احمّرت منه الأَرض وجَرَتْ به الأَودية، ودارت عليه الأرحية.

سوء أحوال المنكوبين والمحاط بهم

أَوحى الله إلى أرضه أن تنخسف، وإلى فرسه أَن يقف. قصَّ جناحه، وأنهر جراحه. ألقاه الله في الشبكة، ورماه بالهَلَكة. رماه الله بالقارعة ٱلمُبيدة لجمعه، البليغة في قمعه. قُلِعت شأفته، وقُطعت آفتُه. لم يبقَ له مَفْحصُ قَطاة، ولا مَغْرز قَناة. أنزلهم آلله من آمال، إلى آجال، وأوردهم من مطالع، إلى مَصارع عليهم آلدبَّرة، وعَلَى وُجوههم آلغَبَرة. مكبوبٌ عَلَى مَناخره، مطَعونٌ في مناَحره، قد طال حِصارُه، وغاب أَنصارُه، وسقطت دعامتهُ، وقامت قيامته. قد بلغت رُوحه آلتراقي، ووعدته مَنِيَّتُه آلتلاقي. ضرب عليه آلإدبار سُرادِقَ آلدَّمار، ومَدّ عليه آلخِذْلان رِواق سوء آلاختبار. هو جَزَرُ

آلسيوف القواضب ولَقىً بين أنياب آلنوَّائب.

الأسر والأسرى وتشهيدهم

لم يَنْجُ من وَدائع آلأَغماد، إلَّا من حصل في جوامع آلأَصفاد. حصلوا في قبضة آلإسار، وكُفِة آلخسار. نَشَبَ في حُبالة آلانتقام، وشَركَ آلاصطلام. ياحُسْنَه في زوال آلنّعمة، ورُكوب آلنقّمة، بوجهٍ قد علس، ورأيٍ قد برنس (كذا) قد أُركبوا آلفوالج، وتُركوا بآلتشّهير عِبْرةَ آلناَّظر، ولُعْنة الماقِت. أُوردُوا مُقَرنَّين في آلأَصفاد، وتُركوا عِبْرةً للسَّاعين في آلأَرض بآلفسَاد.

هلاك الأعداء وفناؤهم

صاروا كرميمٍ وهَشيم، طاح في ريحٍ عَقيم. أَصبحوا كآلَّزرع آلمحصود، وصاروا حديثاً مثلَ عادٍ وثمود. صاروا جَزَرَ آلسباع والطُّيور، ورهَن آلدَّمار وآلثبُّور. لم يَبقْ لهم جُثَّة واقِفة، ولا عَينٌ طارِفة، ولا رُوحٌ تسري في جَسَد، ولا شخصٌ خلق عَلَى كَبد. حصُدُوا حصدا، وخُبطوا بآلسُّيوف خَبطا. فلم يبقَ منهم صافر، ولا نجا منهم أولٌ ولا آخر. أخذتهم آلصَّاعقة، وحلَّت بهم آلبائقة، فلم يبقَ منهم نافخ نار، ولا رافع مَنار.

فيمن نجا برأسه وقد كاد يؤخذ

استنقذ آلأَجل ذَمآءه من ظُبى آلسيُّوف وقد شارفته، وشَبا آلحتوف وقد شافهته. عُرض عَلَى الموت عَرض المحتضر، ثم أُخّر لأَجَلٍ مُنْتظَر. نكص عَلَى عِقبَيْه وقد كادت صُرُوفُ آلأيام تفترسه، وأَنيابُ الحِمام تَنْتَهِسهُ. نجا برأسه وقد فغَرت آلمَنايا أفواهْها إليه، وكادت أظفارُها تنشب فيه. فأُخّر لأجَلٍ مَضروب، وأنسىءُ لأمد مكتوب. استنقذَه تأَخّر أَجله من أَنياب آلقَواضب، ومخالب آلنَّوائب، ونجا بحُشاشته وذَماؤُه عَلَى تلف، وشفُافته عَلَى شرف.

نجا برُوحه آلتي هي رَهينةُ غَيهّا، وصريعُة بَغْيها. لم يَبْقَ منه إلَّا شُفافةٌ أَخْطأت براثن آلأسَد، وبقيَّة هي هامَة آليوم أَو غَد.

ذكر المنهزمين ووصف أحوالهم

طارُوا بأَجنحة الرُّعب لا ينثني آباؤُهم عَلَى أبنائهم، ولا يلوي سِراعُهم على بطائهم. طارُوا بأَجنحة الوَجل، وتصوَّروا حاضِرَ آلأَجل. نكصوا عَلَى آلأعقاب، وطارُوا بخوافي آلعُقاب. أجفلوا إجفالَ آلنعَّام، وأَقشعوا إقشاع آلغمام. سبقوا آلطَّلب بأقدام آلفِرار، وتوقَّوا مواقعَ آلسُّيوف بملابسَ من العار. تمزَّقوا في آلبلاد كما يمّزق آلرّيحُ رجلَ الجرَاد. عاينوا هَوْلَ آلمَطلع فَولوَّا الأَدبار، وتجللوُا آلإدبار، وطارُوا كلَّ مطار. تتقلَّب بُهم المَزالُّ والمَداحض، وتساقطَت بهم قواهم آلنَّواهض. لم يُشْعَر به حتى صار جنيناً قد واراه بطن آلليَّل، وطار كهبآء آلرَّيح وغُثآءِ السيل. نفض يَدَه بآلخميس، وأَعرب ببَرْد آلهَرب عن حرّ الوَطيس. تشتتوا أَيدي سبَا، وتفرَّقوا جنَوباً وصَبا. فُلّت شَباتَهم، وجُمع عَلَى آلذّل شتَاتهم، وحاق آلبلآءُ بهم، وحقَّت كلمةُ آلعذاب عليهم، ونكصوا خائبين، وآنهزموا خائفين. تفرَّقوا في جهات المهارِب، وآعتصموا بآلأَنهار وآلمسَارب. نَفَتْهم آلأَرض من مناكبها، وضاقت عليهم من جوانبها. جعلوا يتسلَّلون من أثناء آلأنهار، وكلٌّ ينهار في جُرُفٍ هار. طـار بين سمع آلأرض وبصرها. لا يدري ما يطا من حَجرَها ومَدَرِها. هام عَلَى وجهه لا يدري أَفي الأَرض يطلب مُدَّخلا، أَو في آلسمَّآء يلتمِسُ معقلاً وكلاً (كذا) فإنَّ تخومَ الأَرض تُسلمه، ونجومَ السماء تَرْجُمه. تطاير حشدُهم آلفجرة، كأنهم حُمُرٌ مُستْنفرة، فَرَّتْ من قَسوْرَة. طاحوا كلَّ مطَاح، وطارُوا بأجنحةِ آلرّياح. لا يجدُون في آلخضرْآء مَصْعَدا، ولا عَلَى آلغَبْراء مَقْعدا. لم تَلِقْهم أرض، ولم يَسَعْهم طولُ ولا عَرْض. لفظتهم آلبلاد، ومَجتَّهْم آلبقاع، إلى حيث لا آستوآء قَدَم، ولا آهتدآءَ بعَلَم، ولا سمآءَ تظلُّهم أَو تُجنُّهم، ولا

أرضَ تُقِلُّهم أو تُكنُّهم. طاروا بقوادِمِ وجَلَ، وطاحوا بين سقوط أمل، ودُنوِ أجلَ. استبدلوا بمُسكة ٱلعَزائم، هَتْكةَ الهزائم. نكصوا عَلَى الأَعقاب يَرَوْنَ ٱلأَشخاص كتائبَ تختطفهم، والأشباح مقانبَ تنتسفُهم. لما تَرامت بهمُ ٱلبلادُ تآمروا بينهم يتعاذَلون، وأقبل بعضهُم عَلَى بعضٍ يتَلاوَمون. هزيمةٌ قوضَ الله بها عُروشه، وفَضّ جيوشه، وضلَّل وَساوسه، وأبطلَ هواجسِه. هزيمةٌ فرقَّ الله بها جمعه، وبَدَّد شَمْله، وعَجَّل قمعْهَ. غاض في بعض ٱلغياض مُخفياً لشخصه، مُشفْقِاً عَلَى نفسه. صفرا لم يصحَبه صافر، ولم يَنْجُ معه طارِف ولا باصِر. كلما هبَّت عليه هابةً رِيحٍ حسبها خيلاً تكُرُّ عليهم، أو رَجلاً تبتدِرُ إليهم، وكلما عنَّت عليه عانة أَرض ظنهَّا بَرّاً ينخسف به، أَو بحراً يحيُطُ به. لو وَجد في ٱلأرض نَفقاً لأَولجه فيه شدَّة رَوعه، أو في ٱلسمآء مُرتقىً لأَعرْجَه إليه نخبُ روُعه. الحمدُ لله الذي رَدَّهم في أَكفانٍ من ٱلمَذَلَّة، وقَبَرَهم في لحود من ٱلخوف وٱلوحشة.

ذكر ركوب الأولياء أكتاف المنهزمين وقرب متناولهم على الهلاك

ركب الأوليآء أَكتافهم يَشلونهم شلَّ ٱلنَّعم، ويَفرْونهم فَرْيَ الأدم، ويُذَكُّونَهم كهدايا ٱلحَرَم. لم يَزَلِ ٱلطَّالبُ راكباً أَكتافه، وقابضاً أطرافه، حتى زَخَّ به ٱلجِذار في يومٍ وليلة، إلى موضع كذا بعد أن ٱنتظمتِ ٱلطُّرُق إليه بجيفَ أُصحابه ورذايا خيله ورِكابه، رَكب ٱلأوليآء أكتافهم وعيونُ ٱلمنايا ترصُدُهم، وأيدي ٱلحُتُوف تحصُدُهم. أَمر فلانٌ بأَن يبعد في آثارهم فلا يُنهِهْهُم، ويَجدَّ في طلبهم فلا يُرَفِّهُهُم. لتُعْجِلَهم صدمتَهُ عن التَّوصل إلى ٱلاستراشة، وٱلتَّمكُّن من ٱلاستجاشة. هاموا عَلَى وجُوههم يَرْجون ٱلخَلاص ولا خلاص، ويامُلون ٱلنجَّاةَ ولاتَ حينَ مَناص. فإنَّ ٱلطَّلب من ورآئهم عَلَى أحشاد، وما أعدَّ ٱلله لأَمثالهم بمرصاد. طار فلانٌ بجناح ٱلفِرار، متلفعّاً بٱلذُّل متُقنعاً بٱلعار، وٱلخيل مغُذة في طلبه، وموعودَة ٱلظَّفر به. فإنَّ قضآء ٱلله

كاللّيل الذي هو مُدْركه، ومُفاجئه فمُهْلكه. ركب ٱلأولياء أكتافهم، وتحيفّوا أوساطهم وأطرافهم، وغنموا أثاثهم وأسبابهم، وظُهورهم ودوابّهم. ما هو إلاّ دَريئةُ ٱلهَرب، وفَريسةُ ٱلطَّلب. أنىَّ له ٱلمقُام ورِماحُ ٱلطَّلب نحوه مُشْرَعة، وخُيوُله إليه مُسْرِعة.

ذكر الغنائم

غَنِموا أموالهم ٱلتي لم يُؤَدُّوا فيها حَقّاً معلوما، ولم يغنوا بها سائلاً مَحروما. غنموا أموالهم ٱلتي ٱحتجنوها فٱختزنوها. استولى ٱلأولياء وغنموا، وكَلَموُا وما كُلِمُوا. غنموا ذلك الحُطام، المجموع من الحرام، المَثَمَّر من ٱلآثـام، المقتَطع مِن فَيْءِ ٱلإسلام. غَنِموا أمْوالاً إن ذُكر قَدْرها، استشُرْف أمرُها، وكيف بذلك وٱلذَّهب حتى ٱلآن يُكال بين ٱلأولياء كيَلاً، ويُهال بين ٱلغانمين هيـلا. غنم ٱلأولياء ما بقَّتْ لهم الحوادث، وأسأرت عندهم ٱلنوَّائب من أُمَّهات ٱلذَّخائر وٱلعُقَد ٱلنفَّائس. قد صارت أموالُ ٱلأعداء غنائم لهم لا تُحصْى كثرة، وعادت عَلَى ٱلفاسقين مظَالَم وحسْرة.

ذكر موت العدو

أفضى به سوءُ ٱلعاقبة إلى ٱلعذاب ٱلأليم، وٱلمآل ٱلذَّميم، وسُكنى ٱلجحيم، وسُقيا الحميم. قضى نَحبْه، ولقي بأسود صحيفة ربهِّ. جراحةٌ أتت عَلَى نفسه، ووسدته في رَمْسه. آل أمرهُ إلى وبال، وٱنحلالٍ واضمحلال، قُبض إلى أُخراه عَلَى ٱلنفِّاق، كما عاش في دُنياه عَلَى ٱلشقِّاق. مضى لسبيله يَقْدمُه ٱلخِزْي، ويتبعه ٱللعَّن، ولا تبكي عليه ٱلسمَّاء ولا ٱلأرض. قُبِضَت. نفسه ٱلخبيثةُ عَلَى ضلالٍ وخبَال، وسوءِ حالٍ ومآل. تقطعَّت وسآئلُ بقآئه، وٱتصَّلت حَبآئلُ فَنائه.

سلامة الأولياء على الحرب

عادُوا منصورين موفورين لم تمسسهْم جراح، ولا عضَّهم سلاح. لم يمسسهم قَرْح، ولم ينلهم جرح. لم يُصبهم ثَلْم، ولا مَسَّهم كَلْم. لم يمسسهم سوء، ولم يَشْمَت بهم عدوُ.

جلالة شأن الفتح وعظم موقعه وحسن آثاره

كتابي والزمان ضاحكُ آلسنّ، مُتظاهر آلبشر، وآلدنيا مُشْرقة الجّو، مضيئة آلأُفق، للفتح آلذي تفتحَّت له أبوابُ آلشَّرف والمجد، وتفتقت أنوار الملك وآلعدل. كتبتُ وآلأرض رَيّا ضاحكة، وآلدنُيا خضرآء ناضرة، وفَجْرُ آلإسلام عالٍ ساطع، وسيفُ الإيمان ماضٍ قاطع، وآلبلدان ملأى تهانيءَ وبشارات، وآلأولياء شوُرى بين أفراحٍ ومَسَرات، لِمَا بَشْر به كتاب مولانا من آلفتح آلذي نطقت به أَلسنة الشكر، وآرتاحت له أنـديةُ الفضـل. قد جَـلَّ هذا آلفَتْـحُ عن تطلُّب نعوته بتصريف آلأقوال، وتفخيم شؤْونه بضرب آلأمثال، وصار آلتمَّويلُ عَلَى ما قد تمكَّن في القلوب من حاله، وآستقرَّ في آلنفوس من جلاله. لأَنَّ آثاره تنظم حاشيتي آلشَّرق وآلغرب. الفتحُ آلذي أصبح آلإسلام به مُتَّسِعَ آلنِّطاق، وآلعَدْلُ ممدود الرِواق، وآلسُّلطان ساطِعَ الأَشراق. مَحْروساً من عَدْوه آلمرُاّق، ونَزغة آلشِقّاق. الفتح آلذي تفتحَّت له عيونُ الزَّمان، وأَشرق بأنواره الخافقان. الفتح الواضح قَدَمُه عَلَى ناصية آلشَّمس، الماحقُ بضيآئه أنوار البْدر، آلضاربُ برِواقه من فوق آلنجَّم، الجاثم بجلاله عَلَى رِقاب آلدَّهر، المآد يديه إلى آلشَّرق، ينظمه إلى أقاصي آلغرب. الفتحُ المبسوط بين المشرقَيْن شعُاعُه، المْدود عَلَى الخافَقيْن شِراعُه. أجَلُّ بُشرى أَسفْرَت عنها آلأيامُ وآلليَّالي، وسَفَرَت فيها البيضُ وآلغوالي.

إشاعة خبر الفتح

أَشيع خبرُه إشاعةًلا آهتزَّت لها أعوادُ المنابر، وعرفها آلبادي مَعرْفةَ الحاضر

كتبت في إشاعته بما يملأ المسامع، ويشحَن المجامع، ويعَمُر المحاضر، فيملك المنابر. قد أشعناه حتى عرفه الخاصُّ من أخص المحاضر، وسمعه آلعامُّ من صدور المنابر. شُهِر خَبَرُه في الخاصّ وآلعامّ، بين أَلسْنَة المنابر وأسنَّة الأَقلام. اهتزَّت له آلمجامع، وأصغت إليه المسامع، ووعاه الحاضر، وتَزَوَّده المسافر. طالعته بنبإٍ هذا آلفتح آلذي يُنشْر في المواسم، ويُؤَرّخ في الملاحم، ويُؤْثر بين آلغائب والحاضر، ويُذاع عَلَى ألسِنَة المنابر.

حسن حال البلدة المفتوحة والتخفيف عن رعيتها

طهرَّها من شوآئب آلفَسَاد، وأطلع فيها كواكبَ آلسَّداد، وأرخى من خِناق الرَّعيَّة، وآستنقذها من أنياب آلأَذيَّة. ابتسمت بلادُ كذا عن ثغُور الأَمنة، وطالت فيها أَنواعُ آلنصَّفة، وآمحَّت دونها سِمات آلخَوَنة، وجمع الله أهلها عَلَى مُسالمِة كِشفتِ المحن، وعفّت الإحن. استبدلت آلرعَّيةُ بشدَّة آلوَجَل، قوةَّ الأمل، وبآنبساط الأَبواع والأَيدي عليها، انقباضَ الأَطماع والعوادي عنها. سكنت آلرَّعية، وآنحسمت الأذية، ورُتّب آلعمال، وهُذّبتِ آلأَعمال. أطلع فيها كوكبَ آلعدل وكان خافيا، وأَوضح لهم منهاجَ آلأَمن وكان عافيا. كأَنما بُدلوّا من ظلمات نُورا، وأُعقبوا من مَوْت نشورا. وَصَلَ إليهم بَرْدُ آلأَمن وقد صلُوا بحرّ الذّعْر. فَرَش آلنصَّفة وأفاضها، وبَسَط آلرَّعية وأزال آنقباضها، ووهب سقيمهَا لبريها، وظَنينَها لنقيّها. أراح تلك آلبلادَ من جامعة آلضُّر وآلبوس، وظلمات آلظلم آلعَبوس. علمت آلرَّعية أنَّ آلعَدْل قدِ آمتدتَّ أبواعه، والجور قد نَفِدت أنواعه. فأَيقنت بآلخير الموفور، وآلانتقالِ من آلظلماتِ إلى آلنُّور.

الأدعية السلطانية عند الفتوح والبشائر وغيرها

سأَلت آللهأن يُطيلَ بقآءَ مـولانا موصولَ السُّلطان بالدَّوام، مكنوف آلـراية بـالنصـر

وآلانتقام، مظفرُّ آلألوية وآلأعلام. ممدود آلظلال عَلَى آلخاصّ وآلعام. أدام آلله أيامه مُصرفاً أزمّة الأرض، مالكاً أعنة آلبسط والقبض. أدام الله سلطانه مُستولياً عَلَى آلإيراد وآلإصدار، مخَدوماً بأيدي آلأقضية وآلأقدار. لا ينهدُ عزمه لأمر، إلاّ أسفر عن عزٍ ونَصْر، ولا ينهض همه لأرب، إلاّ تجلى عن استظهار وغلب. لا زال يتناولُ أقاصي المرُاد، بقريب آلسَّعي وآلارتياد، ويبلُغ مراميَ آلمرَام، بداني آلعزيمة وآلاهتمام، والله يُديمُ له ألفتوح يميناً ويَسارا، ويزيد أعدآءه ذُلاًّ وخسَارا. لا زالت البشائرُ وفُودَ سمعه يطرق بابه، ويرفع لها حجابه. أطال الله بقآءه مستولياً عَلَى ما تخطبه عزمتهُ، وتقتضيه نعمته. أبقاه الله نافذ المكائد وآلعزائم، ماضيَ الآرآء وآلصَّوارم. عاليَ آليد وآلرَّاية، شامل الملك والولاية. حتى تجتمع له آلأرض بَرّاً وبحراً في عُقْدة ملكه وتنتظم آلخَلْقَ شرقاً وغرباً في صَفقة مِلكه، وآلله يُبقيه لتذليل الخطوب إذا صَعَّرت خدودها وأمالت أجيادها، وكثرّت أعوانها ووفرّت أعدادها، حتى يملك ما طلعت آلشمَّس عليه، وآنتهى هبوب آلرّيح إليه. هنَّأه الله عُلُّو صيته في تدبير المَقانب، وتحصيل المناقب. لا زال آلنصَّر يَقْدُمه، وآلدَّهر يَخْدُمه، وآلفتوح تصافحه، وآلمنَاَجح تغاديه وتُراوِحه. أدام آلله أيامه لحسم آلمَعَارّ عن آلدُّنيا بأسرها، وقطع آلمضَارّ عن الأرض وأهلها. منبسطَ آلظلّ عَلَى النهَّار حتى لا تشبّ نوائبه، وعَلَى آلليل فلا تدِبّ عَقاربه. أبقاه آلله للدُّنيا وآلدِيّن، وأخذ راية آلمجد بآليمين، ولا زالتِ آلأرضُ تحت تصريفه وتدبيره، وآلناسُ بين تقديمه وتأخيره. أدام آلله له آلنَّجم صاعدا، والزمانُ مُسعِداً ومساعدا، مالكاً رِقاب الخافقين، ومُذلِلاّ صِعاب المشرقّيْن، ومُصَرِفّاً أزمةً آلمَلَوين، ومُسْتَغْرِقاً جديد آلنصَّر عَلَى كرّ الجديدَيْن، ليَعمّ آلأقاليمَ آلسبْعَة بسُلطانه وإحسانه فيَغمُرها، ويملكَها بأعوانه وأوليآئه فيَعْمُرهـا.

الدعاء على أعداء الدولة

سألتُ آلله أن يصرِف وجوه آلرَّزايا، ويعكسَ رِقابَ آلمنايا، إلى أضداد دولته،

وكُفاَّر نعمته، فلا يخلو أحدٌ منهم من فجيعةٍ وَجيعة، ومُلِمَّةٍ أليمة، تَشْغَلانه بنفسه، وتَكلانه إلى خِذْلانه ونحسه، وتغنيانِ مولانا عن أن ينزع سهماً من كنانته، أو يَشْهَرَ سيفاً من أسياف نقمته. لا زال مولانا واطئاً بسنابك خيله قِمم مُنابذيه. مُغْمِداً سيوفه في رِقاب مُخالفيه، زاد آلله أعداءه سُقُوطَ مواقع، وهبوط مواضع، ونحوس طوالع، وحتم عَلَى كلّ مُشاقٍ لكلمته، مُحادّ لدعوته، أن يكون المَوْت في رِق آلذُّلّ أهنأ مشَارِعه، وأقربَ موارِده، وآلله يجعل أعدآء دولته، صرعى صولته، ومُشاقّي كلمته، جَزَرَ نقمته. لا زال أعدآؤه تلفظهم ظهور آلأرض، وتقبلهم بطون آلتُّرب. لا زال مُنابذوه حَصآئدَ سيوفه، ورَهائن خطوب آلدَّهر وصروفه.

استقرار الدار بالسلطان وما يتصل بذكر ذلك من الأدعية

أقبل مولانا فأقبلت به آلدُّنيا المُوَلِّية، وانجلت آلظُّلمُة المُستْولية. كأنَّ حُلُوُلَه بمركز عزّه ومَقَر مُلكه. حلولُ آلديّمة آلوَطْفاَء، غِبَّ آلسَّنة آلشَّهبآء، وآلنُّور المنتشر، بعد آلظلاَّم المعتكر. انحسرت آلغُمَّة بلألآء جبينه، ودَرَّت آلنّعم من أخلاف يمينه. عاد إلى سَرير مُلكه، ومَقَرّ عزّه، عَلَى آلطائر الأسعد، وآلجَدّ آلأصعد. فتوجَّهت آلرغَّبات إلى آلله في أن تقرن بذلك من الحبرة بأخضرها، ومن آلسَّعادة بأنضرها. هنَّأ آلله مولانا أَوْبَتَه إلى منشإ عزّه، ومُستْقرّ مُلكه. عَلَى أفضل ما وعَدت به آلطوَّالعُ السَّعيدة عند نهضته، ودَلَّت عليه آلبشآئر الحميدة في سَفْرَته. أتتِ آلبشآئرُ بعَوْد مولانا إلى دار سُلْطانه المعمورة بنضارة أيامه. قد أعطته المطالبُ قيادَها، ووطَّأت له المناجحُ مِهادَها عاد مولانا إلى آلسَّرير مستقرّاً عَلَى غارِبه، حامياً لجوانبه، قد دانت له آلطَّوائف، وأمِنَ به الخائف، وضم آلنشَّر، ولمَّ آلشعَّثْ وأشرقت آلأرض وتباشر آلبَشر.

آخر كتاب آلسُّلطانيَّات وما يقع في أبوابها، ولله الحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الشوارد والفوارد

وما يشبهها

هبوب ريح الأقبال

قد رَكب من الإقبـال مَطيَّةً لم تقف به إلَّا عَلَى ٱلغاية، وسلك من ٱلسَّعادة طريقاً لن يؤديه إلَّا إلى ٱلزّيادة. قد آمتطى ظهر الإقبال، وشافه دَرك الآمال. هبّ عليه نسيمُ ٱلثَّرْوة، وتمهَّد له فراشُ ٱلنعْمة. زَفَّت إليه ٱلأيام أَبكارَ ٱلنِعَم، وأَتحفته ببواكير ٱلمِنَح. اقترن ٱلنُّجحُ بمطلبه، وآقترب من مَقصده. آمتدَّ عليه ظلُّ ٱلنُّعْمى، وجنَاح ٱلغِنى. ظَهَرَت عَلَى أُموره أَماراتُ الإقبال، ورفرقت حولَه طيرُ حسن الحال. أفاق من سُقْم ٱلفاقة، وآتَّسع بعد ٱلإضاقة.

تباشير النجح والغنى

شارف نَيْلَ الإرادة، وشافه لسانَ ٱلسَّعادة، وآبتسم له ثغُر الأمل، وآذن بآلنَّجاح في أقرب أمد. قد لاح ٱلنَّجاحُ وآنتشر نورُه، وَلَمَعَتْ تباشيرُه. إنَّ ما يبدو من تباشير النَّجاح، يضُاهي فَلَقَ الإصباح، الذي يتلوه طلوع ٱلشَّمس وإشراقها، وآستضاءة ٱلعيون وآلنفوس بها وآرتفاقها، أَوَّل ٱلغيث رَشٌّ ثم قطر، ومبادي الشجـر ورقٌ ثم زَهر. هل يُرْتجى ٱلغيث إلّا بمخائله، ويستدلّ عَلَى أَواخر الأَمر إلَّا بأوائله.

حسن الحال ووفور المال

سالمه ٱلّدهر وساعدة ٱلجَدّ، وحالفه ٱلسَّعدْ. قد نال ما لم يحتسبة إلاَّ وَهما، ولم يُؤَمّلْه إلاَّ حَدْسا، فاز برغائب ٱلنِّعَم، وغرائب ٱلقِسَم. خاض بحرَ ٱلغِنى، وركض في ميدان ٱلمُنى. رأى من ٱلإنعام، ما لم يَرَه في ٱلمنام، فكيف من ٱلأيام. قد أدرَّ ٱلله له أخلافَ ٱلرِّزْق، وَمَهَّد له أكناف ٱلعيش، وآتاه أصناف ٱلفضل، وأركبه أكتاف ٱلعِزّ. اتَّسقت أحوال معيشته، وبسقت أغصانُ دولته. اتَّسعت مَوادّ ماله، وتفرّعت شعُب حاله، تناول ٱلنعم فيضا، لا قبضاً،وورد مَنْهلاً،علَلاً لا نَهَلا. لا يمتدّ له طَرْفٌ إلاَّ إلى نُعْمى،ولا يُصغي سَمْعٌ إلاَّ إلى نَغمة بُشْرى. لا يلتوي عليه مطلوب، ولا يَنزوي عنه مَحْبوب. قد سخّر له المقدار، وساعده ٱلفلك المُدار. نادى الآمال فإجابته مُكثبة، ودعا الأماني فعاجلته مُصْحبة. رأت عَيْناه، ما لم تَبْلُغْه مُناه، وٱتسَّعت نعْمَتُه، بحيث لم تنله همَّتُه. امتلأ ناديه من ثاغِيَه صباح، وراغِيَه رواح. تلاحقَت حاشيته، وتلاقحت ماشيته.

ذكر المال الصامت

ورِمت أكياسه فِضَّةً وتِبْرا. عنده من ٱلَعْين ما تَقَرّ به ٱلعَين. العَيْنُ للعَيْن قُرَّه، وللقَلْب قُوةً. مَن مَلك الصّفر ٱبْيَضّ وجْهُه، وٱخضرَّ عَيْشُه. كم عندهَ من عَدُوٍّ في بُرده صديق. من نجاز ٱلصُّفر، يدعو إلى ٱلكفر، ويرقُص عَلَى ٱلظُّفْر. كدارة العين، يحطُّ ثقل ٱلدّين، ويُنافقُ بوجْهَيْن. فلانٌ مُسْتَظِهرٌ بخبايا الحقآئب، وسـرائر الأخراج، وضمآئر ٱلصناديق. أموال آغتصّ بحُسباناتها ٱلدّيوان، ونآء بثقلها الخُـزّان.

تراجع الأمور وركود ريح النعمة

رَقَّت حاشيةُ حاله، ومالت دِعامةُ ماله. قد أَفَلَ نجمُه، وسقط سَهْمه،

وكَثُرت فتوقه، وآتسَّعت خُرُوقه. أُخمدَت نارُه، ووُضع مَنارُه. خبا قَبَسه، وكبا فرسه. قد قَعَدت به نواهضه، وتساقطت خوافيه وقوادمه.

انحاء الخطوب والنوائب

حصل بين أنياب الزَّمان ومَخالبه، وصِلَيَ بنار جوادثه ونوائبه. تصرَّفت به خطوبٌ تتلو خطوبا، وشوآئبُ تَدَعُ آلوِلدان شِيبا. حوادِثُ أجْحَفت، وكوارِثُ آلحْفَت. عَصَفت به عواصفُ آلثُّبور، وقواصفُ آلدُّهور. بين مِحنةٍ قاصدة، ونَكبةٍ راصدة. قد عاين شدَّةً مُتْعِبة، وعانى أُموراً مُسَتْصعبة. مَرَّ به ما لو مرَّ بآلحديد لذاب، أو بالـوليد لَشاب. نشبَ في أَعظم خُطة، وأَصعب ورْطة. قد عضَّه نابُ آلنَّائبة آلعُظمى، ورُمي بسهم آلدَّامية آلجُلَّي، وحَصَل في أسْر آلطَّامة آلكُبْرى. حرَّمَسَّه آلضُّرّ، وآنحى عليه الزّمنُ آلمُرّ، ونَشَزت عليه آلبيض وشمسَت منه آلصّفْر، وأكلته السُّود وحَطمَتْه الحُمْر. قد حَلِي بفم الدَّهر فما يَشبَعَ من أَكله نهساً ونَهْشا، وخضماً وقَضْما.

سوء الحال واستحكام الحرقة

فلانٌ يرتضع من الدَّهر ثَدْي عَقيم، ويركب من الفَقْر ظهر بَهيم. عاثرٌ لا يَسْتِقلّ، سليم لا يُبِلّ، كسيرٌ لا ينجبر، مَضِيمٌ لا ينتصر. قد زالت عنه الآلآء، وآنثالت عليه اللأْوآء. لو بلغ الرّزْقُ فاه، لَوَلّا قفاه. لا يأْوي إلى ظلّ الدُّنيا إلَّا تقاربت أكنافها، ولا يمتري دَرّها إلَّا أخلفت أُخلافها.

سوء أثر الفقر والضر

جآء بوجهٍ قد غَّبر فيه الفقر، وآنتزف ماءَه الدَّهر، وأمال قناتَه السُّقم، وقلَّم أظفاره العُدم. وجهٌ أَكسفُ من باله، وزيٌّ أَوحشُ من حاله. جاءنا ببدنٍ ناحل، ووجهٍ حائل، ورِجلٍ وحِلَة، ويدٍ قَحِلة، وأَنيابٍ قدِ آفترَّ عنها الضُّرّ، والعَيْشُ

المُرّ. طريحُ ضعْفٍ ومَتْرَبَة، وطَلِيحُ ذُلّ ٍ ومَسكنه. جاءنا بوجهٍ قد نَضَب مآؤُه، وطال سقآؤُه. لا يملك غيرَ الجِلدة بُرْدة، ولا يلتقي بحياه رعدة. جاءنا فلانٌ يضيق بآلبرُد ويسعُه، ويأْخذه القُرُّ ويدعه.

وصف ثياب الفقر

جآء في قميصٍ قد أكل عليه الدَّهر وشَرِب. أطمارٌ لعبت بها أيدي البلى. جُبَّةٌ تقرأ (إذَا السَّمَآءُ آنْشَقَّتْ) سوآء لابسها والعُرْيان. جُبةٌ لا تساوي تصحيفَها. أطمارٌ كآلهوآء الرَّقيق، وكآلشراب الرّقراق. رِدآءدَبَّ فيه الرَّدى. أطمارٌ كنسج العناكب، ونار الحُباحب. رأيت فُلاناً في ثيابٍ أَخلاق، لم يَبْقَ فيها من عمل الحآئك باق. أطمار أرقُّ من أكباد آلمحبين، إذا هبَّ عليها النَّسيم آمتزجت بآلهوآء، وآنتظمت في سِلْك الهَبآء.

وصف المتناهي في الفقر

قد أحلَّت له الضروُرةُ ما حرَّم الله عليه، قد حصل عَلَى أشدّ إضاقة، وتكشفَّت عن أقبح فاقة، قد تناهت حاله في آلانتشار وآلرزاحة إلى التكشُّف عن دار بلقَع، وفَقْر مُدْقِع. انتقل من سلَخ جلد إلى تَعَرُّق لحم، ومن رَضّ ٍ عَظْم إلى آنتقآء مُخّ. فلانٌ حيٌّ كميت، وفي بيت بلابيت. ليس معه عَقْد، عَلَى نَقْد. يَخْرُج خروج آلحَيِة من جحره، وآلطَّائر من وَكره. حـالُه حـالُ السليم مَلَّه عُوَّادُه، وآلغريقِ أسلمته أعواده. هو بين أَنياب آلدَّهر تحطمه بَصريفها، وتعتوره بصروفها، ويدُه صِفْر، ومنزله قَفر، وغَداؤُه الخَوى، وعَشآؤه آلطَّوىٰ، ووطآؤُه آلغبرآء، وغطآؤُه الخضرآء، وإدامه آلتَّشهي، وطعامه آلتَّمني، وفراشه آلمَدر، ووِساده الحجر. ثوبه جلده، ومركوبه رِجله. خصيبُ آلعين. جديبُ آلبطن، واسعُ آلمُنىٰ. ضيقّ آلغنى، أفرغ بيتاً من فؤاد أُمّ موسى.

ذكر اليسر بعد العسر والإنتعاش من صرعة الدهر

تجلَّت عنه غمةَّ الخطوب، ودارت له آلعواقب بالمحبوب. انقشعت ضبابةُ مِحنته، وتجلَّت غمرةُ كُرْبته، وطَلَعَت نجوُم سعادته، وهطلت سحائب إرادته. صلح له آلدَّهر آلطَّالح، وملَّكه عِنانه البَخْتُ آلجامح، طَلَع سعدُه بعدَ آلأُفول، وبعُد صيته بعدَ آلخمول. صار كمن أُحيي وهو رَميم، وأُنبت وهو هَشِيم. أنعم آلله بإعادته، إلى أحسن عادته. أقبلت عُقَدُ أُموره تتحلَّل، ومطالبه تتسهَّل، ووُجوه مَنَاجحه تتهلَّل. أَخرجه من آلضيّق إلى السعـة، ومن آلانزعاج إلى آلدَّعة. تماسكت حاله آلتي تخلَّلها آلخلَل، وثبتت قدمُه آلتي ملَكها آلزَّلل. صلحت حاله وآستقلَّت، وثبتت قدمه وآستقرَّت.

وصف عيش الناعم المغبوط

فلانٌ في عيشةٍ نَديّ ظلُّها، وسَحّ وابلُها وطَلّها. هو في عيشٍ رَقيقِ الحواشي، مُثْمر ألنواحي . هو في نِعْمةٍ صافية، ومِنحةٍ ضافية، وعيشة راضية. قد لاحظ آلعيشَ مُخضّر آلعود، ولاَبَس آلدُّهر مُتَّصل آلسُّعود. هو صائب سَهْم آلأَمل، وافرُ جنَاح آلجذَل. يفترع أبكارَ اللذّات، ويجتني ثمارَ المسّرات، يُغازِلُ آلغِزْلان، ويُقامُر آلأَقمار، ويُعاقِر آلعُقار. يَهْصِر أغصان آلقُدُود، ويقطِفُ وَرْدَ الخدود، ويجني رُمّان آلنُّهود. قد صحبته آلأَيامُ أَحْسَنَ صُحْبَة، وعاشرة آلزَّمانُ أهنأَ عِشْرة. غُرابُ آلبَيْن عن رَبعه مُطار، وغيمُ آللَّهْوفيه مطير. هو في جانب مَنيع، وجنابٍ مَريع. ثَمِلٌ في غِناه، مُسْتَقِلٌّ في كَـراه. قد هنـأَه الله كلَّ يـوم إحسانـاً أَغّر، ومـلأه عيشاً أغنَّ. قـد خَفَض آلـزَّمـان لـه جَناحَه، وألان مِهادهَ. فهو يأخـذ ما يشآء ويدع، ويلَعبُ ويرتَع لَذلَّـة آلعَيْشُ وطاب، وولـى رَقيبُ آلغَم عنه وغاب. هو بين جاهٍ عريض، وعَيْش غريض. هو بين نِعْمةٍ سَنِيةً، وبلهنية هنيةً. تُذِلّ له آلأَيام أَخادعها، وتُدْني إليه

المطالبُ مشارِعَها. عيشٌ أخضرُ ٱلعود ناضره، مائلُ ٱلغُصن مائره. هو بين أنوآء خَيْرٍ وخِصب، وأنوار رِياضٍ وعُشْب.

في ضد ذلك

نجمة مُنكَدِر، وعيشه كَدِر، ولباسُه خَشِن، وطعامه خَشِب. يُقاسي من فَقْدِ رِياشه، وضيق معاشه، قذارةَ عينه، وغُصَّةَ صدره. حالٌ تريه النهارَ أسود، وٱلعيشَ أنكد. إذا أصبح ركب ظهر ٱلشَّيْهم، وإذا أمسى توسَّد ذراع ٱلهَمّ. يكابد من مَرارة عيشه نابَ ٱلأَرقم، ويتجرَّع كأْس ٱلعَقْم. مُنغَّص شِرعة العَيش، مقصوص جنَاح ٱلأُنس. حاله حالُ ٱلسَّليم في كُرْبته، وٱلغريق في لُجَّته، وٱلمحترِق بحرّته. هو بين غمائمَ لا تمطر إلَّا صواعق، وسمائم لا تهبُّ إلَّا بوائق. قد تلقّاه بوجه ٱلثامت، ويدِ المُصالت. عيشة رَنقْ، ومَوْرِدُه طَرْق، وجانبه حَزْن، وحاله حُزن. طريح كُرْبةٍ لا يعرف مَداها، وجريح غُمَّةٍ لا تكلُّ مُداها. ما يأْكلُ إلَّا عَلَى نَغَص، ولا يشرب إلَّا عَلَى غُصَص. قدِ ٱنقبضت مسافة طرفه، وأَظلم أُفُق عيشه، وغَرَبت نجومُ سعده.

السرور والإهتزاز

أخذتني هزّة، وٱنتشرت في جوانحي مَسرَّة. وجدْتُ أعضائي كلها تتباشر، ووجوَه رجائي تتهلَّل، وأعطافَ مسرَّتي تهتزّ، وسحآئبَ غبطتي تنهلّ. حالي حالُ مَن حُكمّ في مُناه، وأعطِيَ كتابه بيمُناه. كِدْتُ أَهِيمُ فَرَحاً، وأَطيرُ بجنَاح ٱلسرُور مَرَحا. مَلَكَتني المسرَّة حتى ٱستفزتَّني، وٱشتملت عَليَّ حتى هزّتني. عَلَتني بشاشةُ النَّجاح، ودَبَّت فيَّ نشوُة ٱلارْتياح. أَصبحتُ لا تُقِلُّني كواهل أرضي مَرَحا، ولا أعوادُ سرجي فَرَحا. اتَّسع لي مَسَرحُ السُّرور، وهطَلت عليَّ سحابة الحُبور. ٱهتزَّ عِطفه، وٱرتفعْ طَرفْه، وٱنشرح صَدْرُه، وترجم عنه بِشْره. هزَّةٌ تُهدي المسرَّة إلى سوَاد القلب، وتؤَدي الغبطة إلى سَوآء النفَّس.

ابتهاجٌ حل حبـوة وَقاره،ولاح أثرُه في أثنآء وجهه وأسراره. اهتزَّ آهتزاز الرَّامي قَرْطَسَ سهمهُ، والضارِبِ نَفَذ حَدّه، والشجَّاعِ ظهرَت فرُوسيَّته، والحازِر صدقت فراسته. سَرَت المسرّة في أعضآئي، وطبَّقت الغِبطةُ أحشآئي، وتهللَّت وُجوهٌ من الأُنس كانت قبُل عابسة، وأورقت غصونٌ من الفرح وعهدي بها يابسة. أقبلت بقلبٍ مُرْتاح، وصدْر ملآنَ من آنشارح. جآء بأقوى يدٍ وأبسطِها، وأسّرِ نفسٍ وأنشطها. قد شقَّ الضَّحِكُ شِدْقه، وأمال الطَّربُ عُنقَه. مسرَّةٌ تركتني كآلغصن غازلتَه الصبافترنّح، ومرّت به الشَّمال فترجَّح. قرَّت عَيْناه، وآنبسطت يمُناه، وصافح مُناه. المسَّرة آتية، والبهجةُ مواتية، والوَحشةُ مُوَلّية. لم أضبط نَفْسي آرتياحاً وهَّزة، كادا يورثاني بغياً وعزة. أنا في ثوب المسَّرة رافل ونجمُ آلوَحشة عني آفل. دواعي المسَّرةُ مكتنفة، وعوادي الوَحشة مُنكشفة.

في ضد ذلك

في نَفْسه بلابُل تَدور، ومراجل تفور. يده دِعامةٌ لذَقَنِه، وجسمُه خشبةٌ لحَزَنه. قد صافح أكُفَّ آلحَزَن، وآستسلم لأيدي آلزَّمن. ما يستقُّر به مضجع، ولا يجفُّ له مَدْمَع. باله كاسف، وقَلْبُه راجف. هَمٌ قد نَكأَ آلقلب وأبكى آلعين. لا أقول عمهً، ولكن أعماه وأصمَّه. يرى ضيآء الدُّنيا ظلاماً، ويتصَّور نورَ آلشَّمْس قتاما. مُنْطوي الجوانح عَلَى أذى، مغضوضُ الجفون عَلَى قذى. قد طبَّق آلحُزْنُ بسيطَة صْدرِه، وأنفق آلغَمُّ ذَخيرةَ صبره. غمةٌ جَذَعٌ فَتِيّ، وقلقه غضٌّ طَري. نهارُه للفكَر، وليله للسَّهر. طُرُق آلأُنس دُونه مُبهمة، وآفاق آلسرُّور عليه مُظلمة.

ذكر الأمن

فلانٌ لا يلتفتُ ورآءه مخَافة، ولا يخشى أمامه آفة. قد أبدله الله بحرّ

ٱلخَوْف بَرْد ٱلأمن فأَمِنَ سِرْبُه، وعَذُب شِربه. أمنٌ لا يُذعَر معه ٱلسَّرْح، ولا يتغشّى لباسه ٱلذُّعر. قد سكن رَوْعه وٱلتَحَف عليه جناحَ ٱلسَّكينة، وحَصَلَ في ظلّ ٱلطُّمأنينة. قد سكن جاشه، وزال ٱستيحاشه.

في ضد ذلك

إذا نام هاله طَيْف، وإذا ٱنتبه راعه سيف. طار قلبُه بجنَاح الوَجَل، وطاش لُبُّه في قبضة الوَهَل. الأَرْضُ عليه كُفَّةُ حابلٍ أو أشدُّ تَقارُبا، وحَلْقَة خاتمٍ أو أتمّ تداخلا. قد ملكه خوفٌ لا يَريم، وذُعرٌ لا ينامُ ولا يُنيم. قد طاح رُوعه فَرَقا، وطارَ قلبهُ فِرقاً، كادَت نفسه تَطيح، ورُوحه تسري بها ٱلرّيح.

ذكر الطاعة بعد الإمتناع واللين بعد القسوة

دان بعدِ طماحه، ولاَن بعد جِماحه. سَمَح، بعد أَن جمح، وتطوّع، بعد أن تمنّع. استأْسر، بعد أَن آستأْسد، وتذلّل، بعد ما تدلّل، وتأَتى، بعدَ ما تأبىّ، وعنا، بعدما عَتَا. دان مَقادُه، ولانت شدادُه. ذَلَّت أَخادعه، وتسهَّلت مَراتعُه.

الضياع وما يجري من الألفاظ في ذكرها ووصف أحوالها

لفلانِ ضويعة يرتفق بها، ويرَتزق منها. ضيعة أنفق عليها أَيام عمره، وأراق فيها مآء شبيبته. ضيعةٌ ٱقتناها بوطْء الجمر، وآستعمرها بآنتعال ٱلعَّدم. ضَيْعةٌ يحشد في عمارتها، ويحتمل في تثمير آرتفاعها، ويبيع ما يلوحُ له ٱلحظُّ في بيعه من غَلاَّتِها. تلك ٱلضِيّاع علَى ٱتساع بقاعها، وعِظَم آرتفاعها، قدِ آستغرقت غَلاَّتها. نوائب ٱلسُّلطان، وتحيفَّتْ ثمراتِها جوائحُ ٱلزّمان، فلا فضلَ فيها للإفضال عَلَى ٱلإخوان. وقفتُ عَلَى ما عرض في تلك الضيعة من ٱلضَّيعة، وفي تلك الغَلَّة من ٱلخَلَّة. أربابها أربابُ خَلَّةٍ وقِلَّة، وأحوالٍ

مُضْمحلَّة. إنَّ ٱلجَرَادَ ٱلعامَ قد جَرَد وأفسد. نوائبُ أناخت عَلَى صُبابة مَعيشته لم تُبْق ولم تَذَر، وتركت نباتها كهشيم ٱلمحتظِر، وذلك أَنَّ بَرَداً أُتيح لها كبيض ٱلنَّعام كبراً فأَقعد قائمها، وغيَّب ناجمها، وتركهاعافيةً تُنْدَب كما نـدب ٱلشُّعَرآءُ ٱلأَطلال، ثم تنشد أَن ٱلوُقوف عَلَى ٱلمحيل مُحال. هو في تلك ٱلضياع بين نصح يُؤْثِره، وجميل يُؤَثِّره. قد حفـر، وحَرث وبذَر، وقوَّم المآئد، وأصلح ٱلفاسد، وعمرَّ ٱلغامر، وتأَلفَّ ٱلنّاقر. كان من أثره الحميد توصّله بيسير ٱلنَّفقة إلى عمارة ٱلقِنيّ حتى تفجرَّت عيونها، وغزرت مياهها. هذا مع غَيْض المآء في عامَّة ٱلأطَراف، ويكثر ٱلزُّروع على الجفاف. قد صار دخلها عَلَى ٱلضِعّف، بعد عَوْده إلى ٱلنّصف. قد أكدَّ أساسها، وثمّر غراسهَا، وأضحك رِياضها، وملأً حِياضها. جاهد أُمورها حتى تيسّر أُكثرها، وتركها لا يتخلَّلها خَلَل، ولا يميل بها مَيلَ. قدَّم فيها ما هو أُصلح وأنجح، وأوفق وأرفق. تلافي أَمرها أعظمَ ألتلاَّفي، وتفردَّ تفرُّدَ ٱلكافي الوافي.

ذكر الفرس والبغلة والحمار

فَرَسٌ يُتْعِب سائسةَ، ويُحمّل فارسه. فرسٌ رائعُ ٱلخَلَقْ، تنطِقُ عنه شواهد ٱلعتْق. سفينةٌ بَرِّيَّة، وريحٌ مُجَسمة. كأنه مُنتقِبٌ بٱلنَّجم، منْتعلٌ بٱلحجارة ٱلصُّم. يُباري طلق ٱلبُزاة، ويُفني أَنفاسَ ٱلفُهود، كأنه طَوْد موثق، أَو سيلٌ مُتَدَفّق، كٱلكوكب المُنْقَضّ، وٱلبارِق المنفضّ. كٱلجاحم المشبوب، وٱلهاطِل المصبوب. ولا يعين عليه سَوْط، كأَنما أنعل بٱلرِّياح، ويُرقع بٱلصَّباح. كأَنه شيطان، في أَشطان، وكأنما لَطَمَ ٱلصَّباح جبينه. كٱلبحر إذا ماج، وٱلسيَّلْ إذا هاج. بغلةٌ تجمع بين حُسْن الشيِة، وطِيبِ ٱلمشِية. أما ذلك الحمار فٱلرّيحُ أَسيرُ يده، وشُعَلُ ٱلنار في أعضآء جسمه، وحسد ٱلأفراس مَقْصورٌ عَلَى حُسنه، وكَمَد ٱلبغال لما فاتها من فضله.

وصف الأيام المشهودة والمشهورة

يومٌ هو عيدُ آلعُمر، وموسِمُ آلدَّهر. ومِيسَمُ الفجر. يومٌ من أعيادِ دَهْري، وأعيان عمري. يومٌ من أيام آلدُّنيا ضاحكُ آلسّن. طَلْقُ آلوجه، شريفُ آلصّيت. رخيصُ آلدّرهم وآلدِينار. كثيرُ الفرح وآلاستبشار. يومٌ أبرزت فيه الدُّنيا زينتهَا، وجلَت عَلَى آلنوَاظر في معرض الجمال صورتَها. يومٌ هو يوم آلقيامة إلَّا أنه لا حَشْر، وعيدُ آلدُّنيا إلَّا أنه لا فطرَ ولا نَحْر. يومٌ خرجت فيه آلعذرآء من آلخِدْر، وآلصَّبي من آلمهَدْ، وسلُبِ آلرَّجلُ رِدآءه في غُمار آلزّحمة، والمرأة سِوارَها فلم يُسْمَع صراخُها من آلضَّجة. يومٌ تهافت فيه آلناس حتى ضلَّت آلنعل، وسقط آلرِّدآء، ووُطيءَ آلشيخ، ودِيس آلصبيّ، يومٌ تكاثرت فيه النظارة حتى حُمل فيهم آلصبيّ، ودَلَف آلشيخ، ودبَّت آلعجوز، وخرجت آلعرُوس، وخلت آلدوُر.

التأبيد

ما طلعت آلثُّريا وغربت، وشرَقت آلشَّمسُ وغرَبت. ما لاح كوكب، وأقام يَذْبُل وكَبْكَب، ما حال حَوْل، وعاد عيد، وآخضرّ عود. ما طلعت شَمْس، وتكرّر أَمْس، ما تردَّد نَفَس، وتكرَّر غَلَس. ما بَلّ ريقٌ فَما، ومِدادٌ قلما. ما آنتهى ظلامٌ إلى فَلَق، وتأدّى غروُبٌ إلى غَسَق. ما أُخّر آلمَهَل، وضُرِب آلمَثَل. ما بقي إنسان، ونطق لِسان. ما طَرَد آلليَّل النهَّار، وآطَّرد آلنَّجْم وسار. ما تعاقب آلضَّيآء وآلظَّلام، وتناسخت آلشهُّور وآلأعوام.

آخرُ كتاب آلشوارد والفوارد وما يشبهها، ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأمثال والحكم

وما يحذو حَذْوها

قال مؤلف هذا الكتاب

قد اعتمدتُ بهذا الكتاب ٱلأَخير أن يكون غُرَرُه كلها مُستقلَّة بأنفسها، مَنْسوبةً إلى أربابها ٱلذين هم أَفرادُ ٱلدَّهر، وأَعيان ٱلعَصْر، في أَنواع ٱلنثْر، وجعلتُ لكلٍّ منهم باباً مفرداً، وما توفيقي إلَّا بٱلله عليه توكلت وإليه أُنيب.

ما أخرج من كلام الأمير شمس المعالي أدام الله تأييده

ٱلكريمُ إذا وعَد لم يخُلِف، وإذا نَهَض بفضيلة لم يَقِف. الرَّجآء كنوْرٍ في كِمامٍ، وٱلوَفآء كنُورٍ في ظلام، ولا بُدَّ للنَّوْر أن يتفتحَّ، وللنُّور أن يتوضَّح. ٱلعَفْوُ عن ٱلمجرِم من مواجب ٱلكَرَم، وقَبول المعذرة من مَحاسن الشيِّم. بزَنْد ٱلشفَّيع توري نار ٱلنَّجاح وٱلإقداح، ومن كفِ المُفيض ينتظر فور ٱلقِداح. الوَسائل أَقدامُ ذوي الحاجات، وٱلشفَّاعاتُ مفاتيح الطَّلبات. مَن أقعدته نكايةُ الأيام، أقامته إِغاثةُ الكرام. ومَن أَلبَسه ٱللَّيْلُ ثوبَ ظلمائه، نزعه عنه النَّهارُ بضيآئه. قوَّةُ الجَناح بٱلقوادم والخَوافي، وعملُ الرِّماح بٱلأَسنَّة والعوالي. اقتنآءُ ٱلمناقب، بٱحتمال المتاعب، وإحرازُ الذِكْر ٱلجميل، بٱلسعَّي في الخطب ٱلجليل. الدَّارُ دارُ تغريرٍ وخِداع، وملتقى ساعةٍ لوَداع، وأهلها متصرِّفون لوِرْدٍ وصَدَر، وصائرون خبراً بعد أَثر. غايةُ كلّ متحرّك

سكون، ونهايةُ كل متكوّن أن لا يكون، وآخرُ الأَحياَء فناء، والجزع عَلَى الأَموات عَناَء، وإذا كان كذلك، فلمَ التهّالك على هالك. حشو هذا الدّهر الخَؤُون أَحزانٌ وهموم، وصَفْوهُ من غير كَدَرٍ معدوم. إذا سمح الدّهر بالحباَء، بأَبشر بوَشْك الانقضاَء، وإذا أعار، فاحسبه قد أَغار، وإذا حالف، فاحسْبه قد خالف. الدَّهرُ طَعمان حُلْوٌ ومُرّ، والأَيامُ صَرفان عُسْرٌ ويُسْر، والخَلْقُ مَعْرُوضٌ عَلَى طَوْرَيْة، مقسوم الأَحوال عَلَى دَوْرَيْه. لكلّ شيء غايةٌ ومُنْتهى، وانقطاعٌ وإن بَعُد المَدى. تَرْكُ الجواب، داعيةُ الارتياب، والحاجةُ إلى اقتضاَء، كُسُوفٌ في وجه الرَّجاَء. النجيب إذا جرى لم يُشَقّ غبارُه، والشهّابُ إذا سرى لم تُلْحَقْ آثارُه. من أين للضبّاب، صوبُ السحاب، وللغُراب هوِيُّ العُقاب، وهيهات أَن تكسِب الأرضُ لَطَافَةَ الهواَء، ويصيرَ البَدْرُ كالشمّس في الضيّاَء. قد يُسْتَعذْب الشريبُ من مَنبع الزُّعاق، ويُستطاب النَّحيبُ من النهّاق. كلُّ غّمٍ إلى انحسار، وكلُّ عالٍ إلى انحدار. هَمُّ المُنتظِر للجواب ثقيل، والمَدى فيه وإن كان قصيراً طويل.

ما أخرج من كلام أبي القاسم علي بن محمد الإسكافي

الزَّمانُ صروفٌ تجول، وأُمورٌ تحول. الأخلاقُ تُنميها الأعراق، والثِمار تنبئُ عنها الأَشجار. الشُّكر به زكاَء النُّعمى، والوفاَء معه صلاح العُقبى. السعَّيد من تحلّى بزينة الطَّاعة، واقتدح بزَنْد الجماعة. العاَّمة لا تفقه حقاَئق المذاهب، ولا تعرف عواقت التأَلُّب والتحارُب. المخذول يَرفع رأْساً ناكسا، ويَبُلّ فماً يابساً. لا يشوقنكَّ غرارة الصّبي، ولا يَروقَنَّك زُخْرُفُ المنىُ. استعذ بالله من نَزَغاتِ الشيطان، ونَزَقات الشُّبان. مَن خلا له الجُو باض وصفَر ومن استرخى به اللبب نزا وطَفَر.

ما أخرج من كلام ابي الفضل بن العميد

متى خَلَصَتْ حالٌ من اعتوار إذى، وصفا فيه شِرْبٌ من اعتراض قذى. قد

تتماسك ٱلأُمور حتى تبلغ إلى غاية، ثم تتباين وتتهافت وتستمِرّ حتى تنتهي إلى نهاية، ثم تتخاذل وتتفاوَت. لن يفيض ٱلإِنآء وإِن تدارك القطر عليه حتى يمتلي، ولا يتساقط الثوّب وإن دَبَّ فيه البلى حتى ينتهي. قد تتسمحّ الأَيام بما تمنع، وتتساهل ثم تقطع، وتصل الغبطة بٱلرَّزيَّة، والِمحنة بٱلِمحنة، ولها غرَّات تُبْتَدَر، وغَفَلاتٌ تُنتَهز. قبل أَن تفْطن فيخَشُن مَسُّها، ويمتنع جانبها، ويتأَبىّ طائعها، ويتصعَّب سهلها. قد يَعزُب العقل ثم يؤوب، ويَغْرُب ٱللُّب ثم يثوب، ويذهب الحزْم ثم يعود، ويفسُد العزم ثم يصلح، ويضاع الرأْي ثم يُستدرك، ويسكرُ المرءُ ثم يصحو، ويكدر المآء ثم يصفو، وكلُّ شدَّةٍ فإلى رَخآء، وكلّ غمرةٍ فإلى ٱنجلآء. قد تنفجر الصَّخرة بٱلمآء الزُّلال، ويلينُ القاسي فيعود إلى الوِصال. العاقل من افتتح في كلّ أَمر خاتمته، وعلم من بدء كلّ شيء عاقبته، وطالع بظنه من كلّ غرس ما يجنى منه، ومن كل زرع ما يحصَد عنه. خير القول ما أَغناك جدّه، وأَلهاك هزله. مَن أَسَرَّ دآءه وستَر ظمآءه، بعُد عليه أَن يُبِلّ من عِلَله، ويَبُلّ من غُلَله، الرُّتب لا تُبلْغ إلاَّ بتدَرجُّ وتدربّ، ولا تُدرْك إلاَّ بتجشم كُلْفةٍ ونَصَب. الصحَّيحُ يَصيح ويُفصح، والحقُّ يلوح ويُلْمَح. الوداد غَرْسٌ إن لم يوافق ثرىً ثَريّا ومآءً رَويّا، لم يُرْج إيراقه، ولم يُؤَمل ثمارُه [وأوراقه]. القلوبُ أوعيةٌ يشرحها الرّفق، ويبسطها اللُّطف، ويفسحهُا التَّمرين، وإذا تجوز بها هذه الخِلال، إلى الأستكراه والإملال، خرجت عن ٱحتوآء عِلْم، وضاقت عن ضبط فهم، وفاضت بما تُستودع. رأْس المال خيرٌ من ٱلرّبح، وٱلأصل أولى بٱلعناية من الفرع. المرء أشبه شيء بزمانه، وصفة كّل زَمان منتسخَةٌ من سَجايا سلطانه. قد يبذُل المرء مالَه في إصلاح أعدائه، فكيف يذهل ٱلعاقل عن حفظ أَوليآئه، للأُمور أوائل دالَّةٌ عَلَى أواخرها، ومقدمات شاهدةٌ لعواقبها، هلِ ٱلسَّيدُ إلاَّ مَن تهابه إذا حضر، وتغتابه إذا أدبر. الإبقآء عَلَى خدم ٱلسلطان عدْل ٱلإبقآء عَلَى ماله، والإشفاق عَلَى حاشيته وحَشَمه، مثل الإشفاق عَلَى ديناره ودرهمه. قدّم من خيرك ما لا ينفعك تأخيره، وٱحصد

ٱلشرَّ قبل ٱستفحاله، وقوّم ٱلميل ما دام ٱلغصنُ غضاً يقبل ٱلتقويم، ورطباً يطيع ٱلتثقيف، ولا تنتظر به ٱلعُسُورَ وٱلامتناع، وداوِ فتقاً تُنهره ٱلأيام خرقاً إن تركته، اراب شعَبْاً يزيدُه ٱلدّهر وَهْياً إن أغفلته. المزح وٱلهزل بابان إذا فُتحا لم يُغلقا إلاَّ بعد ٱلعسر، وفَحلاّن إذا ألقحا لم يُنْتجا غير ٱلشرّ.

ما أخرج من كلام ابي محمد الحسن بن محمد المهلبي الوزير

من تعَّرض للمصاعب، تثبَّت للمصائب. من ضاف الأسد قَراه أظفاره، ومن حرَّك ٱلدَّهر أراه ٱقتداره. من حَنَث في أيمانه، وأَخلَّ بأمانته، فإنما ينكث عَلَى نفسه. القلبُ لا يمُلَك بالمخاتلة، ولا يُدْرَك بٱلمجادلة. التَّصرُّف أسنى [وأعلى]، وٱلتَّعطل أعفى وأصفى. أُكففُ عن لحمٍ يكسبك بَشما، وفعلٍ يُعقبك ندما. مكنّ مَوْضع رجلك، قبل مشيك، وتأَملَّ عاقبة فعلك، قبل سعيك. لا تُبِد وجه المطابق الموافق، وتخفي نظر ٱلمُسارق ٱلمُنافق. لا تَعْدِل عن ٱلنَّصّ، إلى الخَرْص، وعن الحِسَّ، إلى الهجس. رُبما وفي ظَنِين، وهفا أمين. قتلُ ٱلإنسان ظلُمْ، وقتلُ قاتلهُ حكم، لو لم يكن في تهجين الرأْي المُفْرَد، وتبيين عجز ألتدبير ٱلأوحد. إلاَّ أنَّ الأستلقاح وهو أصل كلّ شيء لا يكون إلاَّ بين اثنين، وأكثر الطيبات أقسام تجمع، وأصنافٌ تُؤَلّف، لكفى بذلك ناهياً عن الأستبداد، وآمراً بٱلاستمداد.

ما اخرج من كلام الصاحب ابي القاسم اسماعيل بن عباد

من ٱستجار به فقد وطيَّ النجم بقدمه، وسبق القِدَم بتقدُّمه. من ٱستماح ٱلبحر ٱلعذب، استخرج اللؤْلؤُ ٱلرَّطب. مَن غرتَّه أَيامُ ٱلسَّلامة، حدَّثته ٱلْسِنَةُ ٱلنَّدامة. من لم يهزّه يسيُر ٱلإشارة، لم ينفعه كثيُر ٱلعبارة. رُبَّ لطآئف أقوال، تنوبُ عن وظائف أموال. الكلامُ إذا تكرّر في ٱلسمَّع، تقرَّر في القلب. مَن طلب ٱلرّيَّ من ٱلفُرات لم يخشَ الظمأ في وِرده. ومن قَصَد ٱلكريمَ برجائه

لم يُحاذر الخَيْبة في قصده. من طالت يده بٱلمواهب، امْتَدّت إليه ٱلْسِنَةُ ٱلمطالب. مَن غَمط ٱلنّعمة، استنزل ٱلنقمة. مَن نَبَت لحمه عَلَى ٱلحرام، لم يحصُده غيرُ حَدَّ ٱلحُسام. من يكن ٱلحَذّآء أباه، تَجْد نعلاه. من لم يتحرَّز مِن ٱلمكايد قبلَ هُجومها، لم يُغْنه الأسف عند وقُوعها. مَن عَرَف ٱلمفَاخر، عَرف ٱلمعَاير، ومَن حَفظ المساعي (كذا). الناس بٱلذَّمّ أعلق، وروائحُه بٱلحفظ أَعْبَق. الاعتدال أعدل، وٱلطريق الأوسطُ أمثل. ٱلرَّأْي أقومه، أحكمه، وأسدُّه، أشدُّه. رُبَّ آجتهاد، أَبلغ من جهاد، ومكايَد دقيقِة ٱلمسَارِب، أنكَى من جِدادٍ صقيلة ٱلمضَارِب. ولطآئف أَقوال، تنوبُ عن وظائف أَموال. وثبات عقول وعقود، أَوقعُ من ثُبَات جيوشٍ وجنود. غشُّ ٱلكافي أَحمدُ من نُصح ٱلناقص. ٱلثَّنآء الجميلُ لِسانُ ٱلمساعي، وٱلبشرُ ٱلحَسَنُ عُنوانُ ٱلمعَالي. ٱلصَّدْرُ يطَفحُ بما جَمَعَه، وكلُّ إنآءٍ مؤَدٍ ما أُودعه. اللبِّيبُ تَكفيه ٱللمَّحة، وتغنيه عن ٱللفَّظة ٱللحَّظة، الإحجامُ في مواطنه، كٱلإقدام في مواقعه، وٱلتَّرْك في أَماكنه، كٱلأَخذ في مواضعه. الراحة حيث تَعِب الكرام أودع، لكنها أوضع، وٱلقعود حيث قام الأَحرار أَسهل، لكنَّه أَسفْل. الشَّمسُ قد تغيب ثم تُشْرِق، وٱلرَّوض قد يذبُل ثم يورِق، وٱلبدْرُ يأْفل ثم يطلع، وٱلسيف ينبو ثم يقطع. اللبِّيب مَن ٱلإيمآء يكفيه، وٱلإيحآء يُغنيه، وٱللفَّظة تجزيه، وٱللمحة تؤَثر فيه. ٱلكأْسُ تكره أوَّلَ ما تؤْخذ، ثم تنفع بعد ما تنفذ. السّيذ لا يروع ٱلقطيع بأرضه، وٱلأسدُ لا يعدو عَلَى ٱلفريسة في غيِله. الوُقوف في مَدارج ٱلتُّهم ذَنبٌ عظيم، وٱلدخول في شُبُهات الظنن دآءٌ عَقيم. العَلمُ بٱلتذاكر، وٱلجهلُ بٱلتنَّاكُر. الطاعُة سعيدة المَطلِع، حَميدة ٱلمَرْجع. وٱلعصيانُ ذميم ٱلفاتحة، وخيمُ ٱلعاقبة. الثعالب لا تجسُر عَلَى أخياس الأُسود، وٱلأرانبُ لا تُقدِم عَلَى أغيال ٱلليُّوث. الضمَّائرُ ٱلصحِّاح، أبلغُ من ٱلألسْنِة ٱلفِصاح. إنَّ الجبال ٱلشمّ، وٱلأَطواد ٱلصَّم لا تمال بحصيات ٱلقاذف، ولا تحال بجمرات الحاذف. الرَّجل الحُوَّل من ثنى أَزِمَّة

ٱلأعدآء عن ٱلشحنآء، إلى ٱلمودَّة وٱلصفآء، لا مَن أحال ٱلصَّديق ذا ٱلإخآء، إلى حال الهجرة والبغضآء. ٱلشيء يحسُنُ في إبّانه، كما أن ٱلثمر يُستطاب في أوانه. الإغفال لا تؤمن عواقبه، بل تُحّذر مضايره. الآمالُ ممدودة، وٱلأنفاسُ معدودة. ٱلذّكرى ناجعة، وكما قال ٱلله نافعة. تجارة الإفضال رابحة، وصفقة ٱلإحسان راجحة. مَتْنُ ٱلسَّيف ليّن، ولكن حَدَّه خشن. ومسُّ ٱلحيَّة ألين، ونابهُا أخشن. وٱلشمّس تحيي نورا، ولكنها تقتل حَرًّا. والمآء يروي، وقد يخاضُ فيه فيردي. عقد ٱلمنن في ٱلرّقاب، لا يبلغ إلَّا بركوب ٱلصّعاب. بعضُ ٱلحِلم مَذَلَّة، وبعضُ ٱلإستقامة مَزَلَّة. كتابُ ٱلمرء عُنوان عقله، بل عيانُ قَدْره، ولسانُ فضله، بل ميزان عمله. انجازُ ٱلوَعد، من دَلائل المجد. وٱعتراضُ ٱلمطَل، من أَمارات ٱلبُخل. وتأْخيرُ ٱلإسعاف، من قرائن ٱلإخلاف. خير ٱلبر ما صفا، وضفا، وشرّه ما تأَخَّر، وتكدَّر. خير ٱلوَعظ ما قضى بالإرتداع، قبل ٱلإيقاع، والأنزجار، قبل ٱلإنكار. اصطناع الأَراذل، سِمَةٌ في وُجوه ٱلأفاضل. مرضاةُ ٱلسلطان، لا تغلو بشيء من ٱلأثمان، ولا يبذل ٱلرّوح وٱلجَنان. فِراسة ٱلكرم لا تُبطي، وقيافة ٱلشَّرف لا تخطي. قد ينبَح ٱلكلب ٱلقمر، فيلقمُ ٱلنابح الحجر. كم متورّط في عثار، رجآءَ أن يأْخذ بثار. لا بُدَّ للسُّرى من قمر، وللرُّبى من مطر. قد يبلغ ٱلكلام، حيث تقصر ٱلسّهام. ربما كان الإقرار بٱلقصور، أَنطقَ من لسان ٱلشُّكور. ربما كان ٱلإمساك عن الإطالة، أَرجحَ في ٱلإبانة وٱلدّلالة. هل يثبت ٱلتصنع إلَّا بقدْر الاستكشاف، ويستقُّر ٱلتعَّمل إلَّا رَيْثَ الاستشفاف. لكل أمْر أَجل، ولكلّ وقت عمل. إن نفع ٱلقول ٱلجميل، وإلا نفع ٱلسيّف ٱلصَّقيل. لا يذهَّن عليك تفاوت ما بين ٱلشيوخ وٱلأحداث، والنسور وٱلبُغاث. عريسة ٱلأسَد، ليست من أَماكن النَّقَد. كفُران ٱلنِعّم، عُنوان ٱلنّقم. وجَحْد ٱلصنائع، داعية ٱلقَوارع، وتلقي ٱلإحسان بٱلجحود، تعريض ٱلنعّم للشُّرود. قد يصلي ٱلبريء بالسقيم، ويؤْخذ ٱلبَرُّ بٱلأَثيم. يقوى ٱلضعيف، ويصحو

النزيف، ويستقيمُ المائد، ويستيقظ الهاجد. ما آنتفُع بعِلم مَن لم ينتفع بطبّه، ولا بفهم آمرىء لم يُصب بوهمه. إنَّ السنين تُغيِّر السُّنن. شجاع ولا كعمرو، ومندوب ولا كصخر. للصدر نفثةٌ إذا أُحرج، وللمرء بثةٌ إذا أُحوج. طلوع الشمس في ضمان غُروبها. ومكاره الأَيام في أَعقاب محبوبها. وعواري آللّيالي عَلَى شرف آرتجاعها، وودائع الدَّهر بعُرض انتزاعها. المكاتبة نظام الصِلّة وقِوام المِقَة، ومِلاك آلمسَرةّ، وعِماد آلمبَّرة.

ما أخرج من كلام أبي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابيء

مَوْقع آلشُّكر من النعْمة، موقع آلقِريٰ من آلضيَّف. إن وجده لم يَرِم، وإن فقده لم يُقمِ. إنَّ آلنفَّس لأمارَّةٌ بآلسو، صَبَّة إلى العُتُو. لا تدفع عن مضَارّها إلاَّ بآلشكائم، ولا تُقاد إلى منافعها إلاَّ بآلعزائم، فمن كبحها وثناها نجاًّها، ومن أطلقها وأهرجها أَرداها. إن الشيطان يكسو آلخدَع وآلشُّبُهات، سَرابيلَ الحجج وآلبينات. ليستفز بها آلأحلام، ويستزلَّ آلأَقدام. احذر أن تأْمر بما تجانب فعله، وتنهى عما تأْتي مثله. الشوُّرى لقاح آلعقول وآلمباحثة رائد آلصَّواب، وآستظهار آلمرء عَلَى رأْيه من عزم آلأُمور، وآستنارته بعقل أخيه من حزم آلتدَّبير. إذا آستفحل آلدَّآء فآلكيّ وآلانضاج، أَنجع ما آستعمل فيه من آلعِلاج. أَعرف آلناس بَقدْر آلعافية من وجدها بعد فقدها، وبفضل الثروة من لبسها بعد آلتعرّي منها. لسانُ العمل أَنطقُ من لسان آلقول. وجميلُ آلفعل أَزْجَرُ من حُسن آلوَعظ. إذا أَتت آلجفوة من مَعْدِن آلبرّ تضاعف إيلامها، وتزايد إيجاعها، كما أن آلمَبَرّة إذا جآءت شاذَّة من معدِن آلعقوق حَسُن مَوْقعها، وأَعجب أَمرُها. رُبَّ بعيدٍ يقربه نقآء جيبه، وقريبٍ يبعده اتهام غيبه. رُبَّ حاضرٍ لم تحضر نيتَّه، وغآئبٍ لم تغب مشاركته. للكلام مذاهب وملاحن، ورُبما سلك القائل مسلكاً فسلك آلسامع ضدَّه، وأراد شيئاً فظنّ به غيرَه. لا بدَّ من مصابرة آلغّمرة حتى تنجلي، وملاطفة الشدّة حتى تنتهي.

السيئة إذا حصلت بين حسنتَيْن لم تكن إلاّ مغمورة مَغفورة. إنَّ ٱلله تعالى دعا إلى ٱلنهُوض وٱلنهود، ونهى عن ٱلفتور وٱلقعود. الشكول أَقارب، وإن تباعدت بهم المنَاسب. إن انتشار النظام إذا بدا بِدَب دبيب النار في الهشيم، ويَسْري كما يسري النَّعَل فيالأديم، وكثيراً ما يُعدي الصحّاحَ مَبارِكُ الجرب، ويتخطى الأذى إلى المركب الصعَّب.

ما أخرج من كلام أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف

نِعْم ٱلمعبِرّ عن ٱلضَّمير مِضمارُ ٱلقريض. إنَّ ٱلله سائلك عن ٱلخطرة وٱلخطفة، وٱللحّظة وٱللفَّظة. ادّرِع من ثوب عَفَافك، ما يَشملَ كافَّة أطرافك. التقَّوى أَقوى ظَهير، وأوفى مُعِين. وخيرُ عَتاد، وأَكرمُ زادٍ للمعَاد. اشحذ فكرك، وأَرهف ذهنك. إذا ٱبتديت ٱلنظَّر، فٱقض أمامه لكلّ وطر، لئلا تجاذبك شهَوة، أَو تختلجك من نوازع ٱلنفَّس حاجة. احذروا أن ينقلكم ٱلله بأَقدامكم، إلى مصارع جمامكم. استدِمِ ٱلنّعمة عليك بالتقَّوى لله، وبحسُن ٱلطَّاعة للسلطان فإنهما جُنتَّاك، وعُدَّتاك وذريعتاك، والمشفعَّتان عند ٱلله في أُولاك وأُخراك. التقَّوى أَو فى مُعِين، وأوقى ظَهير. التقَّوى هي ٱلعُدَّة ٱلوافيه، وٱلجُنَّة ٱلواقية، وٱلتجّارةُ ٱلرَّابحة، وٱلسّعادةُ ٱلسانحة، وٱلجلآءُ للشبهة، وٱلضيآء في ٱلغُمَّة. سيعيض ٱلله من حَرّ الهواجر بَرد ٱلظلاِّل، ومن قلق ٱلرّكاب، نجح ٱلإِياب. استقبلوا بالخضوع وجه ٱلله وٱستنزلوا بالتسبيح والتهليل رحمتهَ. وٱستديموا بٱلحمد وٱلشكر نعمته. أَيقظوا قلوبكم من سِنَة الخواطر، وٱحبوسا أَلحاظكم عن محظور المناظر.

ما اخرج من كلام ابي الحسن علي بن القاسم القاساني

قل في حرّان أخطأه ٱلنوْء، وحيران مظلم خذله ٱلضوء. مراتع أَهل ٱلفضل موبئة، ووجوه مطالبهم مظلمة. شاهد القلب يصدق ٱلقول، ورائد ٱلضمَّير

يحقّق ٱلدّعوى. ابتدآء المنةّ تبرّع ونافلة، وإتمامها سنةٌ لازمة وغَنيمةٌ حاصلة. البيانُ ٱلحسن ينوبُ عن ٱلرُّقى، ويستنزل العُصْم من ٱلذُّرى. كلال ٱلذهْن، مع ٱرتقآء ٱلسنّ. ونُقصان ٱلخواطر، بزيادة ٱلشواغل وٱستمرار ٱلبلادة، بمفارقة ٱلعادة.

ما اخرج من كلام ابي بكر محمد بن العباس الخوارزمي

الشكر عَلَى ٱلإحسان، وٱلسّلِع بإزآء ٱلأثمان. الطيرُ واقعةٌ مع مثلها، وٱلنفّسُ مائـلة إلى شكلها، الإذكار حيث ٱلتنَّاسي، والتقاضي، حيث التغاضي. العشرة مجاملة، لا معاملة، والمجاملة لا تسع الاستقصآء والكشف، والعشرة لا تحتمل ٱلحساب والصرف. الاعتذار في غير موضعه ذنبٌ، والتكلف مع وقوع الثّقة عيب، والدّوآء لغير حاجةٍ دآء، كما أنه عند ٱلحاجة إليه شفآء. الاستقالة تأْتي عَلَى العثرات، كما أن الحسنات يُذْهبن السيئات. الذنَّب للعين العَشوآء، في محبة الظلمآء، وكراهة الضيآء، وفم المريض يستثقل وقع الغذآء، ويستمريء طَعم المآء. الحرُّ كريمُ الظفر إذا نال أنال، وٱللّئيمُ لئيم الظَّفر إذا نا ل أستطال. ٱلآباء أبوان: أبْ وِلادة، وأَبُ إفادة فٱلأوّل سبب الحياة الجسمانية، والثاني سببُ الحياة الرُّوحانية. الغيرةُ عَلَى الكتب من المكارم، لا بل هي أختُ الغيرة عَلَى ٱلمحارم. والبخلُ بٱلعلِم على غير أَهله، قضآء لحقه ومعرفة بفضله. الرِجل إذا قيّدها عِقال الوَجَل، لم تنطلق نحو مطية ٱلأمل. المحجوج بكل شيء ينطق، والغريق بكلّ شيء يتعلق. العاقل يختار خير الشَّرين، ويميل مع أَعدل الشّقِين. الجوادُ محتكر بِرّ، لا محتـكر بُرّ. الكريمُ تاجر جَمال، لا تاجر مال. والحُرّ وقاية الحُر من فقره، وسلاحه عَلَى دهره، المدح الكاذب ذَمّ، والبِنآء عَلَى غير أَساس هدم. الدّهر غريم رُبما يفي بما يعد، وحبلى رُبما تُتْئم فيما تَلِد. الدَّهر أَصمٌّ عَلَى الكلام، صبورٌ عَلَى وَقعْ سهام ٱلملاَم. الناسُ بالإحسان،

وآلإحسان بآلسلطان، وآلسلطانُ بآلزَّمان، وآلزَّمان بآلأَمكان، وآلإمكان عَلَى قدر آلمكان. العزل طلاق الرِّجال، وآلمِحنةُ صَيْقَلُ آلأَحوال. الكريمُ مَن أكرمَ آلأَحرار، وآلكبيرُ مَن صَغّر آلدّينار. آلمَصيبةُ في آلوَلد آلعاقّ مَوْهبة، وآلتعّزيةُ عنه تَهْنئة. المحبة ثمنُ كلّ شيء وإن غَلا، وسُلَّمٌ إلى كلّ شيء وإن علا. الرَّجلُ منَ إذا كوى أَنضْجَ، وإذا لقح أنتج. وإذا قال أبلغ. وإذا أنْعَمَ أسبغَ. التقّديم عَلَى آلغاية تأَخُّرعنها، وآلزّيادةُ عَلَى آلكفاية نُقْصانٌ منها. الأُذنُ بِكرٌ من آلأَبكار، لا تُفْتَضّ إلاَّ بآلأَخبار، وآلبكرُ منها أَحبُّ إليها، وأَلذُّ لدَيها. إنما آلسُّؤْدُد بكَثرة الأَتباع، وكَثرةُ آلأَتباع بكثَرة آلاصطناع إنما تحومُ الآمال حيث آلرَّغبة، وتسقُّط آلطيرُ حيث تُنْتَثَرُ آلحَبَّة، إنَّ آلنسآء لحمٌ عَلَى وضَم، وعصيْدٌ في غير حرَم، إلاَّ أَن تلاحَظ بعَيْن غَيُور، ونفس يقظٍ حذور. إنَّ آلوِلاية عزل، إذا لم يعمر جانبها عَدْل. سُرْعةُ الشهَّادة طريقٌ من طُرُق الخفَّة، وآبتذال المدح وآلتزكية بابٌ من أَبواب آلملَق. المجازفةُ بحساب آلمقال، أَقبح من المجازفة بحساب آلمال، قبول شُكر آلشاكر التزامٌ لزيادته، وآستماعُ قَوْل آلمادح ضمانٌ لحاجته. •صغيُر آلبِرّ الطف وأَطْيَبُ، كما أن قليل آلمآء أشهى وأعْذب. ثمرة آلأَدَب العقلُ آلرَّاجح، وثمرةُ آلعِلْم آلعَمَلُ الصَّالح. طولُ الخدْمة، آكَدُ حُرْمة، وتأكدُّ الحُرْمة، عَقْدُ قَرابةٍ ولُحْمة. ادّعآءُ الفضل من غير مَعْدِنه نقيصة، كما أن آلإقرار بآلنقص من حيث آلاعتذار فضيلة، والقتال عن العسكر المنهزم ضربٌ من المُحال، وتَعرض لِسهام آلآجال. شاهدُ العِيان، أَقوى من شاهد النّسيان، ودَليلُ البصر، أَوضحُ من دليل الخبر شاهدُ الأَحوال، أَنطقُ من شاهد الأقوال. بابُ آلإحسان مفتوحٌ مَن شآء دَخَله، وحِمى آلجميل مُباحٌ من آشتهى فعلَه. وليس عَلَى المكارِم حِجاب، ولا يغلق دونها باب. شَبَكَةُ المحُال أوهى مِن أن تنشبَ فيها رِجْلُ مُحِقّ، وكَيْدُ الباطل أضعْفِ من أن ينفُذ في حق. مؤَدبُ العاقل إخوانُه، ومِرآتُه زمانه. وسَوْط الجوَاد عِنانُه. شرفُ النَّازِل متَّصلُ بشَرَف آلدَّار، وسَمَكُ

ٱلأنهار، ليس في قرار سَمكَ البحار. قرآءةُ كتاب الصديق نِعْم تِرْياق سم الغم. قليل السلطان كثير، ومداراته حَزْمٌ وتَدْبير، كما أن مُكاشفتهَ غُرورٌ وتغرير. شَرٌّ من الساعي من أنصت له، وشَرٌّ من متاع السوء من قبله. لا خَيْر في حُبّ لا تُحتمل أقذاؤه. ولا يُشْربُ عَلَى الكدَر مآؤه. خَيْر الكلام ما آستريح من ضدّه إلى ضدّه. ورتع بين هزْله وجِدّه. أوجعُ الضَّرب ما لا يمكن منه البكآء، وأشدُّ الشكوى ما لا يحققه آلاشتكآء. كلُّ غَمٍّ كان سبباً للسُّرور، فهو سُرور، وكلُّ ظُلمةٍ كانت طريقاً إلى النُّور، فهي نُور. أبى آلله أن يَقَع في البئر إلَّا مَن حَفَر، وأن يحَيق المكُر السيُّ إلَّا بمن مكَر. آلدُّعآء غايةُ من ضاق إمكانُه، ولم يُساعدْه زمانه. ما تَعِب من أجدى، وما آستراح مَن أكدى، وحبذا كَدَرٌ أورث نجحا، وشوكة أجنت ثمرا. للرّياسة شروطٌ وتوابع، وللتجارة فيها أرباحٌ ووضائع، فرأس مالها اعتقادُ المنن في آلأعناق، وتبليغ آلرّجال مقادير آلكفاية وآلاستحقاق. مَن طمَس عين آلشَّمس، فقد نطق عن مقداره في الحسّ. هل عَلَى آلأرض عارٌ أن تطلب سُقيا آلسمآء؟ وهل عَلَى آلفقرآء نقصٌ أن يأخُذوا صَدَقة آلأغنيآء؟. وهل يعيبُ آلنهر أن يستمدَّ من آلبحر؟ وهي يضع آلسَّاري أن يستضيء آلبَدْر. قد يتواضع آلأسد لصيد آلأرنب، وآفتراسِ آلثَّعلب. وإن كان يَصطادُ آلفيل، ويفترس آلزَّنْد فيل. حقّ لنهر انشعب من بحر، أن يكون غزيراً ولنجم آستضآء ببدر، أن يكون مُنيرا. بآلآبآء يَقتدي آلأولاد، وعَلَى آلأعراق تجري آلجِياد. كلُّ إنسانٍ يجري عَلَى عرق أوّليه، وكلُّ إنآء يرشح بما فيه. قد يصبر آلكريم عَلَى عِشرة مَن لا يحبُّه، ولا يميل إليه قلبهُ. العاقُل إذا إبغض إنصف، وإذا أحبَّ آلطَف. مَن ذا يزحمِ آلدَّآء وآلموتُ داؤه، ويثقُ بالأصدقآء وآلأيامُ أعداؤه. لا ثبات عَلى سم آلأسوْدَ، ولا قرار عَلَى زأر الأسد. كيف يقدر عَلَى آلدَّوآء، من لا يهتدي إلى آلدَّآء. وكيف يُداوي أعدآءه، مَن لا يَعْرف أصدقآءه. قد هابك منَ أستتَر، ولم يُذنب إليك منَ آعتذر. ومَن رُدَّ إليه عُذْرُه فقد أخرجه إلى

ٱلشَّجاعة بعد ٱلجبن، وأخرج ذَنبه إلى صحن اليقين مِن سترة ٱلظنّ. ليس بين ٱلموُالاة والمُعاداة إلاَّ لقية شنعة، أو لفظة قَذعة. رُبَّ فِعْل يُصاب به وقته فيكون سُنَّة، وفي غير وقته يكون سُبَّة. بٱلصبَّر ينُال ٱلعُلى، وعند ٱلصباح يَحْمَد ٱلقوم ٱلسُّرى في ٱلزَّوايا خبايا، وفي الرِّجال بقايا. أشرف من الحقّ مَن قَبلَه، وأحسنُ من الحسن من فعله. هل يبرأ المريض بين الطبيبين؟ وهي يسع الغِمد سيفين؟ لم أرَ مُعلماً أحسنَ تعليماً من الزَّمان، ولا مُتعلماً أسوأ تعلُّماً من ٱلإنسان. قِدماً أَخلف الدَّوآء شاربه، وخان ٱلرَّجآء صاحبه. من ٱلناس مَن إذا وليَ عـزلته نفسه، ومنهم مَن إذا عزُل ولاَّه فضله. كيف يُشْكَر ٱلقمر عَلَى أن يلوح، وٱلمِسكُ عَلَى أن يفوح. وكيف يُقال للنجم ما أضواك، وللفلك ما أَعلاك، وللعسل ما أَحلاك. إنَّ ولاية المرء ثوبه، إن قَصُر عنه عَري منه، وإن طال عليه عثر فيه. ما ٱلمحنـة إلاَّ سْيل، وٱلسيَّل إذا وقف ٱنصرف. وما ٱلأيام الاَّ جيش، والجيش إذا لم يكرّ، فقد فرّ، وإذا لم يُقبل إليك فقد أدبـر عنك. مَن أراد أن يَصطاد قلوب ٱلرِّجال، نثر لها حَبّ ٱلإحسان والإجمال، ونصب لها أشراك ٱلفضل والإفضال. إذا كان لا بُدّ من عِبادة مخلوق، ومن ٱسترزاق مَرزْوق، فليضع ٱلحرُّ رِقَّة بيدي كريم، وليجعل غُدُوَّه ورواحَه إلى باب عظيم. في كتمان ٱلدّآء، وفي عدم ٱلدوآء، عدَم ٱلشفآء. مَن لم يَنْه أخاه فقد أغراه، ومن لم يُداوِ عليله فقد أدواه. نِعم جنُة ٱلمرء من سهام دهْره، نزولُه عند قدْره، ونِعْم ٱلسلّم للأَرزاق، طلبُها من طريق الاستحقاق. ما أَكثر من يخطيء بٱلصنيعة طريق المصنع، ويخالف بزَرْعه موضع ٱلمزرع. أكبر من الأَسير مَن أَسَرَه ثم أعتقه وأشجع من الأَسد مَن قيَّده ثم أطلقه إذا عتقت المنادمة صارت نسباً دانيا، وكانت رَضاعاً ثانياً.

ما أخرج من كلام الأمير أبي الفضل عبيـد الله بن أحمد الميكالي

لله ألطافُ تنتصر من ٱلباغي، وتقضي بنَيْل المَبَاغي. الفاضل لا يَسْلَم من

ٱلقَدْح، ولو غدا أقوم من ٱلقِدح. النِعْمةُ عروس مَهْرها ٱلشُّكر، وثَوْب صوَانه ٱلبِشرْ. لو كان الشَّباب فِضَّة كان الشَّيْب لها خَبثاً. الخضاب، تذكرة الشباب. ما جُمش الودّ بمثل العِتَاب. الشَّكلُ للكتاب، كٱلحَلِيْ للكعَاب، رُبّ كلام أحلى من دِيق النحْل، وأصفى من رَيق الوَبل. كم بين من حالف الشيطان فٱعتصم بحبله، وبين من خالفه فاعتصم من خَتله. رُبَّ لاغ، في بلاغ. الأَ دبُ زَينٌ وجمال، إن تطعَّمت به نفع، وإن ترَوَّيتَ به نقع، وإن تعطَّرت به سطع، وإن تحلَّيتَ به لَمَع. خيرُ ٱلكلام ما كان لفظه فَحْلا، ومعناه بكرا. القلم أحسن مطيَّة تمشي براكبها رَهْوا، وتكسو ٱلأنامل زَهْوا. أين ٱلمَهَاوي من ٱلمَراقي، والأقدام من ٱلتَّراقي. الدُّنيا قنطرةٌ لمن عَبَر، عِبرة لمن ٱستبصر وٱعتبر.

ما أخرج من كلام بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني

الكلامُ معجون، والحديثُ شجُون. نِعم ٱلرَّفيق، ٱلتوفيق. المرء لا يعُرف برُده، كالسَّيف لا يعرف بغمده. رأْسُ اليتيم يحتمل ٱلوَهن، ولا يحْتملُ ٱلدّهن، وظَهْرُ ٱلشقّي يَحْمِل عِدلَيْن من ٱلفَحْم، ولا يحْمل رطلَيْنْ من ٱلشَّحْم. لولا ٱلشعَّير، ما نَهقت الحمير. الكلبُ بزمن، حين يسمن، ولا يتبع، حين يشبع وعند ٱلجوع، يهم بٱلرُّجوع. نارُ الحَلفآء، سَريعةُ الانطفآء. الحِذْق، لا يَزيد ٱلرزقْ. وٱلدَّعة، لا تحجب ٱلسَّعة. لا يكونن مثلك كمن صام حَوْلا. وشَرِبَ بَوْلا. احتكم إلى ٱلحجارة، فٱلتَّغير نصفُ ٱلتجّارة. المرء يُساق إلى ما يُراد به. غَضَبُ العاشق أَقصرُ عُمراً، من أَن ينتظِر عُذْرا. المَرْءُ يُدبّر، وٱلقضآء يُدَمّر، وٱلآمالُ تنقسِم، والآجالُ تبتسم. للمقمور أن يستخف ويستهين، وللقامر أَن يحتمل ويلين. إن بعد ٱلكدَرَ صفوْا، وبعد ٱلمَطر صَحوْا، لا تكاثروا الله في بلاده، ولا ترادُّوه في مُراده، (إِنَّ ٱلأَرضَ لله يُورِثُها مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ). الحبل لا يُبرَم إلَّا للفتل، وٱلثور لا يُربَىّ إلَّا للقتل. أرخصُ ما

يكون آلنفط إذا غلا، وأسفل ما يكون الأرنب إذا علا لا يُحسد آلذّئب عَلَى الإلية يعطاها طعمة، ولا بحسبُ آلحَبّ ينثر للعصفور نعمة. إن للمتُعة حدّا، وإن للعارِيَّة ردّا. ما كلُّ مائعٍ مآءٍ، ولا كلُّ سقفٍ سمآء، ولا كلُّ بيتٍ بيتُ الله، ولا كلُّ محمدٍ رسول الله. الكريمُ عند أُولي آللُّوم، كالمآء في فم المحموم، وسم المبرسم في آلشُهد، وآلشَّمسُ تَقْبحُ في عيون آلرُّمد. الخبر إذا تواتر به آلنقَّل، قَبله آلعقل. سبيل آلإنسان، في الإحسان، سبيلُ الأشجار، في آلثّمار، فسبيله إذا أتى بالحسنة ،أن يَرْقدَ إلى آلسَّنة. جهْدُ المقل، خيرٌ من عُذْر المُخِل. النذل، لا يألم آلعَزْل. إن الواليَ سيعُزل، وإن آلرَّاكب سينزل. اَلمدينُ يحسب آلنسيئة عطية، ويعتدُّها هديَّة. من آلذي لا يَهاب آلبحر أن يخوضه، وآلأسد أن يَروُضه. لن يَبْطُل العـرف في آلقياس، ولا يذهبُ بين الله وآلناس، الطبّاعُ إلى آلذَّمّ أميل. وآلعقرب، إلى آلشَرّ أقرب. وآللّسان بالقدْح، أجرى منه بالمدْح. والحاسدُ يعمى عن محاسن آلصبح، بعينٍ تُدْرك دَقائق القبح. للثقّات خيانات، في بعض الأوقات. هذه آلعَين تريك آلسَّراب شَرابا وهذه الأذن تسمعك الخطأ صوابا. لست بمعذور، إن وثقت بمحذور.

ما أخرج من كلام أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالبيغاء

رسوم آلكرم ديون. الأفعال، نتـائج الآمال. ربّ ظلَومٍ يتَظلّم. المكاتبةُ ترجمةُ آلنيةِّ. السيد المتواضع كالشمس آلباهرة بضيائها، آلقريبة مع اعتلائها. الصَّديق الصدوق كالأمن الذي لا صبر عنه. والغيث الذي لا عوض بحالٍ منه. دولة لا تختصُّ بنفعها الأحرار غير مفروح بها، ولا مأسوف عليها. المعرفة بأسرار الآلات، أقوى معين عَلَى الصنّاعات. كيف يوصى النَّاظر بنوره، أم كيف يُحث القلبُ عَلَى حِفْظ سُروره. إنَّ آنتهآء الشيءِ إلى أقصى حدّه ناقل له عما كان عليه إلى ضدّه. لو تكافأ الناسُ في فصل الخطاب، لما عُرف الخطأ من الصواب. الانقيادُ لأوامر الهمم المنيفة، من نتائج الأخلاق الشَّريفة.

ما أخرج من كلام أبي الفتح علي بن محمد البستي

مَن أصلح فاسدَه، أرغم حاسدَه. مَن أطاع غضبه، أضاع أدبَه. عاداتُ آلسادات، ساداتُ آلعادات. وشيَمُ آلأحرار، أحرارُ آلشيَم. من سعادة جَدّك، وقُوفك عند حَدّك. أفحشُ آلإضاعة، الإذاعة. آلخَيْبة، تهتِكُ آلهَيْبة. في آلدَّعة، رائد آلضَّعة. مَن لم يكـن لك نسيبا، فلا تَرْجُ منه نصيبا. الرَّشوة رِشآءُ الحاجة. اشتغل عن لذَّاتك، بعمارة ذاتك. أجهل آلناس مَن كان للإخوان مُذِلاّ، وعَلَى آلسلطان مُدِلاّ. حبيبكُ، من لا يَعيبُك. إذا بقي ما قاتك، فلا تأْس عَلَى ما فاتك. الدُّنيا فِناء. آلفَنآء. البِشرُ عنوان آلكرم. من تبرَّج برُّه، تأرّج ذكرُه. من حصنَّ أطرافه، حسنَّ أوصافه. المِرآء يَهدِمُ آلمرُوءة. الفَهْمُ شعاع آلعقل. رضى المرء عن نفسه، دَليلُ تخلُّفه ونقصه. آلحِدَّةُ وآلعزيمة فَرَسا رهان. الجُود وآلشَّجاعةُ شريكا عِنان. العَجْزُ وآلتَّواني رَضيعا لِبان. نِعْم آلشفَّيعُ إلي عدوّك عقله. لا تغترّن بصحة مزاجك في الهوآء آلوبي. ولا تغترن بقوَّة بصرِك في آلظُّلمة آلرَّاكدة. آفراطُ آلتغافل، تثاقل. رُبَّ مقالٍ لا تُقال عثرته. حُسْنُ آلأخلاق، أنفسُ آلأعلاق. الحِلْمُ مطيةٌ، وطيَّة. كيف آلقرار، عَلَى آلشّرار. مسَلكُ آلحُزْن، حَزْن. أحصن الجنُة، لزومُ آلسّنة. الرَّدُّ الهائل، خيرٌ من الوَعد الحائل. الخِلاف غلاف آلشر. نِعْم العُدَّة، طول آلمُدة. البرايا، أهداف البلايا. حَدّ العفَاف، الرّضآء بآلكفَاف. مَن لزم آلسِلّمَ سَلِمَ. الخُرقْ، آفةُ آلخُلق. إفراطُ السخَّاوة، رَخاوة. ربما كانت آلعطية، خطية. الفلسفةُ فَلُّ السفَّهَ. لكلّ حادث حديث ما كلُّ خاطر، بعاطر. البشرُ نَوْرُ الإيجاب. البخل سوسُ السياسة. العفيف، يكفيه الطفَّيف. لسانُ النصُّح فصيح. التصلُّف، تَرجُمان التخَّلُّف. مَن تَعطَّل، تبطَّل. أدهى المصائب، كَثرة المعايب. إفراطُ الدّماثة، غَثاثة. إفراطُ الفخامة، وخامة. إفراطُ التأَني توان. الإنصاف أحسنُ آلأوصاف. عليك بالحَذَر، من الهذَر. ربما تكون المنيَّة، هنيّة.

معنى المعاشَرة، ترك المعاسرة، ما لخَرق الرّقيع مُرقّع . ربما تكون العِناية، جناية. قَدْرُ الأمين، ثمين. قُوتك، قُوتّك. الغيث، لا يخلو من العَيث.

ما أخرج من كلام ابي النصر عبد الجبار العتبي

الشباب باكورة الحياة. الشيبُ رداء الرّدى. تَعَزّ عن الدُّنيا تَعِزّ. لسانُ التقّصير، قصير. مَن يَكِسْ، وُكس ونُكس. البخلُ فراشُ العار، والحِرصُ فراشُ آلنار. إذا قَرِع المرء باب آلكهولة فقد آستأْذَن عَلَى آلبِلى. الوَقاحةُ، كحجرَ آلقّداحة. لولاه ما آستعر لَهْب، ولا آستعل حَطَب. للهمَّ في وخز آلنفُّوس، حالُ آلسوس. في خزّ آلسوس. السَّفَهُ نُباح آلإنسان. الرّفقُ لقاحُ آلصّلاح، وجنَاحُ النَّجاح. عجبتُ لمن يسمح بآلرُّوح آضطرارا، كيف لا يَسمح بآلمال آختيارا. الصِلّة المستورة، كآلحلُة المنشورة. حفظُ آلأَيمان، من وثاق الإيمان. مَن ثَمل من كأْس آلثنآء، طَرب لأُنس آللّقِآء. تناسي المعروف قِلادة في جيدِ آلجود. التجربُة مرآةُ آلمرء. الشّعِرُ قرآنُ آلشيطان. الخمرُ مطيةُ الخطية. التغّافلُ من رُموز الكرم. إياك وآلجَدَل فإن أوّله مجاراة، وأَوسطه مُباراة، وآخره مُماراة. الأَناةُ سَمْتُ العاقل، وسِمةُ الفاضل. العاقل مَن أَصبح من آلأجَل، عَلَى وَجَل. [للبقول أحرار، وفي آلطّير عِتاق. آلشيبُ أحدُ كافوري آلكفن، حسن آلخلق في الخلد. البدعة شَرَكُ آلشِرّك. ربي ربي عَلَى كلّ خفي (كذا). تكليلُ المعروف تعجيله، وتتويجه، وتطويقه، تحقيقه، وتسويره، تيسيره، وتوشيحه، تسريحه. المآء يطيب المسك. العشـرة بعنبر الإنصاف. إذا سمعت نغمة آلشكر طربت للمزيد. عُدتي في آلعقبى، مَوَدّتي في آلقُربى].

ما أخرج من كلام ابي الحسين محمد بن الحسن الأهوازي
في كتابه كتاب الفرائد والقلائد

أَعيى الناس من أطال الخُطبة، وأسآء الخِطبة. أَشدُّ الغُصص، فَوْتُ

الفرَص العَدْلُ أَقوى جيش، وآلأَمن أهنا عيش. من صاحب العلمآءَ وُقّر، ومنَ صاحب آلسُّفهآءَ حُقّر. خيرُ أَموالك ما أَنفقت منه، وخيرُ أَعمالك ما وُفّقت فيه. أبْعَدُ آلهِمم. أقرَبها من الكَرم، رأْس الفضآئل، اصطناعُ الأَفاضل، ورأس الرّذائل، اصطناعُ الأَراذل. من أعَزّ نفسه، أذَلَّ فَلسَه. مَن حسُن صَفآؤُه. وجَبَ آصطفآؤُه. مَن بَسَط راحته، آنَس ساحته. مَن ركب الحَق، غَلَب الخلق. من سآءَ عقده، سَرَّ فقـده. مَن تعدّى عَلَى جاره، دَلّ عَلَى لؤُم نجاره. من أَحسن الاختيار، أَحسن إلى الأَخيار. مَن فعل ما شآء، لقِي ما سآء. من زَرَع آلإِحَن، حَصَد المِحنَ. مَن زلّ نعله، زال عقله. من حسنُت حاله، استحُسْن مُحاله. لا يخلو المرء من وَدُودٍ يمدح، ومن حسودٍ يقدح. الشرَّف بآلهِمم العالية، لا بآلرّمم البالية. مَن طال أَملُه، سآءَ عمله. [ازرع آلأَخيار بسَيبك، وآحصد آلأَشرار بسيفك. إذا سنحت لك إلى آلسلطان حاجةٌ فلا ترفعها إليه ما لم ترَ وجهه بسيطا، وقلبه نشيطا، وبِشره باديا، وذَرْعه خاليا].

ما أخرج من كلام المبهج لمؤلف هذا الكتاب

مَن صلى لله لم يَصْل ناره. الصّدْقة صَداقُ آلجنة. بشّر وفد، آلله برِفد آلدّارَين. سبحان مقدّر آلأقوات، عَلى آختلاف آلأَوقات. العلمُ أشرفُ ما وَعَيت، وآلخيرُ أفضلُ ما أُوعَيْت. الصِدّقُ بآلحُرّ أَحرى، وفي طريق آلمُروءة أجرى. الهوى سُلافُ مُونق، مزاجه ذُعآف مُوبِق. الكريمُ ثقلٌ هَناته، وتكثر هِباتُه. القلوبُ لا تستمال، بمثل المال. العَرض، هوآلغرض، وآلمال، هو المآل. ما بقآء آلمال بين حوائج آلإِنسان، وجوائح آلزَّمان. العينُ للعين قُرَّة، وللظَّهر قُوَّة. الدَّرهم أنفذ آلرَّسآئل، وأنفع آلوَسآئل، وأَنجحُ المسآئل. نقصانُ آلغَلَّة، زيادة آلغُلة. لا تؤْتي آلضيعة أُكلها. إلاَّ مَن يحمل كَلَّها. خُلف الوعد، خُلقُ آلوغد. الورَد نسيمُ آلرَّوح، نسيبُ آلرُّوح. الصديق ثاني النَّفس، وثالث

العينين. لقآء الصديق رُوحُ الحيآة، وفراقه سَمُّ ٱلحَيَّات. الحاجة إلى ٱلأخ ٱلمُعِين، كٱلحاجة إلى ٱلمآء المَعِين. ربما كان ٱلتقَّالي، في ٱلتَّلاقي. رُبما أدَّت ٱلمُجادلة، إلى ٱلمُجالَدة. إذا أَلَمّ ٱلأَلم، فٱلمعاجلة بٱلمعالجة. مَن كَرُمت خِصاله، وجبَ وِصاله، ومَن كثُر هُجْرُه، وجَب هَجْرُه. عَرْفُ العُرف يضوع عند ٱلكريم، ويضيع عند ٱللَّئيم. طوبى لمن كانت نفسُه مُراحة، وعِللَه مُزاحة. طوبى لمن أَمِن سِرْبه، وصفا شربه. ويلٌ لمن كان بين عزّ ٱلنَّفس، وذلّ ٱلحاجة. ويلٌ لمن كان بين سَخَط ٱلخالق، وشماتة ٱلمخلوق. كم مُعْسِر في ٱلثياب ٱلأَخلاق، مُوسِر في مكارم ٱلأَخلاق. لو كانت ٱلمشاجرة شجَرًا، لم تُثمر إلَّا ضَجَرا. مَن ٱعتقد ٱلصَّلاح، اقتعد ٱلفلاح. مَن جَلَب دُرّ ٱلكلام، حَلَب دَرَّ ٱلكرام. من عاداه قَوْمه، طار نَوْمُه، وطال يَوْمُه. الرَّجل مَن تُثنى به ٱلخناصِر، وتُثنى عليه ٱلسّبابات، وتُعَضُّ من ٱلغَيْظ عليه ٱلأَباهيم. الملَك مَن تَبيضُّ آثارُ أياديه، وتسودُّ أيام أعاديه، وتخضرُّ مواضع سَيْبه، وتحمرُّ مواقع سيفِه. إذا عَدَل ٱلمَلِك فقد ٱعتدل ٱلجانف، وأَقصَر ٱلحائف، وأمن ٱلخائف. مذاكرة أُدبآء الإخوان، أطيبُ من مُغازَلة ٱلغزلان، وأَمتع من حركات ٱلرّيح بين ٱلريحّان. الأُنسُ في المجلس ٱلخاص، لا في المحفل ٱلغاصّ. التَّقُّي مَن عزف أغراض همتَّه عن أَعراض ٱلدُّنيا. إذا أَقبل جدُّ ٱلمرء فالإقبال يُسْعُده، وٱلأوطار تساعدُه، وإذا أدبَر فٱلأيامُ تُعادِيه، وٱلنحوسُ تُراوحه وتغاديه. أَحسِنوا مُجاوَرَة ٱلنِّعمة فإنها سَريعة ٱلنفرة، شديدة الطفَّرة. بعيدة ٱلسَّفرة. ما أدلَّ حُسن ٱلسّيرة، عَلَى طيب ٱلسَّريرة. الحازِم مَن تزودَّ لمآبه، قبل أن يصير لمابه. البُخل بٱلطَّعام، من أخلاق ٱلطَّغام. لا يَطيبُ حُضور ٱلخِوُان، إلَّا مع الإخوان. الصَّديقُ لا يحظُر، تقديم ما يحضُر. لا يَحْصلُ بَرْدُ العَيْش إلَّا بحَرّ ٱلتَّعب. إذا أُسفر صُبْحُ ٱلشَّيب فقد هوى نجمُ ٱلهوى. ووهى حبلُ ٱلصبا. مَن كان في ٱلموق عريقا، كان في يَمّ الهمّ غَريقا. مَن كان عليك عاتبا، كان لك عائبا. مَن أذال وجهَهُ، أَذَلَّ نفسه. بعضُ ٱلناس كٱلغذآء ٱلنافع، وبعضهم كٱلسّمّ النَّاقع. ثمرةُ رأي

آلأديب المشير، أحلى من آلأَرْيِ المشوُر. قُوةُ الوَسيلة جنَاح النَّجاح، رُبَّ كلامٍ له حُسْنُ الوجوه الصِّباح، وسِحرُ الحَدَق الملاح. رُبّ كلامٍ أملحِ مِن أطواق القَماري، وأذكى من العُود القِمَاري. الصعب مع القضآء ذَلول، والعزيزُ به ذليل. الأَمطارُ، تعوق عن الأَوطار. والأوحال، تحول عن الوِصال. الصَّبُر أحجى، بذي الحِجى. مَن تبصَّر، تصبرَّ. ليالي السُّرور غُر، وأيام الهموم غُبْر. أَخلِقْ بمن كان وجهه دَميا أن يكون فعله ذميما. وبمن كان وجهه وضيا، أن يكون فعله رَضيا. ما مِن لحظة إلاَّ ومعها صنعُ من آلله خَفِيّ، ولُطْفُ خَفِي. ما الخلاص، إلاَّ في الإخلاص. مَن آفتقر إلى الله آستغنى. صدْقُ المناجاة، سببُ النجاة.

آخر كتاب آلأمثال والحِكَم والمواعظ وما يَحْذو حذوها من كُتب سِحْر البلاغة وسِرّ البَراعة ما كُتب لخزانة آلأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي

فرغ من تسويده وتسطيره المفتقر إلى فضل الله وغُفرانه محمد بن أحمد بن الحسن السّرجهاني في محروسة ماردين بالمدرسة الخاتونية الرَّضية تغمدَّها الله برحمته

لست بقين من شهر الله الأَصمّ رجب سنة سبع وخمس مائة

فهرس كتاب سحر البلاغة وسر البراعة

١٨٥ كتاب الأمثال والحكم
(وما يحذو حذوها)

ما أخرج من كلام الأمير شمس المعالي.
١٨٦ ما أخرج من كلام أبي القاسم علي بن محمد الإسكافي.
ما أخرج من كلام أبي الفضل بن العميد.
١٨٨ ما أخرج من كلام أبي محمد الحسن بن محمد المهلَّبي الوزير.
ما أخرج من كلام الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عَبّاد.
١٩١ ما أخرج من كلام أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابيء.
١٩٢ ما أخرج من كلام أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف.
ما أخرج من كلام أبي الحسن علي بن القاسم القاساني.
١٩٣ ما أخرج من كلام أبي بكر محمد بن العباس الخُوَارِزْمي.
١٩٦ ما أخرج من كلام الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي.
١٩٧ ما أخرج من كلام بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني.
١٩٨ ما أخرج من كلام أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالبَبَّغاء.
١٩٩ ما أخرج من كلام أبي الفتح علي بن محمد البستي.
٢٠٠ ما أخرج من كلام أبي النصر عبد الجبار العُتْبي.
٢٠١ ما أخرج من كلام أبي الحسين محمد بن الحسن الأهوازي.
ما أخرج من كلام المبهج لمؤلف هذا الكتاب.